

٣٢٠
و ٠ ع

واسطة السلوك في سياسة الملوك ، تأليف أبي حمو ، موسى (الثاني) بن يوسف - ٧٩١هـ . كتبت سنة ١١٢٩هـ .

٦٣ ق ٣٠ س ٢٩ x ٢٠ر٢٠ سم

نسخة جيدة ، خطها مغربي حسن ، طبع كما ورد في الأعلام .

٧٢٣٦

الأعلام (ط٤) ٧: ٣٣١
الخزانة العامة بالرباط ٢/٢ : ٢٥٨

١- علم السياسة أ- المؤلف ب- تاريخ النسخ .

ف ١١٥٠٤ع

٢٠/١٢/١٤١٤هـ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

كتاب فيه ذكر محاسن الاخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم • صلى الله على سيدنا ومولانا محمد

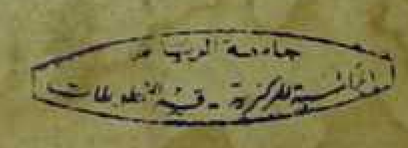
قال الملك المعظم الشهير الماجد المقدم السلطان محيي رسوم دولة بني زيان ومجدد الملك وبانيه بعد الطمس أبو حمو موسى بن يوسف ابن عبد الرحمن بن الأمير يحيى بن زيان

رحمه الله تعالى بمنه

الحمد لله الذي جعل نعمته على الخلق بما ألهمهم عليه من الحق شاملة شايعة • وبعث طوائف من عباده للتبشير فأتت إليه مسارعة مسارعة • وحضهم على الأخذ بالحسنى والأحسن من نفوس أرشدت فأقبلت لأمرها طالبة ولربها طائعة • والسعي من همم نظرت بحسن السياسة في تدبير الرياسة • التي هي لأشتات الملك جامعة • ولأسباب الهلك مانعة • وأطلعت من معادنها درر الحكم وغرر الكلم لامعة لامعة • فأجتليت أقمارها طالعة واجتنيت أزهارها يانعة • وصلى الله على سيدنا محمد الكريم المبعوث بالآيات البينات ساطعة • والمعجزات المعجبات قاصمة للكفور أنماجرين قاطعة • الذي زويت له الأرض فترآت أقطارها ومن بأيعته شاسعة واشتاقت له المياه فجرت من بين أصابعه نابعة • وامتثل السحاب أمره فسبح بانسكابه درارها مية هامعة • وحن الجذع له وكان حنينه لهذه الآيات الثلاث آية رابعة • الرمل لا يحصى مما أتت به متواترات الأخبار • وصحيحات الآثار • ناصرة لنبوته ناصعة • صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعترته التي أجابت داعي الله خاشية خاشعة • وأذعنت لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت من الاستبداد خالية • وللأنداد خالعة • صلاة دائمة متتابعة • وسلم كثيرا • أما بعد

فإنه لما كانت الأولاد فلذ الأكباد • وعماد الظهور وبهجة الصدور وثمار القلوب • وجلاء الكروب • وأفضل بغية وأجمل مطلوب • وأعلى محب وأحسن محبوب • وذرية كل زين وقرة كل عين • ووصلة للأنساب • وسلسلة التناسل

والاعتقاب



والاعتقاب ووراثة الآباء ومنشأ الأبناء • وسر الحياة وحبالة العطاء الرغائب يرغب فيهم الأنبياء ويغبطهم الأولياء • قال الله عز وجل مخبرا عن نبيه زكريا إذ دعاه فقال فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا وجب أن يكون لهم الآباء كالسماء الظليلة • والشمس المنيرة والسحب المخيلة • فيتحفونهم بكل أدب وفضيلة • ويمنحونهم من كل فائدة جليلة • وحق الآباء على الأبناء من نزعة المودة للنبي بحب العقوق • وحق الأبناء على الآباء من لم تدعه التعصب إلى العقوق • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولاد من رياحين الجنة • وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه وكان محبا في ولده سالم •

تلومونني في سالم وألومهم • وجلدة بين العين والأنف سالم •

وقال الطائي

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض •

إن هبت الريح على بعضهم تمتنع العين من الغمض •

فرأينا أولى ما نتحف به ولي عهدنا • وأورث مجدنا • والخليفة إن شاء الله من بعدنا • وصايا حكمية • وسياسة عملية علمية • مما تختص به الملوك • وتنتظم في أمورهم انتظام السلوك • في سياسة الملوك • ولذلك سميت هذا الكتاب بواسطة السلوك في سياسة الملوك • ليكون اسمه يوافق مسماه • ولفظه يطابق معناه • ورتبناه ترتيبا وبوبناه تبويبا على أربعة أبواب الباب الأول في الوصايا والآداب والحكم المرشدة إلى طريق الصواب الباب الثاني في قواعد الملك وأركانه وما يحتاج إليه الملك في قوام سلطانه الباب الثالث في الأوصاف التي هي نظام الملك وكماله وبهجته وجماله الباب الرابع في الفراسة وهي خاتمة السياسة الباب الأول في الوصايا والآداب والحكم التي ترشد إلى طريق الصواب وفيه أربعة فصول الفصل الأول توصية ترشد إلى الاتصاف بالعدل والتحلي بالفضل الفصل الثاني توصية ترشد إلى الاتصاف بتحكيم العقل على الهوى والتحضض على ملازمة التقوى الفصل الثالث توصية ترشد إلى حفظ المال لبلوغ الغرض والآمال الفصل الرابع توصية ترشد إلى حفظ الجيوش والأجناد والأمراء والقواد الأول يا بني العدل سراج الدولة فلا تطفئ سراج العدل بريح الظلم إذا عصفت نصفتها وريح العدل إذا هبت ربت • ومن شروط العدل الأحكام والتنفيذ عن الحرام والضن في الشرائع والحرص على أهل الدين فإن صلاح الدولة

بفواعلها وفساده بما يجري على ايديها يا بني البس ثياب العفة وتردّ
رداء الوقار وتتوّج بتاج الحياء وتزيّا بزي السكينة وتقلّد بصارم العدل وتحلّى
بحلية الكرم وتختّم بخاتم الهيبة يا بني التزم الصفح عند القدرة والعفو
عند الغضب والحلم الحسنة لمن قصد ولا تعتد البخل لمن تكره يا بني
اياك والاعجاب فانه للملك خطأ عن صواب ومن اعجب من نفسه قرب من
رمسه يا بني اربعة لا يزال معها الملك حسن التدبير في الامور والعدل
في الخاصة والجمهور والاخذ بالحزم والصبر في الازم يا بني اربعة
لا يثبت معها الملك سوء التدبير ومخالفة النصيح والمشير وخبث [illegible]
والنية والجور على الرعية يا بني ان الملك خليفة الله في ارضه الموكل
باقامة امره ونهيه فلذا بقلائد الخلافة وجعله حصنا منيعا للخوف والمخافة
وامره باقامة الشرائع وسن الذرائع ليقيم فسطاس الحق في رعاية الخلق
واتاه الله من ملكه وجعل الرعية تحت ايالته وفلكه فان اطاع فيما قلده
به وانفذ الحق في حكمه ومذهبه دام له الملك ونجا من الهلك وان خالف الحق
ومال الى التعصب لم يكن له ولي ولا نصير يا بني من تزرع يزرع العدل
وفي ثمر العز ومن تلبس بلبس الجور سقي كاس الردا والعز اخف من ماء
الحياة والجور اشر شيء يبقى والعدل نعم ما يجتنى والجور بيس ما يقتنى والعدل
كنز للامير وحياة الغني والفقير يا بني ولا تنس ذكر الله في سرك
ولا في جهرك ولا تترك في جميع شانك وامرك واجعله انسك وشعارك وقو
تك ليلك ونهارك ولا يشغلك ما تقلدت من امر الخلافة عن ذكر الله لان كل
شيء باطل سواه وروض نفسك للاذكار وتوسل بذا نبيات الاشعار وهذه ابيات
تقي هود ابنا والله حسبنا وقد ذكرنا في ذلك قصائد نتوسل بها اليه
جل وعلا ونشكره على ما انعم واولى فمنها قولنا هذا الخبب البديع اشتهى
في انواع التضرع والترصيع وهو

دمعي ينهل من الغل بفيض كان من المقل
وجرى في الصدر له حرق في القلب لذلك في شغل
وذهب العمر فما قبلت وتولى الصبح فما حيل
ناس ركبوا التقوى لغد وركبت نفسي طرق الزلل
ابدا ادعى الوفى فما سمعت والذنب تكاثر من خلل
ليلي سهر نومي فكر دمعي درر يجري على ...
نفسي زجرت هلا فكرت لما نظرت ما يصلح لي

اني

اني كنت اشيب لكبر او لا شبهة ولا امر جلل
في القلب شجى كيف المنجا لمن لجأ بالرب حصل
من يغفر لي من يسعفني من يرحمني من يقبل لي
لا مولى يسعفني الطول بي لا غير يجيب السول
احبابا بي ولاعداء وانا الراجي والدولة لـ
الله قضى والحكم مضى ولنا رضا فمن يعترل
فله الشكر وله الامر منه النصر لا من قبل
جلى الملك ومن يقوى يحمل ما فيه من الثقل
الا بمعونة خالقنا مولى النعماء وخير ولي
احمي المظلوم وانصره واقيم الحق بلا ميل
انزلت الناس منازلهم وتركت الظالم في وجل
فانا للطفل كذا البر واسوي الشيخ على مهل
والرفق كذاك من شيمي والعدل به اعطى املي
وانيل القاصر حاجته وانيل المال بلا مهل
وانا للحرب كعنترها وانا في السلم اخو جدل
خيلي للحرب ملجمة وكذا الثبت ولا تمل
وانا موسى واخو حمو اصلح للملك ويصلح لي
سيفي ان ملت بقائمه ادنى المرء الى الاجل
وكذلك كفي اذا انبسطت من كل مقل غدا مثل
اهل تلمسان بدولتنا كالشمس لدا ابرج الحمل
نفنا الدنيا وعشتهم فينا وحياتك لم تحل
ولقد بدلوا في حضرتنا اقصى الغايات بلا كسل
فلهم منا عز وغنى ولنا منهم اقصى الامل
فبفضل السومنته ان نشرت الى اهدى السبل
وانا ارجو من رحمته ان يغفر لي يوم الخجل
بعناية احمد سيدنا وهو المبعوث الى الملل
مبدي الاسلام ومظهره في التقوى خير الرسل

يا بني فعلى هذا المنهاج يكون سيرك فيرجى من الله خيرك

الفصل الثاني في توصية ... بتغليب العقل على الهوى والحظ على ملازمة التقوى
اعلم يا بني ان العقل احد النعم واجعل عقلك

راحة نفسك واستجلاب أنسك واجعل العقل ميزان رأيك والفكرة مرآة عقلك
واعلم أن الدنيا متقلبة فلا تغتر بغرورها ولا تطمئن لسرورها ولا تفرح لها إذا
أقبلت ولا تحزن لها إذا أدبرت يا بني إن اغترار بالدنيا باطل فإن كانت
لها جواد الحق وإذا أعطيت ما تبتغي فاشتر به ما يبقى فإن الدنيا منهج للآخرة
ومن جعل الدنيا رأس ماله كانت تجارته خاسرة يا بني أربعة من
علامات العقل اتباع المكارم واجتناب المحارم وملازمة التقوى ومخالفة
الهوى وأربعة تدل على عقلك وتوجب المحبة لك تأخير العقاب وتعجيل
الثواب والنطق بالصواب والصدق في الخطاب يا بني إن الأمير
العاقل لا يفتقر فيه فرح أهل البغي من انقطع إليه ولازمه كالنجوم المضيئة بنورها
لا تطفيه عواصف الرياح ولا ينبغي للعاقل أن يجالس الأحمق فإن مجالسته
غرور وقيامه عنك حزن يا بني العقل شجرة من أشجار الأنس فمن
استظل بها ولازمها اجتنى منها ثمار المحبة يا بني اصمت عما يعنيك
تبلغ ما يسرك يا بني من رحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يفعل
الخير يغنم ومن يفعل الباطل يأثم ومن لا يملك لسانه يندم يا بني
إذا رأيت سرك فشيء في الناس فاخصص به اثنين من أصحاب سرك واجعلا
بسر دارك واحتج بهم عدوك ثم أعقل عنهم فما خرج من سرك فهو
طلب الإفشاء يا بني لا تكثر من مجالسة النساء لئلا يفسدن
عقلك بعقولهن ويشتت طبعك من طباعهن فإنهن ناقصات عقل
ودين وإن أشرن عليك بأمر فخالفهن فيه لأن عقول النساء غير موافقة
لعقول الرجال فإنك إن أحسنت إليهن فلا يكن إحسانا بالإساءة لك
ومن ضعف عقلهن أن لا يفرقن بين المحسن والمسيء فاحذر مكرهن وعتهن ولو
كان فيهن مثل أخت ملك الخزر حكي الفضل بن سهل قال كان
عندي رسول ملك الخزر فكان يعرف أن أخت الملك تسمى خاتون فقالت
أصابنا سنة مجاعة شديدة ففزع الناس إلى الملك فلم يدر ما يجيبهم به
فقالت له خاتون أيها الملك إن الجوع علو لا يخلو جريح ولا ينتهض
عزيزة وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجر له عن استفسادها
ولعل محاسن إليك رعيتك بعض الجزع من النعماء الذي لا تزيد الإساءة له
إلى خلقه عزا ولا ينقص العوذ بالإحسان إليهم ملكا وما أحراك بحفظ
الوصية من الموصي ولا بركوب الذلالة من الذل ولا بخس الرعية من الداعي
ولم تزل في نعمة لم يغيرها نقمة وفي رضى لم يكدره سخطه إلى أن جرى الغدر بما

عمى

عمى عنه البصر وذهل عنه الحزن فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعل الله بنعم
النعم وعرته من أليم النقم حتى تيسر بنفسك ولا تجعل الحياء من التذلل للمعين المزل شركا
منك ومن رعيتك فتستغنوا من نوع العافية وتكرمهم ونفسك بصرف القلوب التي
وارد له بكنه الغدرة وشتت بدل الشر في الرخاء بمحض الشكر فإن الملك ربما عاق عبرة
لم يجمعه بين نسيء فعل الصالح عمله وليعفك على ذا وبشكر يحوز به فضل الأجر فأمرها
الملك أن تعين فيهم فتشير بهذا الكلام فجعلت وجمع القوم عن بابه وقد علم الله
منهم قبول ذلك الوعظ بالأمر والنهي فحال عليه الحول وما منهم مفتقر نعمة كان
سلبها وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف الملك لها بالفضل فقلدها
الملك وجمع الرعية على الطاعة لها في المحبوب والمكروه فلا تطاوع امرأة ولو كا
نت مثل خاتون هذه التي سمعت في الحكاية قدرها ومثل الزباء التي انتهى في الدهر أمرها
وسيأتي في كتابنا هذا ذكرها يا بني إياك والميل للنساء بالكلية فإن
ذلك غير الأدبة وسبب البلية فإنك إن ملت إليهن بكليتك كن سبب أذيتك
فيفضي بك الأمر إلى ما أفضى بالنز بن الوليد المرواني حين شغف بحبابة وقاضت
نفسه عليها صبابة وهي التي اشتريناها قصيرة التي نذكرها الآن ونختم بها
هذا الفصل الثاني ونقيم بها البرهان على نحو ما لخصناه واختصرناه اعلم يا بني

حكاية

أن النز بن المرواني كان مولعا بالنساء وكان له جوار يخلو بهن للهو والغناء
وكلف بجارية منهن اسمها حبابة فكان يحبها حبا شديدا ويؤثرها على نفسه
فيها ويعبر عن نطقه الذي ينطق به وسمعه الذي يسمع به وعينه التي يبصر بها فاتفق
له أن صنع يوما مهرجانا في قصره أبدع في احتفاله وبالغ في أمره وعمل على راحته مع
جواريه وما علم أن الغدر يجاريه ووكل وزراءه بأعماله وعزم على راحته واشتغاله
ثم أمر حجابه أن لا يدخلوا عليه أحدا لا أهلا ولا ولدا رغبة منه في الخلوة بحبابة والا
والتشفي بها لما به منها من الصبابة فبينما هو يتلذذ بمحبوبته ويروح نفسه معها
في الطروبة وبالأنس منها بالخلوة ويتلذذ بها تلذذ الصفوة إذ أومى برمانة أهديت
إليه في غير أوانها أبدع مما تكون في زمانها فأخذتها حبابة من يده من حبها لما في قلبه
من حبها فشرقت حبابة من حبة من ذلك الحب وماتت إلى أن استقلعتها من الحب

حكي

انه من بعد ثلاثة أيام بالموضع الذي ماتت فيه حبابة وهو
تعيم والجواري يصبونه فقال لهن أنشدنني شعرا فأنشدن إحداهن

كفى حزنا بالهائم الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

فصاح صيحة وغشي عليه ولم يفق فوجدوه ميتا
يا بني انظر إلى النز بن هذا وإن أفضى به الميل إلى النساء وكيف استحوذ عليه

الهوى حتى اتلف نفسه وحسم ملكه وهذا من كثرة ميله وفساد عقله وقد
تغزلنا بقصيدتين انجز نظمهما بسببها الاثير وحبابة لتجتنب الميل الى النساء
وليلا تتمحن بمحن الصبابة **وهذه القصيدة المباركة**

كتمتها حبي فافشى الدمع كتماني وزاد شوقي على قيس وغيلان
يا جيرة الحي قد فتنت بكم لم تهجروني كاني من بني جان
نادمتكم ودموع العين هامية باي ذنب رضيتم اليوم هجراني
يا فتنة القلب كم لي في هواك وكم اطفا هجرك نار ذات اضراني
الماء والنار تشكوان واهلكم ومنكم قد رمتم قلبي بنيران
لم تهجروني وهجر الحب اكرهه الموت اهون من بعد وهجران
وان عزمتم على بعدي فواسفا بان الزمان لحالي اي تبيان
يا اخسر الناس مالي عنك مصطبر وكيف صبري وصد اليوم اعياني
انا جلبت الهوى حتى بليت به وخاض بحر الهوى قلبي وجثماني
فارقت عيني على ما كان من نظر فقالت العين ان القلب ابلاني
مهما نظرت الى شيء اراقبه ينيل نحوهم سري واعلاني
وهذه حالتي يا جيرتي ولكم تضاعف الوجد من شوقي واشجاني
اني فتنت بذات الخال يا خولي وعذبت بجفاها العاشق العاني
يا قرة العين كم ترضين بعدك في رفقا علي اما يكفيك هجراني
انت لحالي وما قد بان من شغفي واعطيت بعد ذاك البعد سلواني
قالت وحق هواك اليوم ما نظرت عيناي عيناك الا دبت من شان
الحب من شيمتي والوجد من فتني والصبر يا قلبي باء الزيدان
اني شغفت بكم منذ زمان مضى وانت لم تدر ما قد كان احزاني
رقت حشاشة قلبي من هواك وقد تضاعف الشغف في روحي وابداني
اني وحق حياء الحب ما احتملت والله بعدكم بالنوم اجفاني
ولا شغفت بحسن غير حسنكم ولا احبت عليكم في الهوى ثاني
ولا شربت لذيذ الماء من عطش الا رايت خيالا منك خلاني
ولا جلست مع قوم احدثهم الا حديثك مع قلبي ومع داني
ان كنت مثلي قد تم الحب منغمسا فافعل بفضلك ما ارضاك ارضاني
ضممتها حين زارتني بهجتها وقلبها عند ما ادعوه لباني
بتنا وبات نعيم الدهر يانسنا والعيش طاب وروض الوصل ريان

ولا رقيب

ولا رقيب ولا واش يطوف بنا الا الحسان باصوات والحان
من كل غانية رقت شمايلها تزهو على ناعمات القضب والبان
وكل عالمة قد احتوى ابسمها عن عنبر ومسك وريحان
هم سبوني وكم اسبوا الذي خطر من الملوك وحي اليوم وداني
قد كان فيما مضى قبلي وان جهلت مولى حباب وسكران شروان
دلت لعزتها اسد الوغى ولعزتها هوا عليها وايم الله غزلان
كم من كريم وكم من ماجد بطل افنى العداة وكم من عابد عاني
يا لائمي في هوى الغزلان ان تلمني فما خلى من هواكم قلبه انسان
وهذه قصتي يا عاذلي وكفى ان الملام قد اعياك واعياني
ولا جعلت بنات الحي من شغلي حتى شغفت بعقد السيف والزان
وقد الفت من الهيجاء عاطلة تنشب يوم الوغى والحرب نيران
وكم شفيت كووس الموت من بطل وقد حميت بحد السيف اوطاني
وكم فهت عدوا ظالما غشما يوم اللقاء باطعان واطعان
وقد عمرت ديارا قل عامرها وقد جعلت ديار الانس عمران
وقد اقمت رسوما قل ناصرها يوم الهياج وكل الناس عاداني
حتى طعنت بشيء كنت اطلبه والحمد لله في سر واعلان
نعم ولا بد لي من اخذ ارضهم بالمرهفات وجرد تحت عقبان
حتى اروي سيوفي من دماء بني التجيم اذا احلت بغيلان
وتشغل الهام ولا الباب طايشة والخيل عارية من غير فرسان
والبيض تنضح من نار الحرب ان حمرت والسمر مثل شهاب ان شيطان
والخيل عابسة كلت فوارسها والارض كاسية من نور مرجان
فما ترى غير ابطال مجدلة ما بين سهل واهضاب وكثبان
والارض هامدة والانس داهشة والسيف ضاحكة البران
هناك تحمي حماها عندما اشتعلت والانس ما بين سكران ونشوان
ونضرب الحرب صرمات يكل بها اسد الحروب ويعمور بن زيان
وناخذ الثار مما قد تعلو دنى ونرجع القهر ونغير الغر ديوان

فانظر يا بنتي هل الهانا شيء عن طلب المجد او ملنا بكليتنا الى النساء
وخرنا عن القصد واغتنمنا مار تمناه :. وحز بما قد رزناه :.

الفصل الثالث في صيغة ترشد الى جمع المال لبلوغ الغرض ودامال العلم

يا بني ان المال حرز الملك وبه ينتظم انتظام الملك :. فاحرز حرز مالك

واعلم يا بني بتقليل الثناء وتصرف فيه تصرف أهل العقل والذكاء
ان الثناء خير ما يقتنى فابذل مالك في الثناء فانه خير من الغناء ولا تكثر فيه
السرف فانه يؤدي الى التلف ان الجود ساتر العيوب
ونشر المحبة في القلوب وقد يكون بسبب كثرة المال ومعرة الكثير من جميل الخصال
فليكن جودك معتدلا في التقتير غير منسوب الى التقصير ولا محسوب في السرف
والتبذير ثم مالك تبلغ امالك فان من قل ماله تلاشت
حاله وقلت اعوانه وضعفت انصاره المال زين ولا فال الشين
والمال عون على العزى وحصن يتقى به من الردى تنزع الا اغراض
ويتوصل الى المقاصد والاغراض وبه يستفتح الضياع وتستملك النواحي
ويقاد العاصي ويشترى القاصي وبالمال تستعبد الرجال وتبلغ الامال
وتذل به الرقاب وتستفتح به الابواب وتسهل الامور الصعاب وتنال
الرغائب وتنجو به من المصائب خير المال ما وقع به الانتفاع
وشر المال ما تركته للضياع بعد المرء على نفسه توفير امته(?)
على غيره فاجمعه من مواضعه وضعه ثم حيازته وثمره وقوما في قصد
بالعزل وتوسط في العطاء والبذل **وقد قال المتنبي**

فما يحفظ المجد مالك كله فيتمل مجد كان بالمال عقده
ودبر تدبير الذي المجد كفه اذا حارب الاعداء والمال زنده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

يا بني استعن بثقات عمالك على جميع مالك فقول الرئيس(?) ...
بالرعية الجائرة على السبيل السوية تنل بذلك في الدارين الدرجة ال
العلية ولا يحملنك حب المال على المسامحة في جور العمال فانه اذا هلكت
الرعايا عدمت الجبايا واذا عوملت الرعية بالرفق كثر فيها النماء والرزق
خذ المال من حقه وانفقه في مستحقه تكن اعز الناس وافضل من ملك
وساس فما كان الرفق في شيء الا زانه ولا الخرق في شيء الا شانه
وبالجملة **يا بني** حاسب نفسك وعمالك تحفظ مالك
عليك فالمال اعظم الذخائر العاجلة وبه تنال الدنيا والاخرة
بالايثار مما افاء الله عليك من الانعام وخصوصا على حجاج بيت الله الحرام
وزوار قبر النبي عليه السلام واجعلهم وسيلة يدعون لك في ذلك المقام
فان الدعاء هنالك مجاب وليس بينه وبين الله حجاب وقد نظمنا في الشوق
الى ذلك المقام الشريف والمحل الانور المنيف قصيدة ورسالة بعثنا بهما رجاء

للثواب

للثواب وتيسير الاسباب وهي قولنا من وزن الخبب

ناع الاحباب ولم تنم عيني بصارعة النسم
والدمع تحدر كالديم جرح الحزن فيا الم
وزجرت النفس بما ازجرت ونهيت القلب فلم يرم
والشيب نذير قد وافى وحلول الشيب مع الهرم
والعمر تولى منصرما الا للعمر المنصرم
وكذا الايام لها عبر ولياليها الدهر كما الحلم
والدار تعج بساكنها وبحب المغرور بها النهم
فيا نفسي خدعت بزخرفها كم ذا تغترين بها وكم
يا رب ذنوبي قد عظمت فامنن بالعفو لمجترم
فالعفو الاهي منك وان الذنب وصفي من شيم
شان المملوك الذنب وشان المولى العفو عن الخدم
اني بذنوبي معترف والخوف اشد من الالم
يا رب اذا لم تغفر لي مالي بذنوبي من عصم
كم اجني الذنب وتمهلني وتقابل ذاك بالنعم
ولكم اعصيك وتسترني باذا الافضال وذا الكرم
ما زلت بفضلك ترحمني وتجود علي على العدم
والعبد ببابك ملتزم وبغير حماك لم يعتصم
ورضى المحبوب له ارب ورضاه العبد لمغتنم
يا رب سألتك تغفر لي بشفيع الخلق من الامم
ادعوك الاهي معتذرا في جنح الليل وفي الظلم
قلبي انفطر والدمع جرى والركب سرى نحو العلم
قلبي بنواه اسير هوى فيا شوقاه الى الحرم
نهب الابل لما رحلوا قلبي حملوا في ركبهم
حملوا خلدي اضنوا جلدي تركوا جسدي رهن السقم
حط العشاق ركائبهم بين العلمين وبالحرم
وصروف الدهر تعارضني عما ابغيه من القسم
ساروا والذنب قد اقعدني فقرعت السن من الندم
وبكيت الدمع على زللي ومزجت الدمع بفيض دم
تبدو الانوار على الكثبان من الاقمار بذي سلم

ظفرنا بذا الذي اعظم مفاخرنا ، ويسر الله لنا باب الفتح اثر مباشرة ، ونزلنا ساحتها وربا ح
فالتقمنا النصر على راياتنا ما بقي **ودلايل** السعد تشهد مقدمتها صادقة
بها ابن السلطان ماوى لنا ونسا ، صباح المتدربين لبعض جواع بلادنا وميراث ابائنا واجدادنا
وابوه السلطان في عدادنا ، وبرزوا الينا بطائفة مرينية تلتمس الرجوع عن عزة تنيف على العشر من انجاد
الفرسان يقدمهم المهدي من السلطان ابي عنان **علما** النقي الجعفري وشعاع الضراب
والطعان راوا منا ما لا قبل لهم به ولا طاقة لمن هو اشد منهم قوة واكثر جمعا فخرجوا ابعد
بعد الافتراق وتزلزلت منهم الاقدام ، وهزموا هنالك اي انهزام حتى كان البطل من ابطالنا
يهزم منهم عشرة من امامه طعنا بالرمح وضربا بالحسام ، فنكصوا على اعقابهم وسيوفنا
متحكمة من رقابهم ولجوا الى الفرار ، وايقنوا بالتباب والتبار ، وحل بهم الخسار والبوار
ولم ينفعهم التحصن بالاسوار من شبا سمر الرماح وظبا بيض الشفار ، وتركناهم الى غد
ذلك اليوم ابقاء منا على الغوغاء ولم تكتحل اجفاننا تلك الليلة بنوم فلما كان من الغد
امتحناها عنوة عليهم وخلصناها من جميع جهاتها اليهم وذلك بغرة ربيع الاول من
عام ستين وسبع مائة فتشفعوا الينا بالفقهاء والصلحاء في الابقاء عليهم وخلوصهم
الى غرضهم بجميع ما لديهم فاسعفناهم بما طلبوا من العفو وسوغناهم من الامان العذب
والصفو وذلك هو المعهود منا ومن اسلافنا الكرام وجبلة نلناها بين الانصراف والمقام
ثم انصرفنا بمبلغ المراد والمرام ، ومرافقنا للحرمة المرضية مرعى الزمام ، ومحمول على البر
والاكرام فاستقللنا بحضرتنا العلية والبلاد كلها مرينية واستولينا على ما كان بيد
بني مرين وانتزعنا من ايديهم الملك والسلطان ومن بين معرفة بنا من كل جهة ومكان
ليس بيننا وبينهم الا مبيت بيوم او نصب بيوم **ومن شرك** الحزم لم تكتحل اجفاننا
بنوم **فلم نزل بابنيهم** نستعمل معهم المحاولات والمكائد وننصب لهم
الاشراك بكل المراصد الى ان استخلصنا جميع بلادنا من ايديهم وجازيناهم على تعديهم
وذلك بين محاولة وفهم وتدبير ونظر **ولقد خلفناها** عليهم دون كثير
حيف ولا مال وبلغنا بالسياسة والمحاولة غاية الامال البرا وطارت اموالنا اكثر من
اموالهم واحوالنا احسن من احوالهم واعدادنا اكثر من اعدادهم واجنادنا اوفر من اجنا
دهم وبلادنا اشهر من بلادهم وقد شرحنا ذلك في قصيدة نظمناها ومقتضى الحال
ضمناها **وهي قولنا**

جرت دموعي بين رسوم الطواسم لما شممتها من هبوب الرواكم
وقفنا بها مستفهما لخطابها واني خطاب للصعاب الصلادم
وسرت على هون افب ستجب كلمعة برق او كلمحة صارم
وجلت بطرف الطرف في عرصاتها كجولة راء او كوقفة هائم

وصفت

وصفت ما بين الطلول حوائمي وسالت سوابغ الدمع مثل الاراقم
وقلت لصحبي لا تملوا من السرى ولا تتركوا بي اليوم لومة لائم
وقد شاهدت الحي اين تحملوا وقد عيل صبري بين تلك المعالم
ديار عهدناها الشمل جامع مع الغانيات الانسيات النواعم
وكم ليلة بات السرور مساعدي بسعدى وسلمى والمنى اغنى سالم
فعادت ربوع الدار بعد انيسها هشيما ولا تخفى بقايا المواسم
وكم نسمتها من جنوب وشمال وكم سمعتها من لغات الحمائم
كاني بهم والله يوم تحملوا وحادي النوى يحدو ابرات المباسم
قطعنا العقيق بالقلاص وانما نجاب العلى بالخف او بالمناسم
وقد حلتها بين الرياح روابعا تمسا بوجه البيد اظليم النعائم
مكحلة الاحداق فيها هشاشة مصلحة الاطراف سود المباسم
ومعها اسود الحرب تطوي بها السرى يرون المنايا بعض بعض الغنائم
ومعض العتاق قد جرى بعد جري من لفصل العلو والصبا اذ ذاك لازم
وكم ليلة بتنا على الجرد والطوى نراقب نجم الصبح في ليل غائم
على متن صهال الوغى محجل من بين الخطير يغشى صعب الصلادم
تتم بل كود ونبير من الاعلام ومن الادريس الشريف ابن قاسم
رجال اذا هاج الوطيس تراهم اسود الوغى من كل ليث ضبارم
وجبت العباب قلدة بعد بلدة وطوعت فيها كل باغ وناقم
وجبت لارض الزاب فاضت مدامعي تذكرت اطلال الرسوم القوائم
وشبكت عشري فوق راسي فما ارى بها غير اعين الربا والمعالم
وجاوزتها ما بين هوج هجاير وفاو الهوادي عاليات الخزائم
وجزت بارض الزاب زاغيا باهلها ببلقعة قفرا فقفاها عن ايم
سالت ربوع الدار يوما فلم اجزبها معلما باتني التي بعالم
شردت عرى للنجع من كل جانب وشبهتها مثل الرياح الرواكم
تخيلتها مثل القطا في مسيرها وجوف دراها كل سهم وحازم
وحفت بنا الابطال من كل جانب تذكرها عصر الهوى بالصوارم
وجئت لوارغلا وجزت مطابها ولا مغر اعين الصلادم الاعاجم
وما زلت اطوي بين هاما كانها واخضبها بين الربا والغمائم
قطعت الحمادى والسراب بغيرها على هيكل عبر الذراع غير هاضم
مكر ليوم الحرب لا يشتكي الونا معا اذا ما الت عظائم الهزائم

الى ان بدا الوادي زرقون ازرقا وبانت عليه شاحبات الغمائم
طرقت بر ابي واستغربت بالكرى وكم من ليال بتها غير نائم
وجردت في طلب الثار ابا مسلم بلا جنبي خبيث اوبشري متراوم
وكم من قبائح قد قطعت اكامها وكم نسمة جادت عليها نسائم
وكم ربوة تخلو من الغلب طاعن احرارها وكم دمع على الغير ساجم
وبلتنا نسوق النجع في غيهب الدجى ومحطاتنا فيها كشهب عوائم
الى ملل ملنا وما ملنا السرى سرابا ركاب كالقسي السواهم
ولما ترائى فيها العدو طاهرا وحيم بين الطلال الغياهم
جبرنا مجابيرا وجزت جيادنا وجالت بما العقبان بين السغاهم
وضم عنا جمع على صفواتنا كرام تجود بالنفوس الكرائم
نطارد فيها الخيل بالخيل مثلها فكان على الاعداء كر الهزائم
شددنا عليهم شدة مضرية فولوا شرادا مثل جفل النعائم
فزلت سوبرية ملت نجمها وشيخ جماها في نجوم المصادم
وكم خلفوا ما بين فكر ومكرة وكم غادة ملتفة في الهرائم
وكم فتنة طاحت وطاح اميرها على الارض ما بين الصعا والنهائم
وجالت خيول للعجار كأنها عقاب تنطى بين صعو الحمائم
فجاز الشابها سعيد ابن عامر كما جاز من قبل ذباب ابن غانم
وطاحت هنا اشيم على الارض طعمة بوادي ملال للنسور القشاعم
فكانوا الى الطير الغشيم فرايسا وكانت على الاعداء شوم الزمائم
وهبت رياح النصر من كل جانب وكانت لنا مبشرات الغنائم
ولما قضينا الامر في الحرب منهم وحلنا بعون الله نحو المعالم
وخض الجود قد نبتت هضابها وهبت رياح عاطرات النواسم
درجنا الى درج وراحت بشائر بهلك الاعادي انما عيس الاشائم
الا ايها الناعي البشير الذي نعى اميرا من حرت امشي الغنائم
لعمرك بارك الله البشير بهلكه وبشراك بالحمران يا خير قادم
واضحت لنا من تون وافترت المنى لنا ابتساما بالثغور البواسم
وصارت اسود الغلب تأتي مطيعة وعادت لنا الايام مثل الولائم
قطعنا الثنايا والخميس منهن بطاطه مثل الرياح الغواصم
وفي بيض امال الناس قد لنا وجردت للاوطار فيها عزائم
وبتنا وبات النوم عن مسامعي على جمر الشر جمر هازم

وصرنا

وصرنا ضحى والنصر يسعى امامنا برايات سعد فوقنا كالغمائم
قدمنا وكان النصر من خلفنا وقدومنا وكان على الاعداء شر المقادم
وصفوا صفوفا ثم صفت صفوفنا وحط بها الخطى بين الملاقم
ولاح شعاع الهند بين صفوفنا كبرق تبدى بين دوح الاراقم
سموا الى اصطفطف واشتد بيننا حرب تشيب الاسد قبل العلاهم
كررنا عليهم كرة بعد كرة وقد سعرت للحرب نيران جاحم
بضرب يزيل الهام منشقة وطعن مضى بين الكلا والحيازم
فهذا اسير صفدته يد الوغى وهذا قتيل في عجاج الصادم
قطوبي لعبد الواد عند ازدحامه لقد حط لواء الحرب كل مزاحم
وجالت خيول العام بين صفوفها اسود الشرى في نحرها البلاطم
وقادت شعاع الشمس في الجو اصبع وجال ذباب السيف فوق الغلاصم
جعلنا كرديسا على كل ربوة وطالت رقاب الاسد تحت العمائم
شددنا عليهم شدة بعد شدة فولوا فرارا واتبعوا للغائم
وداروا باسوار المدينة كلهم كدور سوار فوق معصم الغائم
وقد برزت من خدرها كل غادة درجن على الاسطاح درج الحمائم
وقد عاد ذاك الجمع منهم مكسرا بجمع لنا بين الكتائب سالم
وامنت من بين الصلح بعد وقارها وقد ظلموا عمرا ولست بظالم
فلا صلح حتى نضت الحرب نارها وتساقط الابدان تحت الجماجم
وتخلى من الاعداء دار نهارهم الغانيات الناعمات الكرائم
وجئت تلمسان التي كنت ارتجي كما ذكروه في كتاب الملاحم
وخلصت من غصابها دار ملكنا وطهرتها من كل باغ وظالم
لقد اسلموها عنوة دون عزة وقد طلقوها بالقنا والصوارم
ولم يغنهم ما شيدوا من معاقل ولم يجرهم ما حصنوا من معاصم
ولاكنه الجيش اللقاء منذ رعاوا ملا اعدوا من فرس وسواهم
اذا لم يكن للمرء سعد مساعد فما تغني تعداد الجيوش الخضارم
نظمنا شتيت الملك بعد افتراقه وكم بات نهبا شمله دون ناظم
شددنا له ازرا وشدنا بناءه باوثق اركان واقوى دعائم
فعادت ملوك الارض تأتي مطيعة الى بابنا تبغي التمام المكارم
وجاءت لنا من كل اوب ووجهة فبايعنا طوعا اسود العمائم
انا الملك الزابي ولست بزابي ولاكنني مفني الطغاة الاعاجم

تنتج وجانبا مخصبا نعلمه وإذا عملنا بوصيتي يرجون لسلطانك الدوام ولجلا
لك سعادة الأيام والله يلقيك عليك فيما دونته إليك

الباب الثاني في قواعد الملك وأركانه وما يحتاج الملك إليه الملك في قوام سلطانه

وهي أربعة قواعد قاعدة العقل وقاعدة السياسة وقاعدة العدل وقاعدة
جمع المال والجيش على الترتيب **قاعدة العقل** اعلم يا بني
أنه لما خلق الله العقل فقال أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر **فقال الله**
عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب إلي منك **وعن أبي الدرداء**
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من
ربك حسنا **وقال** صلى الله عليه وسلم أفضل الناس أعقلهم **وقال ابن عباس**
رضي الله عنه سألت عائشة رضي الله عنها عن الرجل يكثر قيامه ويقل رقاده و
عن الرجل يكثر رقاده ويقل قيامه أيهما أفضل **فقالت عائشة** رضي الله
عنها سألت **رسول الله** صلى الله عليه وسلم عن حاليهما فقال أحسنهما أحسن
عقلا قالت قلت يا رسول الله إنما أسألك عن عبادتهما قال إنما ينظر لعقولهما
فأيهما أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة **وعن ابن عمر** رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجبوا من إسلام امرئ حتى تعرفوا عقدة
عقله **وعن أبي وهب** بن منبه قال وجدت في بعض ما أنزل الله على أنبيائه أن الش
يطان لم يكابد شيئا أشد عليه من مومن عاقل وإنه يكابد مائة جاهل فيستخف
بهم ويركب رقابهم فينقادون إليه كيف شاء ويكابد المومن العاقل فيصعب عليه
حتى لا ينال منه شيء من حاجته **والعقل غريزة** يضعها الله حيث شاء
وهو نور يقذفه الله تعالى في القلوب العاقلة وهو ينقسم قسمين غريزي ومكتسب
فالغريزي ما يقع به التمييز بين الصور والحقائق والتمييز بين الأخلاق والخلائق
والمكتسب هو نتيجة وهو إصابة الفكرة ونقاوة المعرفة وليس له حد ينتهي
إليه لأنه لا يتناهى إن استعمل وينقص إن أهمل وزيادته تكون بأمرين أحدهما
أن يقارن صاحبه من مبدإ النشأة ذكاء أو حسن فطنة كما قال الأصمعي لأعرابي
أو لأحد العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وتكون أحمق قال لا والله قلت ولم

قال

قال أخاف أن يجني علي حمقي جناية فيذهب مالي ويبقى حمقي واستنتج هذا الصنف
يزكا به ما يرى على من هو أكبر منه سنا **الوجه الثاني** فيما يحصل لذوي
التجربة من زيادة العقل والعلم ثم الجهل ولذلك حمدت بعض آراء الشيوخ حتى قالوا
الشيوخ أشجار الوقار وينابيع الأخبار ولا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم **واعلم**
يا بني أن بالعقل تتميز أصناف العالم ونفع التفرقة بين الأناسي والبهائم **وبالعقل**
تفصل بين الحق والباطل والمفضول والفاضل والعالم والجاهل والجائر والمستميل والصحيح
والعليل **وبالعقل** تكتسب الفضائل وتجتنب الرذائل **وبالعقل** يعقل المرء نفسه
ويجعل خاتم الملك في يده **وبالجملة** فبالعقل تقتنى المآثر الفاخرة وتجمع بين الدنيا
والآخرة **فإذا تقرر هذا** فالملك بالنسبة إلى العقل على أربعة أقسام ملك
له عقل يصلح به دنياه وأخراه **وملك** له عقل يصلح أخراه دون دنياه **وملك**
له عقل يصلح به دنياه دون أخراه **وملك** له عقل لا يصلح به دنياه ولا أخراه
القسم الأول الملك الذي له عقل يصلح به دنياه وأخراه **يا بني** وهذا هو العقل
التام الذي تميز به الخاص من العام والسياسة الكاملة التي تعلو بالمنفعة الشاملة
يا بني وعلامة المتصف به أن يكون فيما بينه وبين الله عز وجل حسن النية
وأن يسير في الرعية بأحسن سيرة وأن يكون حاكما على هواه يوثر عقله على ما سواه
وأن يحب لرعيته ما يحب لنفسه وما يستجلب به الرعايا من لطف أنسه كما قال سالم
ابن عبد الله لعمر بن عبد العزيز يا أمير المومنين اجعل الناس ثلاثة كبيرهم أبا وأوسطهم
أخا وصغيرهم ولدا فبر أباك وأكرم أخاك وارحم ولدك فإذا كان الملك على هذه الخصال
التي ذكرناها ومن الآداب التي بيناها اقتضى ملكه الدوام وأجمع على محبته الخاص
والعام ورجي له النصر في كل مقام وتسنى له الظفر بكل المرام وبات يبقى ذكره دائما
والثناء عليه قائما **وهذا في الملوك** كعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان له عقل أصلح
به دنياه وأخراه ونال من كليهما ما تمناه **فروي** أنه كان له غلام يسمى
درهما فخطب له فقال ما يقول الناس يا درهم قال وما يقولون الناس كلهم بخير وأنا
وأنت بشر قال وكيف ذلك قال إني عهدتك قبل الخلافة عطرا لباسا فاره المركب طيب
الطعام فلما وليت الخلافة رجوت أن تستريح وأتخلص فزاد عملي شدة وصرت أنت
في بلاء ومحنة فقال له أنت حر فاذهب عني ودعني وما أنا فيه حتى يجعل الله لي فرجا ومخرجا
فهذا عمر بن عبد العزيز كان هذا الحال في خلافته من التقشف وضعف المعيشة مع قوام
الملك والجري على السبل السوية والنظر في أمور الرعية وإجراء الخلافة على عوائدها الشر
عية **فروي** أنه كان في بني إسرائيل رجل من العباد المبرزين في العبادة الموصوفين
بالزهادة وكان إذا دعا ربه أجابه وإذا سأل أعطاه وآتاه وكان سائحا في الجبال

كان في بني إسرائيل رجل

فوافاه في الليل وكان الله تبارك وتعالى قد سخر له سحابة تقيم معه حيث يقيم تتشكك
عليه ماء متى شاء غيم فيتوضأ ويشرب إلى أن غزاه فتور في بعض الأوقات فزال الله عنه
سحابته وحجبت إجابته وكان إذا ذكر حزنه وغيبته وطال الكمد ووجيبه وما
زال يشتاق إلى الكرامة المضنون بها عليه فيبكي ويتأسف ويتحسر فنام ليلة من
الليالي فقيل له في نومه إن شئت أن يرد الله عليك سحابتك فصل إلى الملك فلان القلاني
في بلد كذا وكذا وسله أن يدعو لك فإن الله عز وجل يردها عليك ويسوقها إليك قال
فسار الرجل يقطع الأرض حتى وصل البلدة التي ذكرت له في المنام فدخلها وسأل عن الملك
فأرشد إلى قصره وإذا عند باب القصر غلام قاعد على كرسي عظيم وعليه كسوة
هائلة فوقف الرجل إليه وسلم عليه ورد عليه السلام وقال ما حاجتك قال أنا رجل
مظلوم جئت لأرفع إلى الملك نازلتي قال إنه لا سبيل إليه لأنه قد جعل لأهل المسائل
يوما يدخلون فيه عليه وهو يوم كذا وكذا فصبر الرجل حتى يأتي ذلك اليوم
قال فأنكر الرجل عليه احتجابه عن الناس وقال كيف يكون هذا وليا من أولياء الله تعالى
وهو على مثل هذا الحال قال الرجل فلما كان اليوم الذي ذكر له البواب وصل فوجد
عند الباب أناسا ينتظرون الإذن لهم بالدخول قال فوقف إلى أن خرج وزير عليه
ثياب عظيمة وبين يديه سدنته وعبيده فقال ليدخل أرباب المسائل قال فدخلوا
ودخل العابد في الجملة فإذا الملك قاعد وبين يديه أرباب مملكته على مقاديرهم
ومراتبهم فوقف الوزير يقول واحدا بعد واحد حتى وصلت النوبة إلى العابد فلما
قدمه الوزير نظر إليه الملك وقال مرحبا بصاحب السحابة اقعد حتى أفرغ لك
قال فتحير الرجل من قوله واعترف بمزيته وفضله فقضى الملك من النائبين وفرغ منهم ثم قام
فقام الوزراء وأرباب الدولة والمملكة وأخذ الملك بيد العابد وأدخله إلى قصره
فوجد عند باب قصره أسود عليه ثياب وفوق رأسه الأسلحة وعن يمينه وشماله دروع
وأتراس فقام إلى مولاه وفتح باب القصر فدخل الملك وبيده صاحب السحابة فإذا
بيت حذيه باب قصر خلق فقال افتحه ودخل دارا في أقصى قصره فأدخله إلى
بيت ضيق ليتعبد فيه العبادة وخرج للوضوء فجرد الملك ثيابه ولبس ثياب العباد
ذلك ثم قعدوا فقعد العابد ونادى يا فلانة فقالت لبيك فقال لها أتدرين من ضيفنا
هذا اليوم فقالت نعم هو صاحب السحابة فقال اخرجي لا عليك منه فإذا امرأته
كأنها الخيال وكان في وجهها الهلال عليها جبة صوف وقناع صوف فقال الملك
يا أخي إنه كان لي في هذا الأمر آباء كرام ما يتداولون المملكة ويتوارثونها كابرا عن
كابر إلى أن ما ترى ووصل الأمر إلي وبغض الله إلي الدنيا فأردت أن أسيح في الأرض
وأرى الناس ينتظرون أن نعيم مخيف عليهم من دخول الفتنة وتضييع الشرائع

وتشتيت

وتشتيت شمل الدين فبقيت على كره مني فتركت أمورهم على ما كانت عليه وجعلت العبيد
على الأبواب إرهابا لأهل الشر وردعا عن أهل الخير وإقامة الحدود فإذا فرغت منه أتيت إلى
دخلت منزلي وأزلت هذه الأثواب ولبست ما ترى مثل عيشه وهذه ابنة عمي وافقتني على
الزهادة والعبادة ونحن على هذه الحال منذ أربعين سنة ثم قالت الليلة عندنا فبت
عندهما ثم فأما يصليان ويبكيان إلى الصبح ولما كان عند الصبح قال اللهم إن هذا يطلب منك
رد سحابته قال وأمنت الزوجة قال فإذا بالسحابة قد نشأت في السماء فقال لي البشارة
قال فودعتهما وانصرفت والسحابة تتبعني وأنا بعد ذلك لا أسأل الله بحقهما شيئا
إلا أجابني **انظر** يا بني هذا الملك كيف كانت حالته في خلافته وصلاحه
وحزمه وكفايته جمع بعقله بين الدنيا والآخرة فكان ظاهره حسنا وباطنه أحسن فهذا
هو العقل التام وكذلك ينبغي لك يا بني أن تكون فافهم **القسم الثاني** وهو
الملك الذي له عقل يصلح به آخرته دون دنياه فهذا له عقل ناقص وليس له سياسة
يا بني وعلامته أن يتشاغل بالعبادة ويجعل ما يتعلق من أمور خلافته كالزيادة ولا
يتعدى في ملبس ولا مطعم ولا يحتفل بأمور رعيته ولا يهتم ويشتغل بأهل الصلاح ويعطي
الجيش والمال الذي بهما صلاح دنياه وإجراء مضارب الولاة تأخر ماله ولا يشعرون له بهم
وضاع جيشه بسبب لعدم نظره فيهم فإن دهمه عدو فلعدم نظره في ماله وجنده لا يقدر
يصادر به عدوه عن رعيته وذلك مما يؤول إلى خراب ملكه وتعجيل هلكه لعدم اكتراثه
بأمور رعيته واتباعه فما جنى على نفسه أعظم مما جنى في انقطاعه **وقد** قال عمر رضي الله
عنه ليس الرجل رجل الآخرة وإنما الرجل رجل الدنيا والآخرة **وروي** عن المأمون أنه أنشده
مروان بن أبي حفصة الشاعر هذا البيت

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس في الدنيا مشاغيل

فلم يلتفت إليه ولا رفع رأسه ولا عرج عليه فقال مروان لعمارة بن عقيل أعلمت أن أمير المؤمنين
لا يجيد النظر في الشعر فقال عمارة ومن ذا الذي يكون أجود منه نظرا في الشعر والله لقد أنشد
البيت فنسبوا إلى الآخرة من غير أن يكون سمعه فقال مروان لقد أنشدته بيتا أجدت فيه فلم
أره رفع له رأسا يعني البيت المتقدم فقال عمارة ما زدت على أن جعلته عابدا في محراب في يده
سبحة فإذا كان أمير المؤمنين مشغولا بالدين عن الدنيا فمن يقوم بأمر الدنيا وهو المطلوب بأ
مورها هلا قلت كما قال عمك جرير لعبد العزيز بن الوليد

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

المأمون كيف غاب المدح له بالاقتصار على أمور الدين وترك ما قلد من
أمر الدنيا فاحفظ يا بني عن أن تجمع بين الدنيا والآخرة **القسم الثالث**
الملك الذي له عقل يصلح به دنياه دون أخراه **يا بني** فهذا له سياسة وليس

له عقل تام ويرجو ثبوت ملكه وانتظام سلكه بحسن سياسته التي يقوم بها امور
رعيته وان كان يظهر خلاف ما في طويته فامره راجع الى مولاه فيما اسره واخفاه
فهو يجري الناس على عوائدهم المالوفة واحوالهم المعروفة وان احدث على رعيته زيادة
لم يشعروا بها حتى كانها عادة وذلك من لطف سياسته وحسن تدبيره ورياسته
يعامل رعيته بما يجري به نفوسهم ويوجب العتب وتانيسهم ويصلح امورهم ويحوط خا
صتهم وجمهورهم هذا وان كان قد ضيع امر رعيته واصلح دنياه بحسن مجاولته فيرجى له دوام
دولته وبقاء مملكته **ودليل** هذا انتظام ملك فارس وغيرهم لسياستهم مع كفرهم
وكثير من ذلك موجود في جميع الوجود كما في جعفر المنصور فانه اصلح دنياه واتبع في
خلافته هواه ولم يخش في اكثر اموره اخراه **ومن احواله** مع ابن ابي ذيب ومالك بن
انس وابن سمعان ما يروون ان مالك بن انس قال رفع الملاقون المشاءون بالتهمة عني الى
ابي جعفر بكلام كان قد حفظ علي فاتاني رسوله وانا بني وذلك بعد مجاري معارفه
له وجه وجهي من عنده فلما اعلمني الرسول بذلك لم اشك انه القتل فجمع عنا من عهدي
واغتسلت وتوضات ولبست ثياب كفني وتحنطت ثم هبطت فدخلت السرادق وهو
قاعد على فراش قد نضد بالدر والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر **حكي** لي انه من
فروش هشام بن عبد الملك كان هذا قد اهداه اليه صاحب القسطنطينية لا يعرف ثمنه ولا
يدري ما قيمته والشمع تحته وبين يديه وهو ينظر في صحيفة في يديه وابن ابي ذيب وابن
سمعان قاعدان بين يديه فلما ان صرت بين يديه سلمت ورفع راسه فنظر الي وتبسم
وهو شبه المغضب ثم رمى بالصحيفة واشار الى موضع من يمينه اقعد عليه فلما جلست
واخذت مقعدي وسكن روعي رفعت راسي انظر تلقائي فاذا بواقف عليه درع وبيده
سيف قد شهره وهم اجمعون قد اصغوا اليه ورمقوه بابصارهم خوفا ان يامره ان يحز بيده
عاقلا ثم التفت الينا فقال اما بعد فقد بلغ امير المومنين عنكم معشر الفقهاء ما قد
اشغل صدره وضاق به ذرعا وكنتم احق الناس بالكف من السنتكم واولى الناس بالطا
عة والمناصحة في السر والعلانية قال مالك فقلت يا امير المومنين قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما
فعلتم نادمين فقال ابو جعفر على ذالكم فتكلموا اي الرجال انا عندكم من ايمة العدل
ام من ايمة الجور فقلت يا امير المومنين انا متوسل اليك بالله العظيم ومحمد عليه
السلام وبقرابتك منه الا اعفيتني من الكلام في هذا فقال قد والله اعفاك يا
امير المومنين ثم التفت الى ابن سمعان فقال له ايها القاضي اي الرجال انا عندك ناشدتك
الله تبارك وتعالى قال ابن سمعان انت والله يا امير المومنين خير الرجال تحج بيت الله
الحرام وتجاهد العدو وتامن السبل ويامن الضعيف بك ان ياكله القوي وبك قوام

الدين

الدين وانت خير الرجال واعدل الايمة ثم التفت الى ابن ابي ذيب فقال له ناشدتك
الله اي الرجال انا عندك قال انت والله عندي اشر الرجال لانك استاثرت بمال الله ورسوله
وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين واهلكت الضعيف واتعبت القوي في اموالهم
وسفكت الدماء في غير حقها فما حجتك عند الله غدا بين يديه عز وجل فقال ابو جعفر
ويحك اتعقل ما تقول انظر ما امامك قال نعم قد رايت اسيافا وانما هو الموت ولا بد منه فما لا بد
منه عاجله خير من اجله قال مالك ثم خرجوا وجلست فقال لي اني لاجد رائحة الحنوط
عليك فقلت اجل لما نمي اليك عني ما نمي ثم جاءني رسولك بالليل لم اشك انه القتل فا
غتسلت وتحنطت ولبست ثياب كفني فقال ابو جعفر سبحان الله ما كنت لاثلم الاسلام
واسعى في نقضه وهدمه او ما تراني اسعى في اقامة اود الاسلام واعزاز الايمان عافاك الله
مما قلت يا ابا عبد الله انصرف راشدا مهديا الى مصرك وان احببت ما عندنا فنحن لا نوثر
عليك احدا ولا نعدل بك مخلوقا فقلت ان يجبرني امير المومنين على ذلك فسمعا وطاعة
وان يخيرني اخترت العافية ولزوم هذا الحرم الكريم فقال ما كنت لاجبرك ولا اكرهك انت
انقلب معافا قال مالك فانقلبت في ليلتي فلما اصبحنا امر ابو جعفر بصرر دنانير
في كل صرة خمسة الاف درهم ثم دعا رجلا من شرطته فقال له تقبض هذا المال وتدفع الى
كل رجل منهم صرة وان مالكا قال لك اما مالك ابن انس فان اخذها فسبيله لا جناح عليه
فيما فعل وان اخذها ابن ابي ذيب فاتني براسه وان تركها فهي عليه عافية وان يكن
ابن سمعان يردها فاتني براسه وان اخذها فسبيله فنهض بها الى القوم فاما ابن
سمعان فاخذ وسلم واما ابن ابي ذيب فردها واما انا فكنت والله محتاجا اليها فاخذ
تها ثم رحل ابو جعفر الى العراق **وكعبد الملك** بن مروان وتجبره وتوليته
الحجاج بن يوسف على العراق فمن ذهابه ان العامة تنسب الظلم الى الحجاج لا اليه وانما الخلا
فة فلا يرد ذو القوة عليه وما فعله الحجاج من الدماء فانما هو في الحقيقة على يديه ومن
حصار مكة وهدم الكعبة فانما الحجاج سيئة من سيئات عبد الملك فهؤلاء طلبوا في
ثيابهم وعقلوا اغراضهم فينبغي لك ان تتحلى بحسن سياستهم وتتجنب ما احدثوه من ظلم
في رياستهم **القسم الرابع** ملك له عقل لا يصلح به دنياه ولا اخرته فهذا
باتوله عقل ناقص ولا سياسة له **وعلامته** ان يجور على رعيته ويسيء اليهم ويحدث
الحوادث عليهم ويحسن لمن اساء ويسيء لمن احسن ويظهر خلاف ما اضمر ويظهر خلاف ما انطوى
هذا مع انهماكه في لذاته واستغراقه في شهواته واشتغاله في جميع اوقاته وتقليد الامور
غير مستحقيها وتوليها غير اهلها وهذه افعال الشياطين لا افعال السلاطين وشيم الفتاك
لا شيم الاملاك وهذا غلب على عقله هواه فالحكم من تصرفه من الفساد ما
نكر من فعله وجنايته على نفسه وعلى رعيته اضرت باوليته واخرويته فهذا اول الوزرا

انه عاقل ولا يتبين له في الحقيقة عقل ولا السياسة افسد دنياه واخرته **ويروى**
انه بلغ من دنياه بطائل وهذا كالوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان فانه كان كثير
الهذيان، خالعا لانهاك العذار، سيئ السيرة، خبيث السريرة، جائرا على اهله
مسيئا في فعله اخذ في بيت الاحرار العظيمة واخرجهم بالمثلة الذميمة، هتك
حرمتهم واهدر دمهم، وسفك دماءهم، وخرب ديارهم وكان ابعد عن العدل
عادل ولا يغني عنا القول فاهل البوار افجر هتكه، وساء به فتكه، فانتقم ملكه
جرا اشتهاره في المراء وانهماكه مع الندماء انه سمع عن ابن شراعة الكوفي وكان منهمكا
كثيرا وكان شهيرا، فبعث من الكوفة وعندما وصل اليه وتمثل بين يديه، قال
له يا ابن شراعة ما ارسلت اليك ان اسالك عن كتاب الله ولا عن سنة نبيه فقال له
المنهمك والله لو سالتني عنهما لوجدتني حمارا قال وانما ارسلت اليك لاسالك عن
القهوة، فقال انا دهقانها الخبير ولقمانها الحكيم، وطبيبها الحاذق واجابه بما يقبح
ذكره ويطوي نشره، فلما اكثر تخلعه وانهماكه واطراحه لسياسة الخلافة وانتها
كه اجمعوا على قتله وسعى ذمه وولوا الخلافة ابن عمه فكانت خلافته عاما
واحدا وشهرين وعشرين يوما **وهذا** ايضا كالامين ابن هارون الرشيد فانه
كان ضعيف الرأي ناقص العقل قليل السياسة عديم محاسن الرياسة، فقدمه ابوه هارون
على اخيه المامون لشرف امه زبيدة وبعد التحالف عيسى بن جعفر وتعصب في هاشم
وكان الرشيد اعرف بهم هو اولى منهما بالتقديم لكنه غلب عليه وفي ذلك يقول الرشيد

لقد بان وجه الرأي لي غير انني ... غلبت عن الرأي الذي كان احزما
وكيف يرد الدر في الضرع بعدما ... توزع حتى صار نهبا مقسما
اخاف التواء الامر بعد استوائه ... وان ينقض الحبل الذي كان ابرما

ولم يتول الخلافة هاشمي بن هاشمية بعد الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
غير الامين **حكي** ان امه رات في الليلة التي علقت به كان ثلاث نسوة
دخلن عليها فقعدت احداهن عن يمينها ووضعت يدها على بطنها ثم قالت ملك ضخم عظيم
البدن ثقيل الحمل نكد الامر ثم قامت الثانية ففعلت فعل الاولى وقالت الثالثة
ملك عظيم الاتلاف كثير الخلاف قليل الانصاف **قالت** ام جعفر فانتبهت
وانا فزعة فلما كانت في الليلة التي وضعت فيها محمد الامين دخلن علي في الصورة
التي دخلن علي فيها فقعدن عند راسي فقالت احداهن شجرة نضرة وريحانة
عطرة وروضة زهرة **وقالت** الثانية عين غرقة قليل لبثها سريع فناؤها
وقالت الثالثة عدو لنفسه ضعيف بطشه سريع غشه
عاما خذها بها
مستوال عرشه، فاستيقظت من نومي وانا فزعة واخبرت بذلك بعض قهارمتي

فقال

فقال هو بعض ما يطرق النائم فلما فصلته اخذت من ثديه فدخلن علي في مهده فوقفن
على راسه واقبلن علي وقالت احداهن ملك جبار متلاف مهذار بعيد الاثار، سريع العثار
ثم قالت الثانية ناطق مخصوم ومحارب مهزوم وراغب محروم **وقالت** الثالثة احفروا
قبره وشقوا لحده واعدوا جهازه وقربوا اكفانه فان موته خير من حياته **وكان** الامين
هذا ضعيف العقل **ذكر ابراهيم المهدي** قال استاذنت على
الامين وقد اشتد عليه الحصار من كل جهة فابوا ان ياذنوا لي في الدخول الى ان كابرت
ودخلت فاذا هو قد قطع دجلة بالشباك وكان لها مخرج في وسط القصر وفي المخرج
شباك حديد فسلمت عليه وهو مقبل على الماء والخدم والغلمان قد انتشروا في البركة
وهو كالواله فقال لي وقد نثرت السلام عليك لا تؤذني يا عمي قد ذهبت مقرطتي من البركة
الى دجلة والمقرطة سمكة كانت صيدت له صغيرة فقرطها بحلقتي ذهب فيهما حبتا
جوهر فخرجت وانا ايس من فلاحه **فلا ينبغي** لك يا بني ان تكون مثل هؤلاء الذين افسدوا
اخرتهم ودنياهم.

القاعدة الثانية وهي قاعدة السياسة

اعلم يا بني ان اصل السياسة التدبير ولا يكون التدبير الا بفكر صائب
سليم لانه من يفكر تدبر ومن تدبر قدر كاد الغدر ان يعجم من القدر ومن حسنت سياسته
دامت عظمت رياسته. **والفكرة** مرآة تريك حسنك من قبيحك فلا تهجم على امر
الا بعد فكرة وروية ولا تنفذه الا عن بصيرة لان من طال تفكره حسن تدبيره ومن ركب
العجلة لم يامن الكبوة والزلة الا في انتهاب الفرصة وازالة الغصة **ومن نظر في العوا**
قب امن من المصائب ومن لم يستعمل فكرته فيما عليه وله فاتت فطنته وطاشت
حفظته وعميت بصيرته، وهو النظر الصحيح قبل الفعال فهو انجح المسالك **واذا تقرر**
هذا فاعلم يا بني ان الملك بالنسبة الى السياسة على اربعة اقسام **القسم الاول**
ان تكون سياسة الملك على تدبير بشير ورأي صائب رشيد **اعلم يا بني** انه
ينبغي لك ان تتدبر وزرائك وجلسائك وكتابك وفقهائك وقضاتك واعوانك
وعمالك وقوادك واجنادك فاما وزراؤك يا بني فيجب عليك ان تختار وزيرا كبيرا
مهذبا حكيما بالامور بصيرا يجمع من محمود الخلال ثمانية من الخلال وهي ان يكون من
خيار قومه وعترته وكبير عشيرته وبيته وان يكون وافر العقل عارفا عالما بالجهل حاضر
الذهن ثاقب الفهم راجح الرأي محمود السعي محبا ناصحا ودودا طائعا شجاعا في
المهمات وعند نزول الملمات حسن الصورة فصيح اللسان بديع العبارة بليغ البيان
كثير المال غنيا ذا حاجة ولا اقلال **واما** كونه من خيار قومه وعشيرته فانه يكون
محافظا على بيته ومروءته مجانبا للنقائص والشبهات متنزها عن المعائب في جميع الحا
لات **واما** كونه وافر العقل وافي الفضل فانه يكون محافظا على سرك اذا اودع

دهرى صادقا في حضره وحضره غير مغتاب
عندهم في مغيبه اعلى ما يعود عليك بالمطمع ابواب الملوك منه يتوصل الى الخير
لا احد وان ساء في ضره ومثل الغضب حبل الفضل لان العزر سريع الغضب قليلا يدخله في نص
وبها يتقى من النصح **واما** كونه يابس حاكم الرهبة **واما** كونه بابنتى
وانه وليعلم الاشياء بادنى اشارة ويتعطى الامور بغير عبارة فلا يغش لسلطانك لتمشيته
مختاره سلطانك فان يكون ناصحا في حرستك مقبلا على شانك او دفع مضرة **واما**
فيك بل يشيع عرضك ويوهبك ولا يدخل عليك ما تجلب منه وحرمه احسن سعي وان
كونه يابس اجمع العقل والراى فان يشعر في الصالح بحرة ويطلع رايك وربما كان في بعض
اشكل عليك شيء من امور رايك ردك بحسن مشاركته التي يصلح رايك ويشهك عن الغلط
الاخبار في رايك تغضيم فيصلح عليك هذا الوزير بحسن التدبير فلانه يجري عنك في الحركات
في التغرير **واما** كونه شجاعا عند نزول المهمات في الامور العظيمة والخطوب الجسيمة التي لا بد
ولا يلحقك في الحروب الى الملاقات **واما** كونه كثير المال والثروة
فيها من حضور السلطان جمع الابطال والشجعان ويظل به الاطماع **واما**
فليستغني بثروته عن الطمع والرشوة فيكثر به الانتفاع **واما**
كونه حسن السيرة فصيح اللسان فلانه جمال ملكك وترجمانه الواضح البيان واذا
كملت هذه الاوصاف في الوزير صلحت به امور المملكة في القليل والكثير وكان ذلك في الوزراء
ودل ذلك على عقلك حين انتظام السلك واتصل به الملك
امور نصيحه وانتظم مشيه ومع ما ذكر تأمن الاختبار فلا
استوزرته فيما رايته من تقويته للوزارة وتدبيره **فهذا** بيان امر الوزراء
فغليه من الاختبار وعند الامتحان يكرم الرجل ويهان
من نفيسة الدنيا الدنية فيحتمل هذه الاوصاف عليه لطلبه للذاته واتباعه لشهوا
ته واخلاده الى راحته فاذا كان الوزير لا يكترث بالدنيا ولا يتبع فيها الهوى فذلك نعم
الوزير والمباهي به والنظر **فلنا** ينبغي للوزير ان يكون احسن فطنة وسياسة
وراياً من الملك لان الملك يسوس من دونه من رعيته **واما** الوزير فانه يسوس من فو
قه وهو الملك ومن دونه وهم الرعية فيحتاج الى فضل سياسته وحسن فطنته في
وعلمه فاما من فوقه وهو الملك فيحتاج لما يقابله به ويلاطفه في موضعه ويصلح
عليه احواله وما يتقرب به الى سلطانه **واما** سياسته لمن دونه فيحتاج بها الى
ان يسوسهم باحسن السياسات مما يحفظ رتبته عند سلطانه لان الوزير لا بد له
من اعداء وحساد على منزلته وطالبين على مرتبته فيحتاج الى التحرز منهم بحسن السيا
سة فهو بين امرين خائف من فوقه وهو الملك ومن دونه ممن يطمع في مرتبته ويرغب
في منزلته فاما من فوقه فانه يخشى ان يقع في مشتبهات تنسقط عند
سلطانه واما من دونه فانه يخاف ان يفتروا عليه بعض الافتراءات ويأتوا عليه

بالبهتان والاقاويل الكاذبات ومن اعجب الاشياء ملك صالح ووزير صالح او ملك
صالح ووزير صالح ومثل هذا كمثل الماء والنار كلما انبثق الماء من العشب والكلام فيه
النار يجرها لانه كلما عمل امرها منه المشترى الاخر بعضه والوزير الصالح وان كان ملكه صالحا
انفع واحسن من الوزير الصالح اذا كان ملكه صالحا لان الوزير يباشر الاشياء جليلها وحقير
ها وعظيمها وخطيرها ويطلع على سلطانه بسره واعلانه لان الملك لا يحيط بجملة من
الامور الا ما يوصله اليه وزيره وخاصته وما يريدون ان يوصله اليه فلذلك كان الوزير
الصالح خير من الملك الصالح ومثل هذا يسمى بالناصح **وقد قالت الحكماء**
مثل السلطان كمثل الطبيب والرعية كالعليل والوزير كالسفير بين الطبيب والعليل
فان كذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير اذا اراد قتل العليل من المرض وصف للطبيب نقيض
دائه فاذا سقاه الطبيب على نحو ما وصف له السفير هلك وكذلك الوزير اذا نقل للملك ما ليس
في الرجل فيقتله الملك فمن هنا ينبغي ان يكون الوزير عاقلا ناصحا صدوقا لئلا يهلك من لا
ذنب له **ومثل** الملك الصالح والوزير الشرير الذي يمنع خير الملك الناس ولا يمكنهم من الدنو
منه كالماء الصافي يكون فيه التمساح لا يستطيع المرء تناوله وان كان سابحا والماء محتاجا
ومن لم تكن فيه خمس خصال لم يرج لشيء من امور الدنيا والاخرة من لم يكن الحسب في اصله والدين
في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه والخوف من ربه فمن كان من الوزراء جامعا لهذه الامور
كان في سياسته وذهابه كوزير سابور **يحكى** انه لما عزم سابور بن هرمز على
الدخول الى بلاد الروم متنكرا متجسسا نهاه نصحاؤه وحذروه التغرير بنفسه في امر
لا يمكنه ان يستنيب فيه من يقوم مقامه **وكان** يقال اشقى الناس وزراء الاحداث من الملوك
وعشاق الفتيات من الشبان **وكان** يقال الناس صنفان الاحداث عن غي الهوى الى
رشد الراي لا من بين احدهما قوة سلطان الشهوات عليهم والثاني ان التجارب لم تعرفهم
على مخالفة هواهم وذو الحنكة بخلاف ذلك ثم ان سابور توجه نحو بلاد الروم واستصحب
وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان شيخا ذا دهاء وحزم ونسداد راي وحنكة وبصيرة بالل
بابات واللغات ونبغ في العلوم وخبرة بالعلاج فمضى اليه سابور جميع ما يظن انه به اليه الحا
جة وتدعو اليه داعية وامره ان يتجاوز عنه في قربه ومراعاته لجميع احواله في نهاره وليله
وتوجها معا نحو الشام فتزيا ذلك الوزير بزي الزهاد وتكلم بلسان الجلالقة وتعرف
بصناعة الطب الجراحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت به الجراح برات والتحمت
في الحال **قال محمد** بن ظفر عفا الله عنه فقد رايت جماعة ذكروا انهم راوا الدهن المذكور
وحدثني بعضهم انه امتحنه بان شرح اللحم ودهنه منه فالتحم فما يبلغ مكانه من
مكانه ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم وبعدما دخلها يداوي الجراحات بادوية يضيف
اليها شيئا يسيرا من ذلك الدهن فتبرا جراحهم بسرعة واذا عنى باحد من ذوي الاقدار داواه

انقض عصيان سابور لوزرائه

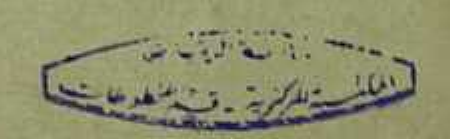
بذلك الزهد صرفا فيما يصير امكانه ولا ياخذ على المداواة اجرا فانتشر له في بلاد الروم
ذكر وصيت بالعلم والزهد وكان يقول من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد
اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن
غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المداراة اجتنى السلامة ومن غرس الطمع
اجتنى الخزي ومن غرس الحسد اجتنى الكمد وكان يقول الامم على اختلاف اديانها
وازمانها وبلدانها متفقة على تمجيد اخلاق اربعة العلم والزهد والاحسان والامانة
قيل فانطلق سابور ووزيره متنكرين من دير ابي الوزير يراعي احوال سابور اشد المرا
عاة فلم يزل على ذلك حتى [illegible] فاجمع الشتاء وتجاوز الدرب وقصد القسطنطينية
فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير هذا الاسم ابو الاباء فاستاذن عليه
فاذن له وسأله عما يريد فاخبره انه هاجر من ارض الجلالقة ليتنصر فيتعلم منه ويرحل
في اتباعه واهدى اليه هدية نفيسة حسن موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن
نزوله والحقه ببطانته واختبره فوجده لبيبا ممتعا فاعجب غاية الاعجاب وجعل
الوزير يتأمل اخلاق البطرك ليصحبه بما يوافقه ويتقي به عنده ويحسن موقعه منه
وكان يقال اذا اردت صحبة رئيس فانظر ماذا يستميله ويبعد عنه من الآفات
فان كنت مطيقا للعمل به في طلب اقباله عليك وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فاعرض
نفسك على ذلك حتى تعلم انك قد اطقته واحكمته فتقدم على بصيرة قيل فلما
تأمل وزير سابور اخلاق البطرك وجدها مائلة الى الفكاهة معجبا بنوادر الاخبار واخذ
الوزير في الغاية من ذلك بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فلم تطل المدة به في صحبته
حتى علق بعينه وصار الصق به من شعرات فصه وجعل مع ذلك يعالج الجرحاء ولا ياخذ
على ذلك عوضا فعظم قدره في النفوس ووسعته القلوب وكان يقال اذا كانت
القلوب مجبولة على مقت المحسنين وكانت المحبة رقا والاحرار يكرهون الاسترقاق والحر
على الحقيقة من قرى نفسه بر المحسنين لمكافاتهم على احسانهم جهده حتى اذا لم
يستطع فليلق بنفسه لهم معذورا وجعل الوزير يتعرف احوال سابور في كل وقت الى
ان صنع قيصر وليمة وحشر اليها الناس على طبقاتهم وتهدد من تخلف عنها فاراد سابور
حضورها ليطلع على هيئة قيصر وهيئته في قصره وذخائره فنهاه الوزير عن التغرير
بنفسه فعصاه وتنكر وظن انه يشتبه به امره ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة
وكان قيصر لما بلغه ما ابتلى الله به سابور من لطف الفطنة وعظم الهمة وشدة الباس
في حال صباه حذره وهاب شره فبعث الى حضرته مصورا ماهرا فحكى سابور في مجلسه
وركوبه وغير ذلك من ضروب الاحوال التي شاهده المصور عليها وقدم بتلك الصورة
على قيصر فامر قيصر ان تصور تلك الصورة على فراشه وستوره وفي الآت اكله وشربه

فصنع

فصنع ذلك على ما امر به ورسم ولما دخل سابور دار قيصر واستقر في مجلسه وطعم
مع من حضر ذلك المجلس واتوا بالشراب في كؤوس من البلور والذهب والفضة والزجاج المحكم
وكان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة فلما وقعت عينه على سابور
انكره وجعل يتأمل من شخصه ونظرته واشارته فرأى عليه مخايل الرياسة فطفق يستشعر
ولا يبعد عنه فاتى ذلك المتنبه من الروم بكاس فيه صورة سابور فتأملها فانطبعت في
نفسه مثالا لذلك الشخص الذي انكره وغلب على ظنه انه سابور فامسك القدح من يده
امساكا طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة التي في هذا القدح تخبر خبرا عجيبا فقيل
له ما الذي تخبرك هذه الصورة فقال تخبرني هذه الصورة ان الذي هو مثال له معنا في مجلسنا
هذا ونظر الى سابور وقد تغير حين سمع مقالته فحقق ما ظنه به واعاد القول فبلغ كلامه
قيصر فادناه وسأله فاخبره ان سابور معه في مجلسه واشار اليه فامر قيصر بالقبض عليه
اي على سابور فقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب من العلل فقال
ذلك المتنبه لا تقبلوا قوله فهو سابور لا محالة وامر قيصر بقتله لم يعبه بذلك وان تحقق
لهم بانه سابور وكان يقال ان قلوب الحكماء تستشف الاسرار من لمحات الالحاظ وحال
ما دلت الابل الهمات على ارواح المنتظرات وقيل كما ان الابصار مرائي تنطبع فيها
المشاهدات اذا سلمت من صدا الآفات فكذلك العقول مرائي تنطبع فيها الغائبات اذا
سلمت من صدا الشهوات وقيل من الادلة على مكاشفات الله القلوب على بعض الغيوب
ان الانسان قد يتوقع الشيء على نحو ما توقع منه فقد يرى الانسان فيحبه لغير احسان
وصل منه اليه او يبغضه لغير اساءة جناها عليه ثم يكون منه الاحسان او الاساءة قيل
ولما اعترف سابور بصدق ذلك المتنبه حبسه قيصر مكرما وامر فجعلت له من جلود البقر
صورة بقرة كاعظم ما يكون من البقر وطبقت عليه الجلود سبع طبقات واتخذ لها بابا من
اعلاها في ظهر الصورة يدخل اليها ويخرج منها وجعلت فيها كوة من اسفلها في موضع المبال
والبال وامر بسابور فجعلت يده الى عنقه بجامعة من الذهب ذات سلسلة تمكنه معها تناول
ما يصلحه من طعام وغيره وادخل سابور في جوف تلك الصورة وهذا بعد ان حشر قيصر جنوده
واستعد لغزو بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة التي سجن بها سابور مائة رجل من ذوي الباس
والقوة يحملونها دولا بينهم وجعل على كل خمسة منهم زعيما يضبط امرهم وصرف امر جميعهم
الى المطران ومعنى هذا اللقب صاحب البلد الا انها رياسة دينية وهو خليفة البطرك وكا
نت تلك الصورة التي فيها سابور تحمل بين يديه فاذا نزل العسكر نزلت الصورة المذكورة
في متوسط العسكر وضربت عليها قبة سنية واطاف بها خمسين من الموكلين وزعماؤهم
معهم وضربت حولها عشر قباب منتشرة فيها وكان في كل قبة خمسة وزعيمهم معهم وضربت
حولها للمطران قبة مجاورة قبة سابور وضربت خارج القباب كلها خيمة يصنع فيها طعام

وطار فيهم متعلقا في جنوده وقد عزم على
الموكلين بغير سابور على حسب اقدارهم ومراتبهم وكان يقال الحزم التماس
اغرابه ببلاد العدو وتعقبه مخالم ذكرهم لعلمه ان لا دافع يدفعه عنه
ومراحات العدو ما دامت لدولته ريح اقبال ثم ان العجم اضاعة الفرصة فيه اذا ادبرت دولته
وركدت ريح اقباله وكان يقال الغافل لا يكون في سلطان ملك اجتمعت فيه خطتان الا اهلكتاه
الغفلة في الذات واضاعة الفرص وكان يقال فضل الملوك على السوقة انما يكون بفضيلة الذات
لا بفضيلة الالات وفضيلة ذات الملك تجمير خطار رحمة تشمل رعيته ويقظة تحوطهم وصولة
تردع عنهم ولبابة يكيد بها الاعداء وحزامة ينتهز بها الفرص **وأما فضيلة**
الالات فباتخاذ المباني الوثيقة العلية والملابس الانيقة السنية والزخارف النفيسة الشفيفة
والمطاعم اللذيذة الشهية والمراكب الشريفة البهية وهذه فضيلة تفضل بها الالات على
ما دونها من اجناسها فيكون للقصر فضل على غيره من القصور وللثوب فضل على غيره من الثياب
وللزخرف فضل على غيره من الزخارف وللطعام فضل على غيره من الاطعمة وللدابة فضل على
غيرها من الدواب والفضيلة لهذه الاشياء للالات كما قيل فلما سار قيصر بجنوده
ومعه سابور على الهيئة التي ذكرناها قال وزير سابور للملك ان مما استعرت به حزمك
والتعب بمنك الرعية في صلاح الاعمال وانه لا عمل انفع من تعجيل كربة عن مجهود ودفع
الى مضيك وقد علمت كفايتي في معانات الجرحاء واني نعدي لنشار عن الرحمة الملك قيصر في
شوه هذا فلعل الله ان يشفعني بعيشا طاعة بيرحم على من اجلها ويعز من قلبي نحن منها
ويسطني بها في الملك ذلك وقال له لقد علمت اني لا استطيع من اركب ساعة وقد يعيب
تطالبني بالسعي البعير عني ما ظننت انك تلقاني بما اكرهه وتسعفني بما يشق على احتمال
له كالم الظنك تورث شيئا من الاشياء على الغرابة والتعجب التي قد ازلتني عن حسن ظني بك
ولم يزل الوزير يتضرع الى الملك ويتملقه ويقارب له العود الى ان سمح له بذلك فاذن
له وزوده وكتب معه كتابا الى الملك ان يخبره فيه انه قد بعث اليه بشويه فليه وسواد
بصره فليجلله من نفسه باعلى المراتب ويستضيء به فيما اشكل عليه فقدم الوزير على الملك
الملكان فعرف حقه وانزله معه في قبته وجعل زمام امره ونهيه بيده وجعل الوزير
يتبع عند الملك لما يعجبه ويستميله لما يميل اليه ويطرب كل ليلة باخبار ممتعة
رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسلى بذلك ويدبر في حديثه ما يجب ان يعلمه
سابور من الاخبار ويعظمه له من الاسرار فكان سابور يجد لذلك اعظم راحة وكان الوزير
قد اعد لخلاص سابور انواعا من المكايد رتبها واتقنها عند ما قدم على الملك ان **وكان**
يقال قد ظن من الملوك ان لفطنته فضيلة على فطنة وزيره فقد غلط وان اضاف الى
هذا الغلط مخالفة الوزير لم يفلح وانما كانت فطنة الوزير اثقب من فطنة الملوك لان
الملوك يتعقبون ابدا في سياسة من دونهم من الرعايا فهم اشبه شيء بالجوارح التي

تصبر



انكى احصر الوزراء

تصبر ويعتبر وتصبرها ايضا جوارح اشرفها فهي اعرف الجوارح بمكابدة الاحتراز ومكابدة
الاكتساب **وكان يقال** احسن الوزراء حالا امرا عند كل امر يحذر وقوعه ويكيد
كونه عدة فاذا وقع الامر قابله لما يكون اعد له واسوء الوزراء حالا من توكل على
فطنته وقوة جبلته ودربة ممارسته فترك الاعداد للامور قبل نزولها ثقة بنفسه
وانما هو في ذلك بمنزلة من ترك تزود العدو واعداده ونزويته توكلا على فصاحة
لسانه وقوة بديهته وحضور خاطره فيوشك ان يستولى عليه العي والحصر في بعض
مقاماته وهو بمنزلة من ترك حمل السلاح توكلا على قوة بدنه وشجاعة قلبه فيوشك
ان يظفر به عدوه في بعض المواطن **قيل** وكان من المكايد التي اعدها وزير
سابور انه امتنع من مواكلة الملك وزعم انه لا يريد ان يخلط بالطعام الذي زوده الملك
طعاما غيره لما يرجوه من بركته وبركة الاعتناء به فكان اذا احضر طعام الملك اخرج
هو من ذلك الزاد فيبيع ... فلم يزل قيصر سائرا بالجنود حتى بلغ ارض فارس فاكثر
فيها القتل والسبي وتغوير المياه وقطع الشجر واخراب القرى والحصون وهو مع ذلك
يواصل السير مبادرا الى الاستيلاء على دار ملك سابور ويباغت من بها من رؤساء الفرس قبل ان
يملكوا عليهم رجلا ولم يكن للفرس همة الا الفرار بين يديه والامتناع منه بالمعاقل فلم يزل
قيصر على ذلك حتى نزل مدينة سابور ومدار ملكه وهي المسماة بجندي سابور فاحاط
بها جنوده ونصب عليها المجانيق ولم يكن عند من بها من عظماء الفرس حيلة في دفعه
باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها وكل هذا قد علمه سابور على التفصيل بما يفهمه
اياه وزيره ويرشد في حديثه من الاشارات والرموز والكنايات وكان سابور لم يسمع
منه كلمة منذ صحبه قيصر في تلك الصورة فلما راى سابور ان قيصر قد تغلب وطال تعديه
على اهل جند سابور وقد ثلم الاسوار بالمجانيق واشرف على افتتاح المدينة عيل صبره وساء
ظنه بوزيره ويئس وخرج من النجاة مما هو فيه فلما جاءه الموكل به بطعامه وشرابه
قال له ان هذه الجماعة قد نالت مني منالا اضعفت عن احتماله فان كنت تريد بقاء نفسي
فتعبثوا عني منها واجعلوا بينها وبين عنقي وبين حزما من الحديد فجاء وزير سابور
فعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه وفطن لما قصد سابور فلما اجن الليل وجلس لمسامرة
الملك قال له لقد ذكرت الليلة حديثا عجيبا ما ذكرته منذ كذا وكذا سنة ولوددت
اني حدثته الملك قبل تبعي هو حدثه **قال الملك** اني ارغب ان تحدثني به الليلة ايها
الحكيم ان اسعفك فقال الوزير نعم وكرامة ثم اندفع يحدثه رافعا صوته ليسمع سابور فقال له
انه كان عندنا بجلجفية فتى ومنزله في نهاية العسر والفقر واسم الفتى ما معناه غنيه
اهله واسم الفتاة معناه سيرة النار وكانا زوجين مؤتلفين متحابين لا يبتغي احدهما بالاخر
بدلا ان رغب اهله جملهم يوما مع اصحابه يتحدثون فتذاكروا النساء الحرائر وصف احدهم

امراة بالجمال البارع والظرف الرائع اسمها ومعناه شجرة الذهب فوقع بقلب غير
اهله ميل اليها فبذل الواصف لها عن منزلها فذكر انه بقرية غير قرية غير اهله فبقي
غير اهله في امرها وخامره حبها وطمحت نفسه اليها طموحا شديدا **وكان يقال**
العقل كالبعل والنفس كالزوجة والجسم كالبيت لهما واذا كان سلطان العقل على
النفس مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح الجسم كاشتغال المراة التي قهرها بعلها
بمصالح نفسها وبيتها وولدها وبعلها فصلحت الجملة واذا كان السلطان للنفس على
العقل كان سعي النفس واسرو نزاعتها مذمومة كفعل المراة التي قهرت بعلها **قيل**
فانطلق غير اهله الى القرية التي تسكن بها شجرة الذهب وطلب منزلها حتى عرفه ولم يزل
يتردد اليه حتى راها فرأى منظرا عظيما عجيبا ولم ير احسن من امراته ولاكنه كان ينال
من ضرورة النفس ان تخرج الى الشغل في الاحوال اذا كانت تعلقت بالتركيب الى عالم الكون وانه
والفساد ثم يشتغل بالتنعم الى عالم الفساد وما افتتح امره واختتم بالنقلة فالبو
الاحوال تتوسطه النقلة ونازعت غير اهله نفسه الى الاستكثار من رؤية شجرة الذهب
فلم يزل المعاودة اليها والتمتع بتاملها حتى فطن له بعلها وكان جافي الطبع قاسي
القلب شديد البطش يسمى الذيب فرصد غير اهله حتى مر به فلما راه وثب عليه
فقتل فرسه ومزق ثيابه وتعنفه وعنف عليه واستعان باصحاب له فاحتملوا غير
اهله وادخلوه الى دار الديار وربطوه الى سارية في بيت من بيوتها ووكل به الذيب
عجوزا قطعاء اليد جدعاء الانف عوراء العين شوهاء الخلقة فلما اجن الليل اوقدت تلك
العجوز نارا بالقرب من غير اهله وجعلت تصطلي فتذكر غير اهله ما كان فيه من السلا
منزوله فاهية والعز فزفر زفرة عالية فاقبلت عليه العجوز وقالت له ايها الفتى
ما ذنبك الذي اوردك موارد الزلة والشرة فقال غير اهله ما علمت ان لي ذنبا فقا
لت العجوز هكذا قالت الفرس للخنزير فلم يصدقها الخنزير بل اشتغل بامر فطفق على
ما خفي عنه وعمي صدق ظن الخنزير فقال غير اهله للعجوز ان رايت ان تحدثيني بذلك
وكيف كان فانك تخبريني الذي به فقالت العجوز ذكروا ان فرسا كان لرجل من الفرسان
وكان يكرمه ويحبه ويحبس العلف عليه ويعرف لمكانته ولا يصبر عنه ساعة وكان
يخرج به في الغزوات الى المرج فيزيل عنه سرجه ولجامه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى
حتى ترتفع الشمس فيرده وانه خرج يوما الى المرج ونزل عنه فلما استغرق فرسه
على الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو بسرجه ولجامه فطلبه الفارس يومه كله فاعجزه
وغاب عن عينه عند غروب الشمس ورجع الفارس الى اهله وقد يئس من ان يقدر عليه فلما
انقطع الطلب عن الفرس واظلم عليه الليل اراد ان يرعى فمنعه اللجام واراد ان ينام
فمنعه السرج واراد ان يستقر على احد جنبيه فمنعه من ذلك الركابان فبات بشر

ليلة

ليلة ولما اصبح ذهب يبتغي وجاما ما هو فيه فاعترضه نهر فرحله ليقطع الى ضفته الاخرى
فاذا هو بعيد الغمر فسبح فيه وكان حزامه ولببه جلدا لم يبالغ في دبغه فلما خرج من النهر
اصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا عليه فورم لبانه ومحزمه واشتد الضر عليه
الى ما به من الجوع فلبث كذلك اياما الى ان ضعف عن المشي لذهاب قواه فاقام بموضعه
ذلك فمر به خنزير فهم بقتله ثم عطف عليه لما راه فيه من الضعف فسأله عن خبره وحاله
فاخبره بما هو فيه من اضرار اللجام واللبب والحزام وسأله ان يصطنع عنده معروفا ويخلصه
مما ابتلي به فسأله الخنزير عن الذنب الذي استحق به تلك العقوبة فزعم الفرس انه لا ذنب
له فقال له الخنزير بل انت كاذب في زعمك وجاهل بجرمك فان كنت يا فرس كاذبا فلا
ينبغي ان يتغير عنك خيرا فاولا اطلب فيك اجرا **وانه كان يقال** اذا رايت نفس
الكذاب فقد تشتت بها علائم الفساد وكلها اليه فانه لا يؤمن الفساد تركيبها **والدليل**
على فسادها كيف نفس الكذاب انها ماضية معرضة عن الحقيقة في الحوادث وتنازع الى
العدم المحض فتصور العدم وجودا والباطل حقا وتصور ذلك في نفس المغتر بها ان اكثر التي
قولها **وكان يقال** احذر مقارنة ذوي الطباع المرذولة لئلا تنفر طباعك من طباعهم
وانت لا تشعر **وكان يقال** لا تطمع في استصلاح الرذل والحصول على مطابقته
فان طباعه اضر اليه منك فلن يترك طباعه لك **ثم قال الخنزير** وان كنت يا فرس جاهلا
فهلا بذنبك وجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة فجهلك بذنبك اعظم منه
فمن جهل ذنوبه دام عليها ولم يرج فلاحه **وكان يقال** احذر الجاهل فانه يجني على
نفسه ولست احب اليه منها **وكان يقال** ما شيء اشبه بالكذب من الجهل وذلك لان
الكذاب يتناسى الصورة والقضية المحسوستين ويتخيل الكذب الذي هو ضدهما حتى
ينطبع ذلك في عقله ويترك الصواب عمدا الى غيره والجاهل يرى الاشياء على خلاف
ما هي عليه فيرى القبيح حسنا والحسن قبيحا وانما الفرق بين الجاهل والكذاب بان ما يقع
خطاؤه فيه والجاهل لا يعلم ذلك فهو على نفسه وعلى غيره اشد جناية من الكذاب
فقال الفرس للخنزير ينبغي لك ان تزهد في اصطناع المعروف فقال الخنزير اني لست
بزاهد ولاكنه كان يقال العاقل يتخير لمعروفه كما يتخير البادر لحبوبه الذي يبذر
زكي من الارض فحدثني يا فرس عن ابتداء امرك فيما نزل بك وعن حالك قبل ذلك لاعلم من
حيث ذهبت فحدثه الفرس بجميع امره وكيف كان فعل فارسه وكيف فارقه وما لقي في
طريقه الى حين اجتماعه بالخنزير فقال له الخنزير قد فهمت انك جاهل بجرمك وان لك
ذنوبا ستة اولها خذلانك فارسك الذي احسن اليك واعدك لمهماته **والثاني**
كفرك لاحسانه **والثالث** اضرارك به في طلبك **والرابع** تعريضك على ما لم يتيسر لك وهو
المرج والمجال **والخامس** انك لتعيبك بتعاطيك التوحش الذي لست له اهلا

ولا لك عليه معذرة والسادس اصرارك على ذنبك وتماديك في غوايتك فقد كنت متمكنا
من العود الى فارسك ولا انشغالتم فرطت جهلك قبل ان يوهنك الجار بالجوع والتعب
والجزاء بالضبط فقال الفرس للخنزير اما اذا عرفت ذنوبي وايقظتني لما كنت عنه ذاهلا
مجنونا بالجهل فاطلقني الان ودعني فانه مشتهى اصعاب ما انا فيه فقال له الخنزير اما
اذا عرفت اعترفت وظننت لهذا القيد ووطنت نفسك وتجنبتها واخترت لنفسك العقوبة
على جهلها واستعملت الحكمة التي وعيتها فانك حقيق بان ينفس عنك وانه قيل لمن تاب
لو ما كنت على باب بيته لم ينتفع بحكمتها الا من عرف نفسه ووقف بها عند قدرها
ثم كان بهذه الصفة فليتحفظ ولا فليجمع حتى يكون بهذه الصفة ثم ان الخنزير قطع
عذار الحزام فسقط وقطع الحزام فنفض عن العرس قال فلما اصبح عير اهله تماخا
طبنه به العجوز وفهم ما ضربت له من الامثال اقبل على العجوز فقد صرفت فيما نطقت وضربت
لي مثلا كشف لي عن حلية امري وامرتني خصالا كفر بها واذنبني فيما اذنبت ووعظتني
وانعطت ثم حدثنا حديثه ورغب اليها ان تمن عليه بالاصطناع ونطلقه كما فعل
الخنزير للعرس فقالت العجوز انك عن لا بصيرة لك باكثر الامور وان الذي ضاقت لا يمكنني
فعله الان ولعلي ان اجرك وجاء ومن جا مما انت فيه فعليك بالصبر وامسكت العجوز
عن مخاطبته قال فلما انتهى الوزير في حديثه الى هذه الغاية اقبل على الملك ابرويز وقال له
اني احس في راسي صداعا وفي اعضائي فتورا ولا يمكنني الليلة اتمام الحديث ولعلي ان اكون
في الليلة القابلة نشيطا الى ذلك مريدا عليه فاكمل معك بالكمال ونهض الى مضجعه
فجعل سابور يتصفح حديث وزيره ويتأمل الامثال التي وضعها فعلم ان الوزير كنى
عنه بعير اهله لانه ملك فارس وكنى عن مملكته واقليم بابل بشجرة النار لان رعيته
يعبدون النار وكنى عن بلاد الروم بشجرة الذهب وكنى عن قيصر بالذئب الذي ذكر انه
يعبر شجرة الذهب وكنى عن طموح نفس سابور الى دولة مملكة قيصر بطموح نفس عير
اهله الى شجرة الذهب وكنى عن اخذ قيصر له بقبض الذئب على عير اهله وقصر بهامه
لذم من الامثال الحكمية تاديبه على سيرته وتعريفه بنفسه ومخالفته نصحاء وكنى عن
نفسه وحاله وعجزه وحزنه وذلته بحضرة المطار وطلبه مرضاته وتملقه بالعجوز ان
الفطعا الجزعا العوراء المشوهة الخلقة وعرفه انه لا يمكنه تخلصه في ذلك الوقت
وانه ساع في خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك وعاودته نفسه بوزيره
واستراح ربع الفرج ولبث بذلك ليلته ويومها الى الليلة القابلة فلما تغشى الظلام
واختر فعمر المسامرة قال الوزير سابور ايها الزاهد الحكيم اخبرني ما كان من امر عير
اهله وكيف كان عاقبة امره وهل خلصته العجوز من وثاق الذئب فان نفسي الى علم
ذلك متطلعة وارى الليلة صالح الحال **قال الوزير** بلغنا ايها الملك وطلعة

لامرك

لامرك ثم اقبل عليه بجرته فقال المرثي عير اهله افاق على حالته من ثقل طول الليلة تلك
فلما اصبح دخل الذئب فتهدده بالقتل وزاده الى وثاقه قيدا ثقيلا وخرج عنه فقطع
عير اهله نهاره ذلك بالاماني فلما اجنه الليل قلق واستوحش فبكى وانتحب وجاءت العجوز
فاخرجت خازا في يمينه وجلست تصطلي ثم اقبلت على عير اهله فقالت له تعز واصبر
واذكر مصائب الناس فتاسى بهم ولا تنزهك الشيعة العظمى فقط نفسك فقال لها عير
اهله لقد صرفت الغابر لهان على الطلب ما لقي راسي قالت العجوز ايها الفتى ان حرانية
نفسك قد تابك عن كثير مما اذا رايت لعمايوا فتسمع حديثا لك فيه سلوة قال نعم فانعم
علي به فقالت العجوز ذكر ان تاجرا مكثرا كان له ابن لم يكن له ولد غيره وكان شديد المحبة
له والتشعف به فاتحفه بعض معارفه بغزال ناشئ صغير معلوم فقلب ولد التاجر فكان
لا يفارقه وجعل اهل الغلام على ذلك الغزال حليا نفيسا وان يطوله سنا ثم ضعه
حتى اذا اشتد الغزال واشتد نجم قرناه فقال الغلام لاهله ما هذا في راس الغزال فقالوا
قرناه فاعجبه سوادها وبريقها فقيل للغلام انه سيتكسر ان ينطوي حتى تكون صفته
كيت وكيت فقال الغلام لابيه احب ان ارى لغزالي قرنين كبيرين فامر ابوه فصير له
ظبي ثنى قد استكمل قرناه ونموا فاعجب الغلام وكرمه اهله وحلوه وانسوه فانس
والف الغزال الى الظبي لمجانسة الطبيعة فقال الغزال للظبي ما ظننت قبل ان ارى ان لي
في الارض شكلا ثم لما رايتك وقع في نفسي ان لي اشكالا سواك فقال له الظبي نعم
ان اشكالك لكثيرة فقال له الغزال اين هي قال هي الظبي بتوحشها وانفرادها في فلوات
الارض فرارا من الناس وحرزته عن مراتعها ومواردها وازواجها وتناسلها فان تاج
الغزال لما سمع من الظبي وتمنى ان يراها فيكون معها فقال الظبي هذه منية لا خير لك
فيها وانت قد نشات في رفاهية من العيش وامنه لا تعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت
لندمت **وكان يقال** الاماني في السنن ارتياح وفي الاخرى جماح فلا ينبغي ان
يبادر العاقل لنفسه من الاماني الى المغترار الذي يونس الوحشة وينفس الكربة فان
استيلاء الاماني على النفوس كنام السعل الذي يعبرون الثرى ومن اعجازا ولا اعجاز
رووسا ويسعون في قلوب الاعيان وتغيير صورة الصواب **فقال الغزال للظبي** لا بد
لي من الخلو باشكالي فلما راى الظبي ان الغزال عزم منته وخاف عليه ان يقطع به قبل
بلوغ ما تمناه لانه عن لا يعرف انتحرز من مكايد الانس لم يجد بدا من اتباعه والكون معه ليقضي
حوجه منه الفته اياه وصحبا ليلة فيه العراووح جا معاجين لمعا بالصحرا فلما عاينها
الغزال مرح ومرح وذهب يعدو لا يثنيه شيء فسقط في اخدود ضيق قد قطعه السيل
فنشب فيه وانتظر اياته الظبي ليخلصه فلما اياته فبقي هنالك **واما ولد التاجر**
فانه لما اصبح عدم الغزال والظبي فخرج لطلبهما واشعوا ابوه عليه فاشتد عن كل من يعاني

الضير بذلك البلد فمع فهم القصة وكلهم الظبي والغزال ووعز من وجدهم وغدا على غوبا
فيه فانتشلوا بسفل الارض وخرفوا يطلبون ذلك وركب التاج دابته وجروا اتباعه
على ابواب المدينة ينتظرون من ياتي من الصيادين وانطلق هو وعشرون من عبيده حتى
اتوا الصحراء فراوا على نعر رجلا مكتبا على شيء بين يديه فاسرع نحوه فاذا هو صياد
فراوا ثم ظبيا وهو يريد ذبحه فتامله التاج فاذا هو ذلك الظبي الذي يطلبه فخلصه
من يد الصايد وامر عبيده فعنفوا، فوجروا معه الحبل الذي كان على الظبي فسالوه
كيف ظفر بالظبي واين وجده فقال اني بت في الصحراء نصيد ونصبت شركا وكمنت فيها
منه، فلما اصبحت جاء هذا الظبي ومعه غزال الجمة الغزال يعدو ويمرح في جهة غير
جهة الشرك وجاء هذا الظبي حتى دخل في الشرك فاخذته وقصدت به المدينة فلما بلغ
هذا الموضع ظهر لي انني مخطئ في ادخالي الظبي المدينة حيا لعلمي انه اربح، طولبت بما
كان عليه من الزينة فرايت ان اذبحه وادخل به لحما فهذا خبري فقال له التاج لقد جنو
عليك شحك الخيبة والحرمان فماذا عليك لو اطلقته فذهب الظبي وحطت انت على
حليه وزينته ولقد صدق القائل لا يدخل الشرك من خلالا اعتقبته الحسرة الا انسري
ان من جملة البخل والشره على اكل اللقمة التي عاقبتها نفسه كان متعرضا للحرمة فهو
ما اكله والحسرة عليه عند مفارقته ثم ان التاج بعث بالظبي الى ولده مع احد عبيده
وقال لذلك الصياد ارجع معي فارني الجهة التي رايت الغزال يسعى نحوها فرجع الى تلك
الجهة وجعل الصياد يفتش ويشرف على المواضع ومشى التاج على رسله فسمع نزيب
الغزال وهو صوته فصاح به التاج فصوت واتبع التاج الصوت حتى وقع عليه واذا
هو في احرود ذي شوك دارس متشبثا فيه فاخذه ونادى الصياد فوهب له دراهم
وصرفه ورجع التاج بالغزال الى ولده وكملت مسرة الغلام وجعل الغزال يتجنب
الظبي اذا راه ولا يالفه كما كان واذا اصطلحا في موضع نفر منه اشد النفار فتنغصت
مسرة الغلام لذلك وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الغزال والظبي على حال
الالفة وسكون فلم يقدر على ذلك فبينما الغزال يوما في بيت دخل عليه الظبي
فعاتبه على نفاره منه وطول هجرته له فقال الغزال تنسيت عدوك لي احوج ما كنت
الى عونك واوثق ما كنت بنصرك فقال له الظبي اني لم اغدر ولم اجز ولا كرعدم رسو
حك فعلى التجربة او معك في تهمة البرى واني لم ات اخذ عن تخليصك مما احطت فيه لنا
مضطرا الى التاج عنك على اجزاع المبادرة اليك فقص عليه قصته وانه حصل في
شرك الصياد فقبل الغزال عذره وعاد الى ما الفهما قال فلما سمع عير اهله حديث
العجوز فهم ما ارادت من ذكر عجزها عن تخليصه امسك عن خطابها **فصل**
فلما انتهى وزير شابور من حديثه الى هذا الحد سكت فقال له المطران ايها الحكيم

الراهب

الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد ان تعجز اخباري بما ذكر من عاقبة عير اهله وما لقي
من الذيب وما صنعته العجوز فقال اني لقادر على ذلك لعتور احب في اعضائي فقال
المطران لا تفعل فان ذلك يسوءني ويشق علي فاحمل على نفسك الليلة ايها الحكيم
فاني راغب في تانيسك معجب باحاديثك فقال الوزير افعل ذلك طلبا لمرضاتك ولو علمت
ايها المطران ما ادخرت لك من عجايب الاخبار وغرايب الاثار لعجبت من ذلك اشد العجب ثم
اندفع يحدثه ان عير اهله لما سمع حديث العجوز وفهم ما ارادته امسك عنها وبات ليلته
تلك باسوء حال ولما اصبح دخل عليه الذيب فنال منه وتعنفه وتهدده بالقتل وزاده من
فيذا الى فيه ووعده ان لا نام عليه ولا مخلص له من يده ولو خرج عنه مجعل يجعل نفسه بقية
نهاره ويمنيها الفرج فلما اقبل عليه الليل استوحش واستوحشته الافكار الموحشة
وانتظر ان تجلس اليه العجوز او تحادثه فلم تفعل وجعلت العجوز تكثر الدخول والخروج الى البيت
الذي فيه عير اهله ولا تشتغل فيه فضاق صدر عير اهله وايقن بالهلكة وما شك ان الذيب
يقتله تلك الليلة فاقبل على البكاء حتى ذهب صدر من الليل ثم قال للعجوز ما لك لم تونسيني
الليلة بحديثك ولا جلست الي مجلسك اليه وقالت اما كان في رويتي فظاعة عاما مشوهة
عوراء شينة الحال ما يحملك على التماس مناحرة الشكر له على سلامة نفسك ومعافاة
نك من بلاء هو اعظم من بلايك حتى قلت هان على الطلوع ما الاول الاسيه ولو اغنيت بالطر جاله
لما ظهر لك منها لعلمت ان اسري اشر من اسرك فاستمع الي احدثك حديثي اعلم ايها الفتى
اني كنت زوجا لبعض التجار وكان لي محسنا وبي رفيقا ولي محبا وكنت معه في ارغد عيش
واهناه فلبث بذلك مدة طويلة وولدت له الاولاد ذكورا واناثا فكبروا في رفاهية
ونعمة فغضب الملك على زوجي لامر كان منه فقتله وقتل ذكور اولادي وباعني انا وبناتي
متفرقات فاشتراني هذا الفارس الذي عدا عليك واحتملني الى هذه الغربة وانساني الذي وكلفني
من العمل ما لا طاقة لي به وكثر معاقبتي على غير ذنب لما طبع عليه من القسوة والفظاظة
فسالت الله من اراد الفرج في وان تعنت عليه باخوانه ومن يكرم عليه لكي يخفف عني فلم
يزده السوال والشفاعة الا قسوة علي واضرارا بي فلبثت بذلك سبع سنين ثم
فررت منه فاتبعني فادركني فجزع انفي ثم عاد فقسوة علي واضرارا بي وعاودت مسالته
والاستشفاع اليه وهو مقيم على سوء رايه في فمكثت بذلك سبع سنين اخرى ثم فررت منه
فقطع بي فقفا عيني ثم عاودت عسفي فكملت سبع سنين اخرى ثم فررت منه فقطع بي فقطع
يدي وقال انما بقي من اعضايك انك تنتفع بها عينك ويدك فان فررت بعد هذا قطعت
رجليك معا وابقيتك تنتفع بعينك في الحراسة وبيدك في العمل واقسم على ذلك بغليظ
الايمان وعاود عسفي ومضرتي وقد عزمت على ان اخلصك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا
للراحة مما انا فيه ولقد رابني اكثار الدخول عليك والخروج عنك لحيرتي وجزعي من

الموت وقد طابت نفسي على الموت ثم إنها فتحت قيود عمير اهله وقطعت وثاقه
وتناولت سكينا فقال لها عمير اهله لم اتركيك تقتلين نفسك لغير شاركتك فيه
منك وانتزع السكين من يدها وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجوا معا او نعطب معا فقالت
له ان كبر سني وضعف حالي ليمنعني من اتباعك واذهب معك وقال لها ان الليل متسع والموضع
الذي نامر اذا وصلنا اليه قريب ولي قوة على حملك فقالت العجوز اما اذا عزمت على هذا
فاني لا اوحشك ما دامت بي مسكة وخرجا معا فلم يقطعا الليل حتى بلغا الى الحي امنا فجاء اهل
عمير اهله خبرا بما صنعت واكرمها ما يسع لها ويطيق فهذا ما بلغني من ذلك فقال الملك
ما اعجب ما حدثك ايها الحكيم ولقد وددت ان لا افارقك وان يفعل هذا بطول التطول
منفعتي بك وبعظم حظي من انسك ولقد استغربت معارفة الاهل والوطن لغربتك ونهض
كل واحد منهما الى مضجعه وبات سابور يتصفح حديث وزيره ويتامل امثاله فعلم ان الغزال
مثل سابور وان الظبي مثل الوزير وان خروج الظبي مع الغزال الى الصحراء وحصول الغزال
في الاحبولة مثله بصحبة سابور حتى طار سابور في حبس قيصر وان نفور الغزال من الظبي
لسوء ظن سابور بوزيره لتاخره عن استنقاذه وعرف ان الوزير قد عزم على تخلصه والخروج به
الى المدينة قريبا منها وانه يحمله ان عجز على المشي وايقن سابور بقرب الفرج ولما كانت
الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتى دخل الخيمة التي يطبخ فيها الطعام للمطار والمو
كلين بحفظ سابور على حال الخلوة واختار من الغنم تلك الاطعمة من قدرا فوق العجل ولما
حضر طعام المطار انفذ الوزير باكل زاده على ما جرت به عادته فلم تمض الا ساعة حتى
استحوذ النوم على جميعهم وبادر الوزير ففتح باب المقصورة على سابور واستخرجه
وازال الجامعة من يده وعنقه وتلطف حتى اخرجه من عسكر قيصر وقصد به جند سابور
وهي مدينة ملكه منها معا الى سورها فصاح فيهما الموكلون بحراسة السور فتعرف
الوزير اليهم واسمعهم بعض اصواته وعرفهم بنفسه واعلمهم بسلامة ملكهم فابتدروا واد
خلوهما المدينة فعرفت نفوسهم اهلها وامرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم
السلاح وعهد اليهم ان ياخذوا اهبتهم فاذا ضربت الروم نواقيسهم الضرب الاول خرجوا
من المدينة الى من بها من عسكر الروم وقاموا على تعبيتهم وتاهبوا حتى اذا ضربت الروم
النواقيس الضرب الثاني حملوا باجمعهم كل فرقة على من يليها فامتثلوا امره وانتخب
سابور كتيبة عظيمة ووقف معهم فيما يلي الجهة التي فيها قيصر فلما ضربت النوا
قيس المرة الثانية حملوا من كل جهة وقصد سابور اخبية قيصر ولم يشعر الروم الا وهم
لعلمهم لضعف القهر عن مقاومتهم وانهم قد سدوا ابواب مدينتهم فما شعروا حتى دهمتهم
العرب واخذ سابور قيصر اسيرا وغنم جميع عسكره واحتوى على خزاينه ولم ينج من
جنوده الا الشريد وعاد سابور الى قرار ملكه وقسم الغنايم بين اهل عسكره وافاض

الصلاة

الصلاة على جميع من في مدينته بقدر احوالهم واخذ الى حفظة ملكه وثقتهم وفوض
جميع اموره الى وزيره الذي خلصه ثم امر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال اني سوغتك
كما بغيت وغنمت مجازاتك بتنصيص مجيئك وناخذك باصلاح ما افسدت من جميع
ممالكي فتبني ما هدمت وتغرس مكان كل نخلة قطعتها من بلادي زيتونة وتطلق من
في مملكتك من اسارى فضمن له قيصر ذلك كله ووفى له به ولما انتهى في اصلاح البناء
ما انثلم من سور مدينة جندي سابور قال سابور لقيصر انما تبنيه من تراب بلدك فاقام قيصر
رعيته من الروم يحملون التراب من بلادهم الى جندي سابور حتى رفع ما انثلم من سورها
ولما اتم لسابور ما اراد من ذلك كله احسن اليه واطلقه الى دار مملكته بعد ان
قال له هذا هيئتك واستعرت عزتك فاني غار راضيك عما في قلب فتامل يا بني
حسن محاولة هذا الوزير وارتكابه في استخلاص سلطانه كل امر خطير واجتهد على ان
تتخذ من يقارنه في الدهاء والتدبير وكوزير جذيمة الابرش وهو قصير بن سعد والزباء ابنة
مليح وكيفية ذلك ما رواه هشام بن محمد الكلبي عن ابيه قال كان جذيمة بن مالك
ملكا على الحيرة وما حولها من السواد ملك ستين سنة وكان به وضح في بدنه اي برص وكان
شديد السلطان قد خافه القريب والبعيد فتهيبه العرب ان تقول الابرص فقالت الابرش
فغزا مليح بن البراء وكان ملكا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذي ذكره عدي بن
زيد في قوله واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور فقتله جذيمة وطرد الزبا
الى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة
الهمة قال ابن الكلبي ولم يكن في نساء عصرها اجمل منها وكان اسمها فارعة
وكان لها شعر اذا مشت سحبته من ورائها واذا نشرته جللها فسميت الزباء وبعث
عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتل ابيها فبلغت بها همتها ان جمعت الرجال وبذلت الاموال
وعادت الى دار ابيها ومملكته وازالت جذيمة الابرش عنها وبنت على فراتي الفرات
مدينتين متقابلتين من شرقي الفرات ومن غربيه فكانت اذا رهقها الاعداء اوت اليهما
وتحصنت بهما وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء بتول وكان بينها وبين جذيمة
بعد الحرب مهادنة فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها فجمع خاصته فشاورهم في ذلك
وكان له ابن عم يقال له قصير بن سعد وكان عاقلا لبيبا وكان صاحب امره وعميد
دولته فسكت القوم وتكلم قصير فقال ابيت اللعن ايها الملك ان الزباء امراة قد
حرمت الرجال وهي عذراء بتول لا ترغب في الرجال ولا تعرض لها في مال ولا جمال ولها عندك ثار
والدم لا ينام وانما تاركتك رغبة ورهبة والحقد دفين في سويداء القلب له كمون ككمون
النار في الحجر ان قدحته اورى وان تركته توارى وللملك في بنات الملوك الاكفاء متسع
ولهن فيه منفع وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن دونك وعظم شانك فما احد

وأكل النفس تراه الى ما تحب وتهوى
فوقك فقال له يا قصير الرأي ما رأيته والحزم فيما قلته وقال له ايت الزبا واذكر
مشافهة ولكل امرئ قدر وامض هنه واحذر ووجه اليها خاطبا فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت
لها ما يرغبها فيه ونصبوا اليه فجاءها خاطبه واكرمت مقدمه ورفعت
له انعم بك عينا وبما جئت به واليه واظهرت السرور والرغبة فيه وقالت جزيمة فوق قدري وانا دون
موضعه وقالت قد كنت اضربت عن هذا الامر خوفا ان لا اجد كفوا والملك فوق قدري
قدري وقد اجبت الى ما سأل ورغبت فيه قال ولولا ان السعي في مثل هذا الامر بالرجال اجمل
لسرت اليه وزلت عليه واهدت اليه هدية سنية ساقت العبيد والاماء والكراع والسلاح
والاموال والابل والغنم وجملة من الثياب والعين والورق فلما رجع اليه خطيبها اعجبه
ما سمع من الجواب وابتهج بما رأى من اللطف وظن ان ذلك لحصول رغبة فاعجلته نفسه
وسار من فوره بمن يثق به من خاصته واهل مملكته وفيهم قصير خازنه واستخلف على
مملكته ابن اخته عمرو بن عدي اللخمي وهو اول ملوك الحيرة من اللخم وكان ملكه عشرين
ومائة سنة والذي اختطفته الجن وهو صبي صغير وردوه وقد شب وكبر فقالت
امه التبوه الطوق فقال خاله جزيمة شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا واستخلفه
وسار الى الزبا فلما كان في بعض الطريق نزل منصبرا واكلوا وشربوا واستعاد المشورة
والرأي في اصحابه فسكت القوم وافتتح الكلام قصير فقال ايها الملك كل عزم لا يؤ
يد بحزم فالى ابن ما يكون ولا تثق بزخرف قول لا حصول له ولا تعقد الرأي بالهوى
فيفسد ولا الحزم بالمنى فيبعد والرأي عندي للملك ان يتعقب امره بالتثبت ويأخذ حذره
بالتيقظ ولولا ان الامور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزما لا يفعل واقبل جزيمة
على الجماعة فقال ما عندكم انتم من الامر فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته في ذلك و
صوبوا رأيه وقووا عزمه فقال جزيمة الرأي مع الجماعة والصواب ما رأيتم فقال قصير
الغدر سابق الحذر ولا يطاع لقصير امر فارسلها مثلا وسار جزيمة فلما قرب من دار الزبا
نزل وارسل اليها يعلمها بمجيئه فرحبت وقربت واظهرت السرور والرغبة فيه وامرت
ان يحمل اليه الانزال والعلوفات وقالت لجندها وخاصة اهل مملكتها وعامة اهل دولتها
ان هو دخل عليكم فهو مقتول ... فلما سمع قصير
وعينها تلقوا سيدكم وملك دولتكم وعاد الرسل بالجواب بما رأوا وسمع فلما عزم
جزيمة ان يسير دعا قصيرا فقال انت على رأيك قال نعم وقد زادت رغبتي فيه فقال قصير ليس
للامور بصاحب من لم ينظر في العواقب وقد يدرك الامر قبل فوته وتدبير الملك بقية هو
مستلط في استدراك الصواب فان وثقت بانك ذو ملك وسلطان وعشيرة ومكان
والقيتها في يدي من لست في امن مكره وغدره فان كنت ولا بد فاعلا ولهواك تابعا فان
بان القوم ان يلقوك غدا صفا وساروا امامك وجاء قوم وذهب قوم فالامر بعد في يدك
والرأي فيه اليك وان يلقوك زردا واحدا واقاموا اليك صفين حتى اذا توسطتهم انقضوا

عليك

عليك من كل جانب واحد فذاك غدر ملكوك وصرت في قبضتهم وهذه العصا لا يشق
غبارها وكانت لجزيمة فرس تسبق الطير وتجاري الرياح يقال لها العصا فاذا كان كذلك
فتمثل الظهرها فهي ناجية بك ان ملكت ناصيتها فسمع جزيمة كلامه ولم يرد جوابا
وسار وكانت الزبا لما رجع رسول جزيمة من عندها قالت لجندها اذا اقبل جزيمة غدا
فتلقوه باجمعكم وقوموا صفين من عن يمينه وعن شماله فاذا توسط جمعكم فانقضوا عليه
من كل جانب حتى تحدقوا به واياكم ان يفوتكم وسار جزيمة وقصير عن يمينه فلما لقيه
القوم زردا واحدا قاموا له صفين فلما توسط القوم وانقضوا عليه انقضاض الا
جدال علي في بقية واحدقوا به وعلم انه ملكوه وكان قصير يسايره فاقبل عليه وقال صدقت
يا قصير فقال قصير ايها الملك ابطأت بالجواب حتى فات الصواب فارسلها مثلا قال كيف
الرأي الان فقال هذه العصا فدونكها لعلك تنجو فانف جزيمة من ذلك وسارت به الجيوش
ثم فلما رأى قصير ان جزيمة قد استسلم للاسر وايقن بالقتل جمع نفسه وسار على ظهر العصا
واعطاها عنانها وزجرها فذهبت تهوي به هوي الريح فنظر اليه جزيمة وهي تتطاول عنه
انتهت الى الزبا من قصرها وقالت ما احسنك نحل علي وتزف الرجس ذخلوا به على الزبا ولم يكن
معها في قصرها الا جوار ابكار اتراب وكانت جالسة على سريرها وحواليها الف وصيفة
كل وصيفة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي وقالت لوصايفها خذوا بيد سيدكن وبعل مولاتكن
مولاتكن فاخذن بيده واجلسته على الانطاع بحيث تراه ويراها وتسمع كلامه ويسمع
كلامها ثم امرت الجواري فقطعن رواهشه ووضعت الطست وقطرت الدماء على النطع من
فقالت لجواريها لا تضيعوا دم الملك فقال جزيمة لا يحزنك دم اضاعه اهله فلما مات قالت
قالت والله ما وفى دمك ولا اشفى قتلك وانما هو غيض من فيض ثم امرت به فدفن وكان قد
استخلف على مملكته ابن اخته عمرو بن عدي وكان يخرج كل يوم الى ظهر الحيرة يطلب الخبر
ويقتفي الاثر من خاله فخرج ذات يوم فنظر الى فارس تهوي به فرسه هوي الريح فقال اما
الفرس ففرس جزيمة واما الراكب فكالبهيمة لامر ما جاءت العصا فاتى عليهم
قصير فقالوا ما وراءك فقال سعى القدر بالملك الى حتفه على ابن عمك من امنع وانفع فاطلب
بثارك من الزبا فقال عمرو اي ثار يطلب من الزبا وهي امنع من عقاب الجو فقال قصير
قد علمت نصحي لخالك وكان الاجل قد حضر واني والله لا انام عن الطلب بدمه ما لاح نجم و
طلعت شمس او ادرك به ثارا او تخترم نفسي فاعذر ثم انه عمد الى انفه فجدعه ثم لحق بالزبا
هاربا من عمرو بن عدي فقيل لها هذا قصير بن عم جزيمة وخازنه وصاحب رأيه قد جاءك
فاذنت له فقالت ما الذي جاء بك الينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم خطره فقال
يا ابنة الملوك العظام لقد اتيت فيما يأتي مثلك في مثله ولقد كان دم الملك يطلبه
حتى اطلب ولقد جئتك مستجيرا من عمرو بن عدي فانه اتهمني بخاله وبالمشورة بالمسير

اليك بجدع انفي واحزمالي وحال بيني وبين عيالي وتهددني بالقتل واني خشيت
على نفسي فهربت منه اليك وانا مستجير بك ومستتر الى كنفك وعزك فقالت اهلا
وسهلا بك لك ما لي من الجوار وذمة المستجير وامرت به فانزل واجرت عليه الانزال ووطنته
وكسته واكرمته وزادت في اكرامه واقامت مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب
الحيلة عليها وموضع الفرصة منها وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب نفق تعتصم
به فلا يقدر عليها احد فقال لها ان لي بالعراق مالا كثيرا وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك
فان اذنت لي في الخروج الى العراق واعطيتني شيئا اتعلل به في التجارة واجعله سببا
في الوصول الى مالي اتيتك بما قدرت عليه من ذلك فاذنت له واعطته مالا فقدم العراق
بلاد كسرى فاطاف بهو الطعام كل طريفة وزادها مالا الى مالها كثيرا وقدم عليها
به فاعجبها ذلك منه وسرها وزادت له عندها منزلة ثم عاد الى العراق ثانية فقدم
باكثر من ذلك من ماء الجواهر والبز والخز والقز والديباج وزاد مكانه منها وازدا
دت منزلته عندها ورغبتها فيه ولم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق الذي
تحت الفرات والطريق اليه ثم خرج ثالثة فقدم باكثر من الاولين طرائف ولطائف
فبلغ مكانه منها وموضعه عندها الى ان كانت تستعين به في مهماتها واشتا
منت اليه وعولت عليه في امورها وكان قصير حسن العقل والراي لبيبا اديبا فقالت
له يوما اني اريد ان اغزو البلاد العلانية من ارض الشام فاخرج الى العراق وابتغ لي
بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب فقال قصير ولي في بلاد عمرو بن عدي
الف بعير وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا وما يعلم بها عمرو ولو علم بها لاخذها واد
واستعان بها على حربك وكنت اتربص به المنون وانا اخرج متنكرا من حيث لا يعلم
فاتيك بها مع الذي سالت فاعطته من المال ما اراد وقالت يا قصير الملك يحسن
بمثلك وعلى يد مثلك يصلح امره ولقد بلغني امر جذيمة وان ايراده واصداره كان اليك
وما يقصر بك عن شيء تناله يدي ولا يقعد بك عن حال ينهض بي فسمع كلامها
رجل من خاصتها فقال اسد خادر وليث زائر قد تحفز للوثبة ولما راى قصير مكانه
منها وتمكنه من قلبها قال الان طاب المصاع وخرج من عندها فاتى عمرو بن عدي فقال
له قد اصبت الفرصة من الزباء فانهض وعجل الوثبة فقال له عمرو قل اسمع ومر افعل
فانت طبيب هذه القرحة فقال الرجال والاموال فقال حكمك فيما عندي مسلط فعمد
الى الفي رجل من فتاك قومه وصناديد اهل مملكته فحملهم على الفي بعير في الغرائر
السود والبسهم السيوف والحجف وادخلهم في الغرائر وجعل رؤوس المسوح من اسفلها
مربوطة من داخل وكان عمرو فيهم وساق الخيل والكراع والعبيد والسلاح والابل
جملة فجاءها البثير البشير وقال قد جاء قصير ولما دنا من المدينة حمل الرجال في

الغراير

الغرائر مستلئمين بالسيوف والحجف وقال اذا توسطت الابل المدينة فالامارة بيني
وبينكم كذا وكذا فاخترطوا المربط فلما قربت العير من مدينة الزباء كانت الزباء في
قصرها فرات الابل تتهادى باحمالها فارتابت بها وقد كان وشي بقصير اليها وحذرت
منه فقالت للواشي به اليها ان قصيرا اليوم منا وهو ربيب هذه النعمة وصنيعة هذه
الدولة وانما يبعثكم على ذلك الحسد وان ليس فيكم مثله فخرجت ما رات من كثرة الابل وعظم
احمالها في نفسها مع ما عندها من قول الواشي به اليها فقالت

اري الجمال مشيها رويدا ... اجندلا يحملن ام حديدا
ام صرفانا باردا شديدا ... ام الرجال جثما قعودا

ثم اقبلت على جواريها وقالت ان الموت الاحمر في الغرائر السود فذهب مثلا حتى اذا توسطت
الابل من المدينة وتكاملت القى اليهم الامارة فاخترطوا رؤوس الغرائر فسقط الى الارض الف
الف دارع بالف باتر وتبادروا باب النفق عدوا وخرجت الزباء للموضع تريد النفق وقد
سبقها اليه قصير فحال بينها وبينه فلما رات ان قد احيط بها وهلكت التقمت خاتما
في يدها تحت فصه سم ساعة وقالت بيدي لا بيد عمرو وقيل انه لحقها وجللها بالسيف وحكم
قصير في جذيمة ووضع عليها فسطاطا وكتب على قبره

ملك تمتع بالعساكر والقنى ... والمشرفية عزه ما يوصف
فسعت منيته الى اعدائه ... وهو المتوج والحسام المرهف

فهذا يا بني كان وزيرا ناصحا في سلطانه ناصحا له في جميع شانه
راعيا لحقه وذممه، اخذ الثار ودمه. وكان الوزير المقطوع اليد يروي انه
كان من الملوك المتقدمين وكان له وزير ناصح وخادم صالح رضي باهلاك نفسه في حياة
سلطانه، وابقى على جيشه وبلاده واوطانه. **وكيفية ذلك**
ان الملك كان له عدو ينافسه ويعاديه ويطالبه ويشانيه وكان اكثر منه مالا
وجيشا وسطوة وبطشا فتحرك العدو عليه يريد اهلاكه اذا توصل اليه فلما
اتصل الخبر بالملك الاضعف ان الملك الاقوى تحرك عليه وان الاضعف لا يقدر عليه
اذا وصل اليه تعرف مع وزيره في شان عدوه ومخافته من سلطانه وعتوه. فقال
الوزير للملك الاضعف ايها الملك اشير عليك براي فيه سلامتك وسلامة جيشك وبلاد
ك وهلاك نفسي في طاعتك. قال وما راي اتلاف نفسك بسريرك. قال نعم في صلا
حك رشيد. قال اخبرني. قال ايها الملك انا وزيرك المشهور القائم بامرك في الغيبة
والحضور بعرف في هذا المدرك بالنصاحة لك ولا اخفي فيما يبلغك امرك وانا اشير عليك
ان تقطع رواهشي وتجلبني على البلاد وتخرج اهلي وولدي وتتركهم في بعض بلادك وتجري
عليهم في غيبتي جزيل نعمتك واريد ان اكون حتى افض لك ما ربك. واصل عند طالبك

فقال له الملك لا يهون علي هذا ولا افعله بك ولا اسعفك في هذا مطلبك فاقسم عليه
الملك ان لا يفعل ثم ان الوزير اقسم وقال ان لم تفعل في هذا لافعله بنفسي فيفعل به الملك
ما اراد من قطع يديه ونفيه من بلاده واخراج اهله وحاشيته واولاده فما لبث الوزير
ان لحق بالملك العاصي لسلطانه وهو قادم على اقل اوطانه متحصن فبلد حوله
بالبلاد وهو في جمهور اعرابه والاجناد فلما قدم عليه الوزير في اسوء حاله اخوا
له وقطع رواهشه واوطانه تاسف له تاسفا شديدا وزاده ما اصابه حنوا وتنكيرا
وقال من فعل بك هذه الفعلة ومثل بك هذه المثلة فقال ايها الملك
انه اتهمني بحرمتك ولانكنت السبب اليه في حركتك وعزمك فقال له الملك
اذا ظفرت به بادرت عليك ماله واحسن جميع احوالك وازدك اكرم وزرائي على
وافي بهم مني والي ولاي ايها الوزير كيف الحيلة الى اخذ ملكك الذي عزبك
ومكر بك وانصفك ومثل بك هذه المثلة وغدر فقال له ايها الملك انا اعرف اخباره وعلى
ما هو معتمر وان اخفى عني امره فقال الحين فقال ايها الملك عزم على انه اذا اخذت بلا
ده وتشتت اجناده وقواده يفر الى حصنه الحصين الذي اعده ويتحصن به لما فيه
من العدد والعدة والذخائر بدا اليك وانقرب به في الحرمة اليك ان تاخذ حصنه
الحصين ومغارمه الامين فاذا احتويت على ما في حصنه من الذخائر والاموال
وحلت بينه وبين حمايته الابطال رجعت الى اخذ بلاده واستوليت على عزته
واغراده فقال له الملك وكيف ذالك قال تسير بجملة جيشك واغرادك وذالك
بان تحمل عشرين يوما الكافة اجنادك وانك تقطع المفاوز المعطشات والمهامه
الموحشات وانا معك حتى تاخذ ما في حصنه وتحول بينه وبين امنه **قال**
وكان الوزير الاقطع عارفا بمسالك الصحراء والجوب في الاقطار والبراري وكان
قد رغب الملك في الاموال والذخائر والالات والعدد المتناهي التي لا يعهد والمسير
من الحصن الذي ذكر له وتاني له فيما عوله واملاه وامر الملك جيشه بحمل الازواد
والتهيئ لذالك الاقتصاد فاخذ اهل العسكر زاد عشرين يوما من الماء والطعام
ودخلوا الصحراء والوزير يغرهم من اماكن الماء او على في البراري المعطشات والمها
مه الموحشات التي لا يرجى للمنقطع بها حياة الى ان فنيت الازواد وهلكت الاجناد
اقبل الملك على الوزير المذكور يسئله عن الحصن المذكور وما يصل به جيشه المغرور
فقال له الوزير والله لا اعلم له حصنا الا بلدك الذي هو فيه وانا غررتك في موضع
لا يمكن الرجوع عنه تلافيه قال فقتله الملك لحينه ومات هو وجيشه بعطشه وكذ
وتهوينه فكان في هلاكه حياة سلطانه وفي قطع رواهشه بقاء اوطانه وعزة
اهله واخوانه وهكذا ينبغي للوزير الناصح لسلطانه ان يكون مثل هذا الوزير لجميع

شأنه

شأنه **يا بني** واذا لم تجد وزيرا جامعا لهذه الاوصاف التي قدمناها والخصال
المحمودة التي ذكرناها فاختر من تكون فيه خصلتان جامعتان لتلك الخصال الثمان
الاولى ان يكون محبا فيما يصلح عليك في دنياك واخراك **والثانية** ان يكون ذا راي سديد
في شدتك ورخائك **فاما جلساؤك** يا بني انه يجب لك ان تختار لنفسك
جلساء رؤساء من قومك ذوي عقول وافرة واذهان حاضرة فصحاء اللسان نصحاء في الدين
والاعمال يجانبون مخالطة الناس ويعظمونك اذا ظفرت لهم البسط والايناس فاذا
اتصفوا بهذه الصفات وتمت وبهذه الاشيات فاهت بهم الخلافة وزادتهم رفعة
وانابة **وينبغي** لك ان تختبر احوالهم وتتخير اقوالهم وافعالهم فان مات وزير من وزرائك
اخترت وزيرا منهم لتستوضع فيك لما انطوت صدورهم عليه وما تعرفه منهم وما صدر
من النصيحة عنهم فيفعله مكانه وتنشر به ازر الملك وان كان ممن وجدته منهم بعد
الاختبار من يفشي الاسرار ويغري بالعثرة ولا يصفح للعفو وصدرت منه نميمة او غيبة
او ظهرت عليه زلة او ريبة ابعدته عن منزلة الرفعة والايناس وجعلته كسائر الناس
وقد قال بعض الملوك لجلسائه جنبوني ثلاثا لا تمزحوا في فاني اعرف بنفسي منكم
ولا تكذبوني فانه لا راي لمكذوب ولا تغتابوا عندي احدا فتغضبوا وافلي عليكم
وقال ابن عباس مجالسة العقلاء تزيد في الشرف والعقل **يا بني** وينبغي لجلسائ
ك ان يحفظوا اسرارك ولا يذيعوا اخبارك فانهم خاصتك الاصفياء وبطانتك الخلط
ومن فسدت بطانته كان كمن غص بالماء **يا بني** جالس العقلاء وشاور العقلا
وخذ الراي مع النصحاء واقتبس برود التجارب النبلاء وجانب مجالسة الجهلاء فانه
من اخذ الراي مع من لا يعقل الحديث كمن فرع الطرف للبهائم **يا بني** واما كاتبك
فلتتخيره منهم لسرك كاتبا مقدما وجيها بلدك موفيا لغرضك ومقصدك فصيح اللسان
حر بر الجنان بليغ البيان عارفا بالاداب سالكا طريق الصواب بارع الخط
حسن الضبط عالما بالنحو والادب كاتما للاسرار متحليا بحلي الوقار ذا عقل
وافر وفهم حاضر وذهن ثاقب ورأي صائب حلو الشمائل موسوما بالفضائل
جميل الهيئة والتباسم والموالاة للناس لان الكتاب عنوان المملكة لتسيير الامور
المشتبكة **ومن** كتابك يستدل على عقلك ويعترف معرفتك وفضلك فهذا افضل
ما يشترط في الكاتب ويكون في حقه وحقك من الواجب فانه اذا كان الكاتب بهذه
المثابة صلح ان يكون اهلا للكتابة وان اخل بهذه الشروط كان جديرا بالتاخير
والشغوط لاخلاله بكتابته وعدم اصابته وكان ذالك وصما في حق مخدومه ودليلا
على جهله في تقديمه **يا بني** واما صاحب اشغالك وضابط اعمالك فلتتخيره
من وجوه بلدك الاخيار وكبار الحساب والنظار ويكون ذا ثقة وامانة وعفة وصيا

نه وصلاح وديانة وحزم وكفاية وضبط ودراية عدلا في احواله، صادقا في اقواله
عارفا بانواع الخراج والجبايات ضابطا للزمام والحسابات ويكون ذا مال ويسار
واثاث وعقار فاذا كان على ما وصفنا، من احواله كان محافظا على بيته وديانته وما
لديه ويكون معينا في سلطانك، آخذا بالنصح في جميع شانك لان مالك ومحاسبك تحت نظره
وعلى يده التصرف فيه بقبضه ورده، وصن **يا بني** واما فقيهك فلتتخذ لنفسك
فقيها عالما نبيها موسوما بالصلاح من الكاملين بالرشاد والفلاح ممن يشير الى الهدى
ويهدي الى الرشاد، ويسدد الامور ويامر بالسداد، ليبين لك ما اشكل عليك من الا
حكام، وما تاتيه من الحلال وتدعه من الحرام، وما تقف عنده من الحدود الشرعية
التي هي قوام الملك والرعية وما يصلح لك من الامور الدنيوية والاخروية ويخوفك
بالموعظة ويذكرك احوال الاخرة، ولينبهك من سنة الغفلة **يا بني**
واما قضاتك فيجب عليك ان تتخذ قاضيا من فقهائك افضلهم في ديانته
الدين وارغبهم في مصالح المسلمين لا تاخذه في الحق لومة لائم، ولا يسمع لظلامة ظالم ولا يبغي
برشا، ولا يعلو دونه منه برشا يساوي بين الشريف والمشروف والقوي والضعيف
عالما بتفسير الاحكام، مفرقا بين الحلال والحرام، قاضيا بالعدل آخذا بالفضل موجها
منه في الفضل **يا بني** واما اعوانك فلتتخذ لنفسك عونا تجعله مقدما
على اعوانك ومتصرفا في امور سلطانك يسمى شرطة، بين يديك فيما لا يمكن توصلك
اليه ويتولون الاشتغال بمن تسخطت عليه وينبغي ان يكون ذا دربة ونشاطه وكفاية ونجدة
مبادرا الى امتثال الاوامر متيقظا لما يرسمه في الباطن والظاهر عارفا بنص فاتك واهلا
فيك في حالتي توقعك وارهابك وفيما غضبت على من لا تريد ان يدركه عقابك بل يزجره
تخويفك وارهابك فليشتغل بامره ولا يعجل عليه من فوره الى ان تسكن من غضبك ويكون
ذلك من حسن نظره في قضاء اربك، ويجب عليه ان يكون مترقبا لنائبك نظر من المحبة
في جنابك **يا بني** واما قوادك فلتتخذ قوادا من اجناد جندك زعماء صادقين
في محبتك وامير يعرف ذوي حزم وكفاية ومعرفة ودراية لا يميلون الى الرعية
بمضرة ولا باذاية بل يحرسون الثغور، ويصونون العدو والمحذور، ويحوطون البلاد
ويمنعونها من كل باغ وعاد وساع في الفساد فتكون بهم مطهرا للخائن، امنا في البلا
د والظاهر، لتسد بهم الثغور المخوفات وتكفيهم الاكف العاديات واجرائهم عندك في
المعضلات بحيث اذا بعث العدو جيشا لفساد البلاد قابلته بفارس من هؤلاء القواد
مثل ما فعل الامين حين بعث علي بن عيسى بن ماهان فابرز اعلى ما اتى الف فقابله المامون
بطاهر ابن الحسين في ابن عنة في ثلاثة عشر الفا ومن كان كتب اليه كتابا يقول
فيه انه وجهت اليك بجرات من سيميم الحي جندي الامير محمد ما فيه قال فكتب اليه المامون

حكاية الامير مع المامون

عندي

عندي جماعة فليتفرط ذلك اليهم في يوم واحد فلما دنى علي بن عيسى بن ماهان من
طاهر بن الحسين قال ومن علي بن عيسى لولا ان يا ابت قد فر من طاهر فانه رجل خبيث قال
انما تحترز الرجال من اقرانها وسكرى طاهر اذا وقعت عينه علي كيف بانني منستامنا
فلما اجتمعا في ارض واحدة خرج طاهر في جملة خيل ووقف بموضع يشرف فيه على عسكر علي بن
عيسى بن ماهان فراى ما ملأ الارض من الجيوش فهاله كثرة ذلك والتفت الى هرثمة وقال
هذا جمع لا قبل لنا به فقال له هرثمة الراي ما ترى فقال طاهر اما انا فوالله لا رجعت الى صا
حبي منهزما ابدا حتى اموت ولكني اجعلها جاهلية واضرب في عسكرهم ومن تابعني من اصحابي
حتى اموت او يفتح الله لي فقال هرثمة وانا افعل مثل فعلك وجعلا الى عسكرهما وانتخبا منه
نحو السبعمائة ثم اقتحما بهم عسكر علي بن عيسى وجعل يشقون بهم الناس حتى وصلوا الى علي
ابن عيسى بن ماهان فخرج اليه عبد اسود لعلي بن عيسى كان من الشجعان فجال معه على
فحمل طاهر بيده على قلب تسبيعه وضرب به الاسود فقسمه بنصفين ثم اقتحم على علي فقتله
فلما قتله وانفصل جمع علي منهزما واتبعهم هو واصحابه نحو من ستة ايام يقتلونهم في كل
موضع ومشى طاهر بن الحسين وهرثمة حتى نزلا على الامين ببغداد محاصرا له فلما ضيقا عليه
الحصار كتب اليه الامير الى طاهر الحمد لله الذي يرفع من يشاء بقدرته ويضع من يشاء بحكمته
الذي يمنع ويعطي ويقبض ويبسط احمده على نوائب الزمان وخذلان الاعوان وصلى الله على
نبينا محمد وعلى اله خير العدنان **اما بعد** فقد رايت من الصلاح الخروج
الى اخي من هذا السلطان فانه ارى الملك فطالبه دوني وهو المحكم في امري فان اعطاني الامان على
نفسي وامي وولدي وحاشيتي حتى اخرج اليك على حكم اخي راضيا بجوره من عدله وانتقامه
من عفوه فقال طاهر هيهات هيهات الآن كان هذا قبل ضيق الخناق وتبرو العساق فلما
بعث الامين من طاهر كتب اليه اعلم يا طاهر انه ما قام لنا قائم قط بحق فيامه لنا
الا وامرنا الا كان السيف جزاؤه منا فانظر لنفسك او دع وقد علمت ما فعل ابو سلمة
الخلال من اول هذا الامر وكان وما كان هو الى العباس له وما كان من ابي مسلم صاحب الدعوة
وعلى اي شيء انقضى امره مع ابي جعفر والسلام قال طاهر وقد كان قوم يقعون عندي
الامير اما والله لقد قرب في قلبي نار من الخوف لا يطفؤها امرا ابدا وكان يقرا كتاب الا
مين على الصلاح اشارو بقول لي لم يضعون ولا كنه مخذول ولما ييس الامير من طاهر
خاطب هرثمة يطلب منه الامان فهبط فقتله طاهر بن الحسين وبعث براسه للمامون
ويقال ان ارسال طاهر بن الحسين لقتال علي بن ماهان انما كان عن راي ذو بان الحكيم
الهندي وكان ذو بان هذا من رجال الكمال فوجهه ملكه هدية الى المامون وكتب
اليه انه وجهت اليك بهدية ليس في الارض اسنى منها ولا ارفع ولا اعز ولا انفع فتعجب
المامون من ذلك وقال للوزير الفضل بن سهل سل الشيخ ما عنده فسأله فقال

دوبان الحكيم

ما انت عندي اكثر من علم قال واي شيء علمك قال راي يشجع وتدبير يقطع ودلالة تجمع
فلما اجمع المامون ان يوجه الى علي بن عيسى بن ماهان والى العراق قال له الشيخ راى
وثيق وشجاعة رفيق وحزم مصيب وملك قريب واسم ماض وامض ما انت ماض فقال من
توجه من القواد فقال الشيخ العتيق الاشهب الطاهر الاطهر ليس به ولا يبعث قوي مرهوب
مقاتل غير مغلوب قال فكم توجه معه من الخيل قال اربعة الاف من الاشبال لا ينقص
من العدد ولا يحتاج الى مدد فوجه طاهر بن الحسين فقال في اي وقت يخرج قال مع طلوع الفجر
يجتمع له الامر ويستقيم الى النصر ثم يرجع وقتل ربيع النصر له لا عليه ثم يرجع طاهر الذي
الى البيت فظفر طاهر بن الحسين على علي بن ماهان وقتله واستولى على عسكره فاتى المامون
الروبار ها انا الى فلم يقبلها وقال ايها الملك ان ملكي لم يوجهني لانقص ملكك واتامل
ما ينبغي لهذا المال او يزيد قال وما هو قال كتاب يوجد بالعراق له مكارم الاخلاق
وعلوم الافاق من كتب عظيم الفرس فيه شفاء للنفس مصنوف الاداب مما ليس في
كتاب عند عاقل لبيب ولا فطن اديب يوجد في خزائن تحت ايوان المداين فيقاس
بالذراع به وسط الايوان لا زيادة ولا نقصان فامر المامون وافلح الحجر فاذا وصلت
الى الساحة فاقلعها تجد الحاجة ولا تلتفت لغيرها فيلتك عند ضربها فارسل المامون
الى ايوان كسرى فحفر في وسطه فوجد صندوقا صغيرا من زجاج اسود عليه قفل منه
فحمل الى المامون فقال الروبار الهذا تبغيك قال نعم ايها الملك قال خذه وانصرف
فتكلم ونفخ في القفل فانفتح فاخرج منه خرقة ديباج فنشرها فسقط منها اوراق
فعدها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شيء غيرها فاخذ الاوراق وانصرف الى منزله
قال الفضل بن سهل فجئته وسالته فقال هذا كتاب جاويدان خرد تاليف
كنجور وزير الملك منوشهر فطلبت منه شيئا فدفع الي ورقات وترجمها الى الحسن
ابن علي ثم اخذت المامون فقال احمل الي الورقات فحملتها اليه فقراها فقال هذا والله
الكلام لا ما نحن فيه من لي السنتنا وفكوك اشداقنا ولولا ان العهد جمل طريقه بيد
الله وطرحه بايدينا لاخذناها منه وقد قيل ان الحكم التي كانت في الاوراق قوله
نصحني النصحاء ووعظني الوعاظ شفقة ونصحة فلم يعظني شيء مثل شيبي ولا
نصحني شيء مثل فكري واستضات بنور الشمس وضوء النهار فلم استضئ بشيء
اضوا من نور قلبي وكنت عند الاحرار والعبيد فلم يملكني احد ولا قهرني مثل هواي
وعاداني الاعداء فلم ار عدوا اعدى الي من نفسي اذا جهلت واحتسبت لنفسي نفسي
من الخلق كلهم حذرا عليها وشفقة فوجدتها اشر الانفس لنفسها ورايت انها لا انا
بها العشاء الامر قبلها وزحمني المضايق فلم يزحمني مثل الخلق السوء ووقعت
في ابعد البعد واطول الطول فلم اقع في شيء اضر علي من لساني ومشيت على الجمر

ودطلبت

وطلبت الرمضى فلم ار فازا احر من غضبي وطلبني الطلاب فلم يدركني مثل اساءتي و
نظرت ما الرماة الفاتلة من ابن ذاتي فوجدته من معصيتي في سبحانه والتمست الراحة
لنفسي فلم اجد لها شيئا اروح من ترك ما لا يعنيها وركبت البحار فانثرت الاهوال فلم ار هولا
مثل الوقوف على سلطان جائر وتوحشت في البرية فلم ار شيئا اوحش من قرين السوء و
عاينت السباع والضباع والذئاب وعاشرتها وعاشرتني فغلبني صاحب الخلق السوء واكلت
الطيب وشربت المسكر وعانقت الحسان فلم ار شيئا الذ من العافية والامن ونوحشت
الشياطين من الجبال والسباع فلم افزع الا من الانسان السوء واكلت الصبر وشربت المر
فلم ار شيئا امر من الفقر وشهدت الزحوف ولقيت الحتوف وباشرت السيوف وقارعت
الاقران فلم ار شيئا اغلب من المراة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم ار حملا اثقل من
الدين ونظرت فيما يذل الحر ويكسر القوي ويضع الشريف فلم ار اذل من ذي حاجة وفا
قة ورشقت بالنشاب ورجمت بالحجارة فلم ار انفذ من كلام السوء يخرج من فم مطالب
حق وحبست في السجن وشددت بالوثاق وضربت بعمد الحديد فلم يهدني مثل ما هد
مني الهم والغم والحزن واصطنعت الاخوان وانتجبت الاقران للعزلة والشرى والنا
ئبة فلم ار شيئا احمد من التكرم عندهم وطلبت الغنا فلم ار اغنى من القنوع وتصدقت
بالذخائر فلم ار صدقة انفع من رد ضالة الى هدى ورايت في الوحدة والغربة الذلة
فلم ار اذل مقاساة من جار السوء وشيدت البنيان لاعرف واذكر فلم ار شيئا
ارفع من اصطناع المعروف ولبست الكسا الفاخرة فلم البس مثل الصلاح وطلبت احسن
الاشياء عند الناس فلم اجد شيئا احسن من حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك
وحباهم فلم ار شيئا اكثر من الخلاص منهم **وفي رواية اخرى** ان دوبار هذا
وفد للمامون متشكيا ظلامة نابته وذكر ان المامون ركب الى مستنزه له لبعض الذي
وزرائه في ترتيب امره ومحاولته على اخيه الامير فعارضه دوبار المذكور فطلب منه
مستغيثا فلما نظر المامون الى هرمه رق له وامر ان يحمل على دابة ويتبع به الى المو
ضع الذي قصد فاذا حل عليه بعد استقراره ولما استقر المامون ووزراؤه بذلك
الموضع الذي قصد اذ حل عليه الشيخ الفارسي فامره بالجلوس في حاشية المجلس
ثم اقبل على اصحابه فاخبرهم بما صنع اخوه الامير من القبض على حاشيته وماله وتجهيزه
على ابن عيسى وهو يظن ان الشيخ لا يحسن اللسان العربي وان ما به من الهم شاغل
له عن الاصغاء الى ما هم فيه مع ما حمله من الامر فلما راى القوم ان المامون يتعجل
من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا اليه وكل قال منا ظنه ثم الراي فقال احدهم الراي اصطناع
قوم من الاعداء الذين لا يعرفون علي بن عيسى فيلقيهم وقال غيره الراي عندي ان
يبادر بالارسال الى الامير بطلب الصلح وبذل الانقياد لامره فانه يرى ذلك خطل

وقال غيره الرأي ان نجمع الاهل ونلجأ الى بعض المعاقل ونعتصم به وننتظر الفرج وقال غيره
الرأي ان نجمع اهل النجدة فيمن بقي علينا ثم نعتصم ببعض هذه الممالك المجاورة لنا من ملوك الد
الكفار وننصرفهم الى القتال فلعل الله ان يظهرنا وننصب الى مملكتنا تاوينا وينزع البلاد من
هو عليها من مثل ابنا فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي الله امره وقال غيره الرأي
عندي ايها الامير ان تحتاز الى ملك الترك مستجيرا به ومستعينا على اخيك الغادر الا
القاطع فهذا امر لم تزل الملوك تفعله اذا دهمها ما لا قبل لها به فلما سمع المامون
هذه المقالة ذكر انها وعزم على هذا الرأي ثم وبخهم فقال كيف الترك اجعل الترك على
حرم المسلمين سبيلا وقال لاصحابه قوموا عني فنهض الجميع والتفت وزيره الشيخ
الفارسي فنزع به وربوبه وسأله عن امره وما فضل له على لسانه ثم جاز اقامته له فقال
الشيخ بلسان عربي ايها الامير اني جئت لحاجة فعرض لي دونها ما هو اكرم منها واولى
بالعناية فقال له المامون هل تحب تسالني حيث الادب فقال ايها الامير اني
خلقت عليك وانا غير متصف بالمحبة لكم الغوائل في قلبي من المحبة للامير ما ملا واذا
كان يقال الود ثلاثة انواع فاولها واشرفها انشغالا بالباطن والظاهر وفي الاختراع
وهو الى واسه سبحانه صانع الاشياء ومخترعها والثاني في الاصطناع وهو
في المنعم عليه للمنعم والثالث في الاتباع وهو صغار اصرها في الحب وهو ابن
الود في الاختراع لان له سلطانا منبسطا على الظاهر والباطن والثاني في الرعية
لراعيها والعبيد لساداتها وانا احب الامير اعزه الله انه قد نظم في لي على ثلاثة
فنون من الود في الحب وفي الاصطناع وفي الاتباع فان الامير اعزه الله ان يرسل
وسيلتي ويصدق املي ويسعف طلبتي فليلحقني باهل اختصاصه ويكرمني بمكان
من اوليائه ونصحائه فبعد ذلك منظور به غير محتاج اليه وان عجز به جواني
بطائي الصنيعة منه شاكر والاختصاص منه منتفعا ناصحا قال له المامون
ما دينك ايها الشيخ فقال مجوسي باطنا والمامون يعلمني فيما تكلم فقال الشيخ لا
يصرف الامير عني حقارة قدري عنده فانه كان يقال الاخفى من الاتباع اهل
فانك تنتفع به كالبنا من كان وهو احد رجلين اما شريف فتحمل به واما وضيع فيحمي
عرضك ويصرف مروءتك وعلي اني لست اعني بحقارة قدري عندها الامير واما اعني
فاني برهمي من ولد البرهميين سيرملوك فارس المتوسط بينهم وبين اولادي او لا ابا
اعني حقارة ديني وكوني في عقد ذمة وصغار جزية فقال له المامون ما بلغ
عنك ايها الشيخ من رغبة وان اشغلت من خدمتنا التي ملتنا انجح فنادى شعار افعال
الشيخ الباعث من نفسي التي ما دعاني اليه الامير نشر به ولا اكره الا افعله في مقامي هذا
ولعلي افعله فيما بعد ثم قال ايأذن لي الامير ان اتكلم فيما فاوض وزراؤه فيه فقال

له المامون نعم فقال الشيخ فسمعت ما اشار وزراء الامير وكل منهم مجتهد في الاصابة
ولست ارضى شيئا مما ذهبوا اليه فقال له المامون اطلعنا على رايك فقال الشيخ اني اجد
في الحكم التي ورثها ابائي عن ابائهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يلجئ
نفسه الى الحكم فانه المحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الروع بحسب طاقته
فانه ان لم يحط على الظفر حط على العذر فقال المامون ايها الشيخ انه كان يقال لا راي لمكروب
وقد سمعت انفاسنا لك بالنفقة من غير امتحان وما ذاك لاختيارنا اضاعة
الحزم ولا كنا احببنا ان نريك ثم حبنا بالمكاشفة الرزاية على القبول وها نحن نخبرك
ان هذا المتوجه الينا اعني علي بن عيسى هو املك بالبلد منا لا يمكننا مقاومته لو
اردنا ذلك وقد رنا الاموال فقال ايها الامير ينبغي ان تمحو هذا الامر من قلبك بالجملة
وان لا تصغي الى من ينطق به فانه كان يقال ما اكثر من كثرة البغي ولا اقوى من قوة الظلم
ولا املك من ملكه الغضب وها انا احدثك عن مرازبة حدوث مثاله تلك منالة فقال له المامون
هات فقال الشيخ ان خشنوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس وارا
ذاطلاقه اخذ عليه عهدا ان لا يغزوه ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصى تخوم الهياطلة صخرة
واخذ على فيروز عهدا ان لا يتجاوز تلك الصخرة ولما استوثق خشنوار من فيروز بما اخذ
عليه من عهود السلامة اطلقه فجيء الطلقة رجع فيروز الى دار ملكه داخلته الحمية والانفة
فعزم على غزو خشنوار واطلع وزراءه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة
البغي ومادة ذلك بما هم به فاذكروه العهود التي اخذها عليه خشنوار فقال لهم
اني انما حلفت ان لا اتجاوز تلك الصخرة وانا امر بحملها على فيل فيكون بين يدي جنودي لا تفارقها
ونها احر منعهم فلما راوا ان الهوى وقف به على حد الرضى بهذا القول علموا انقياد عقله
لشهوته فامسكوا عنه واعتقدوا ان لا يراجعوه في ذلك وكان يقال ان الهوى صدا
يعلو العقل فلا تنطبع فيه وكان يقال ما لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر
فاذا بلغ اللجاج فذلك ذيل السكر وسلطانه عليه فاما سلطان العقل فطاري منتعا
ولو للعقل حاجبان وهما الشهوة والغضب فلا يزال العقل ناظرا الى الهوى فاهرا له
ما لم يحجبه غضب او شهوة فحينئذ ينبسط سلطان الهوى ويعز حكمه قال فجمع
فيروز مرازبته وهم اربعة يتبع كل مرزبان خمسون الف مقاتل كل واحد منهم ضابط
ربع من ارباع مملكة بابل وامرهم بالتجهيز لحرب الهياطلة ففعلوا وطار فيروز نحو خشنوار
في جيوش يظن ان لا غالب لها وكان خشنوار يضعف عن مقاومة مرزبان من مرازبة فيروز
وانما كان ظفر بفيروز اولا بمكيدة ليس هذا موضع ذكرها وقد كان مع خشنوار رجل من حكماء وعني
هذا اللقب امطها حفظه الدين وهو عند الفرس كالنبي فقال الحكيم زخير واعن به على
غزو خشنوار ان لا تعجل في الملك فان رب العالم لم يهمل الملوك على الجور ما لم ياخذوا

فلم يلتفت فيروز الى هذه المقالة وركب راسه في هذا وان كان الشيء بعينه فما تعرض له بسوء وكان يقال يستدل على ادبار الملك بخمسة امور احدها ان يستكفي بالاعوان في مغضبة والثاني ان يقصر اهل مودته والثالث ان ينقص خراجه عن ومراجعته له بالعواقب والرابع ان يكون تقريبه وابعاده للهوى لا للراي والخامس استخفافه بنصائح العقلاء وارائهم وذوي الحنكة وكان يقال من عظم نصيحا فقد استفاد عدوا وكان يقال انما يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكري وضعفه فمن قوي تخيله وفكره فهو في سلطان الهوى وفي سلطان الراي غالبا ومن ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى غالبا وعلى حكم هذا القانون فمن عرف الحكمة في الامور المتحو بالبهائم **قال الشيخ** الفارسي وان فيروز سار فاصدا نحو الخنشوار حتى انتهى الى الصخرة التي نصبها علما للحدود ارضه واستحلف فيروز ان لا يجاوزها امر فيروز بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذي يحملها بين يدي عسكره وهو يرى ان يتجاوز ذلك الموضع الذي كانت الصخرة فيه حتى جاء رجل الفيل احد من العسكر فما بعد ذلك الموضع الذي كانت الصخرة فيه اساورته فقتل رجلا متمكنا فطلب من ثقات اصحابه وذكر له ان اسوار اعظيم القدر من اساورته فقتل رجلا متمكنا فطلب وعزوانا وجاء اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز وتظلم من الاسوار القاتل اخيه فامر له فيروز بمال لينصرف فابى قبول المال وقال لا ارضى الا بقتل قاتل اخيه فامر فيروز باحضاره فانطلق من فوره الى ذلك الاسوار الذي قتل اخاه فشد عليه بخنجر بيده فلما راه الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز فتعجب من ذلك فقال الوزير من وراء فيروز رافع دابته وتقدم بين يدي دابة فيروز فقال له ايها الملك اتاذن لي ان اقول فيه فقال فيروز اعرض قوله فقال انه يريد الحلول به في مهم فاما فيروز فاذن له فقال الوزير ان هذا الوزير فاذن له فقال له ايها الملك التمس مثل هذا في مثل عزته وقوته لعرفت عنايته اول الامر واهل بيتك فما بدلك من المثال ام هذا الاسوار اذ كان اسوار الفرار هاربا بين يدي مسكين في يده خنجر وما ذاك الا لبغيه وتعديه فقال له فيروز انه لم يمنعه من تعجزه عنه بل تخوفه منا ولم يكن ليفعل تلك الفعلة القبيحة ثم يشجعها بمثلها فقال الوزير ايها الملك ارايت ان دعوته الى مبارزة ذلك المسكين وامنته من سطوتك فظفر ذلك المسكين عليه اتعلم ان هذا مثل ضربك فيم العالم فقال الملك لافعلن ذلك ثم انه احضر الاسوار فامنه وامره بمبارزة ذلك المسكين الشاهر باخيه فاجاب الى ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه فقال لهم المسكين دعوني واياه فانه على فرس الغرور وانا على فرس البصيرة وهو لابس درع الشك وانا لابس درع التقة وهو مقاتل بسيف البغي وانا مقاتل بسيف الحق فقال

الوزير

الوزير لفيروز ايها الملك ان كلام هذا المسكين ابلغ في المثلية والموعظة من ظفر هذا الاسوار فضرب اسواره واسلو نفسه ولا تعرضه للهلكة بلقاء هذا المسكين واعلم في رضى هذا المسكين بالاحسان اليه فانه لم يرض الا العظام فافض له بالعز المالوف منك واشرع عناية لاول لا اخذك بعنايتك بالحق الذي يرضيه العمل به ويسخطه اجتنابه فقال فيروز لا بد ان اخلي بينهما وانظر من يكون منهما ان كان المسكين يختار ذلك ويرغب فيه فاعادوا عرض مبارزة الاسوار على المسكين فاقام على الرغبة فيها والحرص عليها وخوفوه الهلاك فلم يرده تخويفهم الاجراء واقداما فقيل للاسوار القه ولا تخف عنه فحمل كل واحد منهما على الاخر فالتقيا وقبض المسكين على شكيمة فرس الاسوار وضربه الاسوار بالسيف ضربة تطاطا لها المسكين فاصاب ذباب السيف البيضة فانهتك بها ان البيضة بالكيه ثم ثار اليه المسكين فضربه بالخنجر في عنقه وجذبه فصرعه ثم ضربه وهو ملقى ضربة اخرى وادخل من الدرع حلقات في جوفه وقضى عليه فبات فيروز تلك الليلة في موضعه ذلك يفكر فيما باتيه من امره ثم انه استفاد لهواه فنفر لوجهه وكان يقال اول الهوى هوى وكان يقال الهوى طاغية فمن ملكه اهلكه وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم اتقادها عسر اخمادها والسيول اذا اتصل مددها تعذر صدها وكان يقال البعد لاسيما من اوثقه عراه اسيرا وانما الاسير من اوثقه هواه وارهقه ضيما **قال الشيخ** ولما علم الخنشوار فصل فيروز اليه لم يبدأ بحمل نفسه على التثبت ووكل الامر الى اول الامر وسالة ان يعصب لعهوده ومواثيقه التي لم يبرح فيروز حقها ولا خاف تبعة نكثها واخرج ذلك خطه من الخزي ونشرة تغوره وجمع اليه جنده واعد للقاء فيروز عدته واهمل حتى وطئ فيروز كثير امن ارضه وتوسط مملكته وعاث في بلاده وسار على رعيته اياه فنهض اليه فعاجله وصرفه الجلاد فانكشف فيروز منهزما واسلم ما كان في يده فقتل الخنشوار رجاله وغنم امواله وامعن في طلب فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وجلت اصحابه وكانت العاقبة له **قال** فلما سمع المامون ما ضرب له الشيخ الفارسي اقبل عليه مستبشرا وقال قد سمعنا مقالتك مقالتك وصادفت منا قبولا لها وشكرا عليها وسرورا بها فماذا ترى فيما دعوتك اليه من توحيد الله عز وجل الذي اجزل من العقل حظك وفتق بالمعرفة فكرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع بمحمد صلى الله عليه وسلم عذرك فقال الشيخ اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرح المامون باسلامه واجزل صلته وقرب منزلته واخصه بخاصة اوليائه واصحابه وامره بملازمة بابه فما لبث الا اياما قلائل حتى لحق بربه وعمل المامون براية فانجح عمله وبلغه من الخلافة ما امله فهكذا ينبغي ان يكون عونك فوادك فلانتقى واما عمالك فلتنتخبهم من العارفين بجبايات الخراج واهل البصر بالالقاب التي بها الاحتياج ويكون ذوي حزم وكفاية ودربة

ودراية وضبط وامانة وفضل وديانة لا يضيعون اعمال المخزنية ولا يتضررون في ذلك **يا بني** لا تنظر الى العمال
الرعية ويحتاطون في الحال الذين جريا على السبيل السوية
وان اظهروا لك التقشف والاقلال وتلبسوا بالعبادة والزهادة في الحال وقد جرت
عادة الخلفاء والملوك باختبار العمال في جبايات الاموال كما يروى ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه كتب الى ابي موسى ان ياتيه بعماله وكان واليا على العراق **قال**
الربيع بن زياد الحارثي وكنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فامر عمر رضي الله
عنه بقدوم العمال عليه وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة اتيت يرفى مولى عمر رضي
الله عنه فقلت له يا يرفى مسترشد وابن سبيل اخبرني في اي الهيئات يحب امير
المومنين ان يرى عامله فاوحى الي الخشونة فاتخذت خفا مطرقا ولبست جبة صوف ولثمت
عمامتي على راسي على غير استواء فدخلنا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصففنا
بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تاخذ عينه غيري فدعاني فقال من انت فقلت الربيع
ابن زياد الحارثي قال وما تتولى من اعمالنا قلت له البحرين قال وكم ترزق قلت الفا
قال كثير فما تصنع بها قلت اتقوت ببعضها واجود على اقاربي فما فضل عنهم فعلى
فقراء المسلمين قال فلا باس عليك عد الى مكانك من الصف فرجعت الى موضعي وصعد
فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني ثانية فقال لي كم سنك قلت خمس واربعون قال
الان استحكمت امرك ثم دعا بالطعام واصحابي حديث عهد بلين العيش وقد تجوعت له فاتي
بخبز واعضاء بعير فجعل اصحابي يعافون اكله وجعلت اكل واجيد وانا انظر اليه
فلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض ولم اقلها فقلت يا امير
المومنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام الين من هذا فزجرني
ثم قال كيف قلت يا امير المومنين لو امرت بقوتك من الطحين ان يخبز لك قبل ارادتك اياه
بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فيوتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن غضبه ثم قال
هاهنا غرت قلت نعم قال يا ربيع انا لو نشاء لملانا هذه الرحاب من صلائق وسبائك
يغني خبز الحوارى ولا كراكر الشعر وجل عن قوم باه فعلوه فقال عز من قائل اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ثم امر عمر رضي الله عنه ابا موسى الاشعري
ان يقر علي عملي وان يستبدل باصحابي **وروى** البخاري في صحيحه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم استعمل رجلا يقال له ابن الاتبية فلما جاء قال يا رسول الله هذا لكم
وهذا لي فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بال الرجل نستعمله على عمل من اعمال الله
فيقول هذا لكم وهذا اهدي لي افلا قعد في بيت ابيه وامه فينظر هل يهدى
له قال مالك رحمه الله تعالى وكان عمر رضي الله عنه يشاطر العمال وياخذ نصف اموالهم
وانما شاطرهم حين ظهرت لهم اموال لم تكن لهم قبل الولاية قال ابو هريرة لما عزلني

عمر

عمر عن ابيه من قال لي اخذت مال الله فقلت ما اخذت مال الله فقال من اين اجتمعت
لك عشرة الاف درهم قلت خيلي تناتجت وعطايا تلاحقت وغلة رقيق تداركت
قال ابو هريرة فلما صليت الصبح استغفرت لامير المومنين فقال لي بعد ذلك الا تعمل
لنا قلت لا قال قد عمل من هو خير منك يوسف صلوات الله عليه قلت ان يوسف كان
نبيا ابن نبي وانا ابن اميمة اخشى ان يشتم عرضي ويضرب ظهري ويؤخذ مالي وبعث
عمر رضي الله عنه بالحارث بن وهب حين عزله فقال له ما قلاص واعبد بعتها
بمائتي دينار قال خرجت بنفقة معي فتجرت فيها فقال انا والله ما بعثناك للتجارة في
اموال المسلمين ادها قال اما والله ما عملت لك عملا بعد هذا ابدا قال انتظر حتى
استعملك قال وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاصي وكان عامله على
مصر من عبد الله عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاصي **اما بعد** فانه بلغني
انك فشت لك فاشية من خيل وابل وبقر وعبيد وعهدي بك قبل ذلك ولا مال لك فاكتب الي
من اين اصل هذا المال وكتب اليه عمرو لعبد الله عمر امير المومنين من عمرو بن العاصي فاني احمد
الله اليك الذي لا اله الا هو وانه اتاني كتابك تذكر فيه فاشية ما فشى وانك تعرفني
ولا مال لي قبل ذلك **فاعلم** يا امير المومنين اني ببلد السعر به رخيص واني اعالج
الحرفة والزراعة ما يعالجه الناس وفي رزق امير المومنين سعة وبالله الذي لا اله الا هو
لو رايت خيانتك حلالا ما خنتك فاقصر ايها الرجل فان لنا احسابا هي خير من العمل
لك ان رجعنا اليها عشنا ولعمري ان لنا ما لا نذم معيشته ولا نذم وفاتي ان ذلك ولم ينفع
فعليك ولم ينكر في عملك **فكتب اليه عمر بن الخطاب**
رضي الله عنه اما بعد فاني والله ما انا من اساطيرك التي تسطر ونسقك
الكلام في غير موضع وما يغني عنك ان تزكي نفسك وقد بعثت اليك محمد بن مسلمة فشاطره
مالك فانكم ايها الرهط الامراء جلستم على عيون الاموال ثم لم يعوزكم عذر تجمعون
لابنائكم وتمهدون لانفسكم اما انكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام فلما
قدم محمد بن مسلمة على عمرو بن العاصي قدم له عمرو طعاما كثيرا فابى محمد من اكله فقال
عمرو تحرمون طعامنا فقال لو قدمت الي طعام الضيف لاكلته ولكنك قدمت لي طعاما
مما اراه تقدمة شر والله لا اشرب عندك الماء فاكتب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه
فجعل يشاطره في جميع ماله حتى نعليه اخذ احداهما وترك الاخرى فغضب عمرو وقال
قبح الله زمانا تعمل فيه لعمر ولعبد الله اني لاعرف الخطاب يحمل على راسه حزمة الحطب
وعلى ابنه مثلها وما منهما الا عليه نمرة لا تبلغ رصغيه والله ما كان العاصي بن وائل
يرضى ان يلبس الديباج مزررا بالذهب فقال محمد اسكت عمر والله خير منك واما ابوك
وابوه في النار ولولا الزمان الذي سلفته فيه لالفيت معتقل شاة يسرك غزرها وتسوءك

وبصوءك بكيها فقال عمر وهي عنزي بامانة الكمهاعي **وبعث** معاوية
بالواذم وهو الغير وكتب الى ابيه
الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو وال على الشام بالمال ودا
ابي سفيان ان يرفع المال الى عمر والادهم فخرج الرسول حتى قدم على ابي سفيان بالمال فلما قرا عمر الكتاب
ذهب ابو سفيان بكتاب معاوية والادهم الى عمر وجلس عمر بنفسه فلما جاء اخرجت
فقال الى المال يا ابا سفيان قال كان علينا دين ومؤونة ولنا في بيت المال حق فاذا اخرجت
لنا شيء فاحتسبنا به فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اطرحوه في الادهم حتى يأتي
بالمال فلما راى ذلك ابو سفيان ان يرسل في المال فاتى به وامر عمر بالطلاقه من الادهم فلما
رجع الرسول الى معاوية قال ارايت امير المومنين اعجب بالادهم قال لا نعم وطرح فيه اباك
قال لم ذلك قال حبس المال وجاء بالكتاب والادهم الى عمر فقال معاوية اي والله والخطاب
لو كان لطرحه فيه وبلغ عمر بن الخطاب ان سعد بن ابي وقاص اتخذ قصرا وجعل عليه بابا
وقال الصوت قد انقطع فارسل عمر محمد بن مسلمة وكان عمر اذا احب ان يوتى بالامر كما هو
بعثه فقال له ايت سعدا واحرق عليه بابه فقدم الكوفة فلما اتى الباب اخرج
زنده واستورى نارا ثم احرق الباب واتى سعد الخبر ووصف له صفته فعرف محمد فخرج
اليه سعد فقال له محمد انه بلغ امير المومنين انك قلت انقطع الصوت فحلف
سعد بالله انه ما قاله فقال له محمد نفعل الذي امرنا به ونودي عنك ما تقول
ثم ركب راحلته راجعا فلما دخل على عمر قال لولا حسن الظن بك ما راينا انك
اديت وذكر انه اسرع السير فقال قد فعلت وان سعدا يعتذر ويحلف بالله
ما قال فقال عمر فهل امر لك بشيء فقال قد رايت انك لم تأمر لي فكيف هو فقال
عمر ان ارض العراق ارض رقيقة وان اهل المدينة يموتون حولي من الجوع فخشيت ان
امر لك بشيء فيكون لك بارده ولي الحار وزار ابو سفيان معاوية ابنه بالشام
فلما رجع من عنده دخل على عمر بن الخطاب فقال له عمر اجزنا يا ابا سفيان قال ما
اصبنا شيئا فنجزيك فاخذ عمر خاتمه وبعث به الى هند وقال للرسول قل لها يقول لك
عمر اوتيني بما فيها عشرة الاف درهم فالقاها عمر في بيت المال فلما ولي عثمان
ردها على ابي سفيان فقال ابو سفيان ما كنت لاخذ مالا عابه علي عمر **وروي**
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل على حمص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة
كتب اليه ان يقدم فلم يشعر به عمر ان قدم ماشيا حافيا عكازه بيده واداوته
ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمير اخبث البلاد بلاد سوء فقال
يا امير المومنين اما نهيت ان تجهر بالسوء ونهيت عن سوء الظن وما ترى من سوء الحال
وقد جئتك بالدنيا اجرها بجوارها قال وما معك من الدنيا قال عكازة اتوكأ
عليها وادفع بها عدوا ان لقيته ومزودي احمل فيها طعامي واداوة هذه احمل فيها

شيء

شيء بماء للشرب وطهوري وقصعتي هذه اتوضأ فيها واغسل فيها راسي واكل فيها طعامي
فوالله يا امير المومنين ما الدنيا الا تبعا لما معي قال فقام عمر عن مجلسه فقال ما صنعت
في عملك يا عمير قال اخذت الزكاة من اهل الرقة والابل من اهل الابل واخذت الجزية من اهل
الجزية عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها في الفقراء وابناء السبيل والمساكين فوالله يا امير
المومنين لو بقي عندي شيء لاتيتك به فقال له عمر عد الى عملك قال عمير انشدك الله
ان تردني الى عملي ولم اسلم منه حين قلت لنصراني اخزاك الله ولقد خشيت ان يخصمني محمد
صلى الله عليه وسلم ولقد سمعته يقول انا حجيج المظلوم ثم جاء حجته حجبته واستاذنه
ان ياتي اهله فاذن له فاتى اهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار فقال ان رايت
عميرا فانزل عليه ثلاثا فان رايت حالا ثم يخف عليك فادفع له المائة فاتاه حبيب فنزل
عليه ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثا قال يا حبيب ان رايت
ان تتحول الى جيراننا فلعل ان يكونوا اوسع عيشا منا اما نحن فوالله لو كان عندنا
غير هذا لاثرناك به قال فدفع له المائة وقال له بعث بها اليك امير المومنين فدعا
بجرار خلق لامراته فصرها الخمسة والستة والسبعة فقسمها ورجع حبيب الى عمر فقال
يا امير المومنين جئتك من عند ازهد الناس وما عنده من الدنيا قليل ولا كثير فبعث اليه
عمر فقال ما صنعت يا عمير بالمائة قال لا تسلني عنها قال لتخبرني فقال قسمتها في
اخواني من المهاجرين والانصار قال فامر له بوسق من طعام وثوبين فقال يا امير
المومنين اما الثوبين فقبلتهما واما الوسق فلا حاجة لي به عند اهلي صاع من بر
هو كافيهم حتى ارجع **وروي** ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صر اربع مائة دينار
وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تلكأ ساعة في البيت حتى ترى
ما يصنع بها فذهب الغلام اليه وقال له يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض
حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان
وبالخمسة الى فلان حتى انفدها ورجع الغلام الى عمر فاخبره فوجد قد اعد مثلها
لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ في البيت حتى ترى ما يصنع بها
فذهب بها اليه وقال له امير المومنين يقول لك اجعل هذه في بعض حوائجك فقال
رحمه الله ووصله ثم قال يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا والى بيت فلان بكذا
فقالت امراته نحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقة الا دينارين فدحا
بهما اليها ورجع الغلام فاخبر بذلك امير المومنين عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم من بعض
ولما ولي عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابي سرح فجمل من المال
اكثر مما كان يجمله عمرو فقال له عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال ذلك
والله لانكم اعجفتم باولادها قال زياد احسنوا الى المزارعين فانكم لن تزالوا سمانا ما

ما اسمنوا وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود المملكة وما استغزر بمثل العدل ولا انتشى
بمثل الظلم وافزع الامور في خراج البلاد الجور يا بني واما جيشك فاعلم انه يجب
عليك ان تنتخب لجيشك انجاد القواد من انجاد الاجناد فقد قالت الحكماء اسد يقود
الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد ولتقدم على جيشك اهل النجدة والبسالة والشجا
عة والبسالة ممن مارس الحروب ودافع الخطوب وصارع الابطال واقتحم الاهوال اعلم
يا بني ان خير الاصحاب اربعة وخير الرايات اربعمائة وخير الجيوش اربعة
الاف ولن يبلغ جيش يبلغ اثنا عشر الفا من قلة اذا انبعثت كلمتهم وقد قالت الحكماء
للكثرة الرعب وللقلة النصر **يا بني اعلم ان الجيش ينقسم الى اربعة اقسام**
الخاصة **اعلم** يا بني انه ينبغي
خاصتك وقبيلك وانصارك ومماليكك فاما الخاصة فتستخلص لنفسك لتعلقك كل
لك ان تتخذ خاصة من وجوه القبائل وكرام العشائر لانه اذا كان محبا في جاه
واهل منهم محبا بجانبك ومائلا اليك ومعتمرا في امورك عليك
بك فاجمع جماعته الى بابك وتعولوا كلهم في مرضاتك واراءك ولتتخذ لكل واحد

القسم الثاني

منهم في منزلته ورتبته على قدر ما يليق به من رتبته **اعلم يا بني** انه ينبغي لك ان تكون محافظا
من الجيش القبيل الذي فيه قبيل الملك الى قبيلك ولا تمنعهم من خيرك
على قبيلك من انسابهم من كثيرك وقبيلك لا تخرجهم الى غيرك ولا تبعدهم عن
ولتختم منهم من يكون محبا لك ناصحا مخلصا طائعا ومن تراه لا اختصاصك اهلا ولتقربه
واصطفائك محلا وتقدم الاشياخ على الجموع فان التابع يصلح بالمتبوع فتجعل على
كل جماعة منهم شيخا من كبارهم واعيانهم وخيارهم محبا في سلطانك وجماعتك
باذلا في خدمتك جهد استطاعته مامون الغائلة من النميمة والغيبة سالما من
النقيصة والريبة مرضيا لجماعته على طاعتك مطالعا لك باحوالهم في كل احيانه

القسم الثالث

ولا يغولوا عنهم الا الحق ولا يعاملوا سلطانه الا بالصدق **اعلم يا بني**
وهم انصار الملك من حماته المعروفون به من جميع جهاته
انه ينبغي لك ان تتخذ لتعبيتك انصار الابطال فوتك ليلا ولا نهارا وهم اربعة
اقسام ميمنة وميسرة وتعرمة وساقة فاما الميمنة يا بني فلتتخذهم من ذوي
الشجاعة والكفاية والنجدة والحماية وتقدم عليهم من خاصتك الاجواد فاما من
القواد ارباب الجاش صادق الباس وان يكون نزولهم في محلتك عن يمينك في المنزلة
متنزهين احسن زي واجمله واما الميسرة يا بني فلتتخذهم ايضا من حماة الابطال
المقتحمين للاهوال من مشاهير الفرسان واسود الضراب والطعان واهل الجلاد
والكفاح والاقدام والنطاح وتقدم عليهم فارسا ثابت القلب عارفا بمواقع الحرب
صابرا للطعن والضرب ويكون نزولهم في محلتك عن يسارك من تقبيل الملك في ايامك

واصرارى

واضرارى واما التعرمة يا بني فلتتخذهم ايضا من اصحاب الخيول السوابق العتاق
بالشرائد والمضايق من كل اسد باسل وبطل مقاتل صابر للمقاتل وتقدم عليهم ماهرا
بصيرا بمواضع العرص والغرة فقد مارس الحروب المرة بغير الحرة لا يحجم عن الاقدام ولا
يتزحزح عند تزلزل الاقدام ويكون نزولهم في محلتك امامك لا يتجاوزون غرضك
ومرامك واما الساقة يا بني وهم اهل دخلتك المخصوصين بولائك ونصرك
اعلم يا بني انه ينبغي لك ان تتخذ خلفك من الحماة الامجاد والاعيان
الانجاد من سراة القبائل وصناديد المواقف والمحافل وفي ثبوت عند نزول النوازل
وصبر عند وقع الكتائب واهل نجدة عند حلول المصائب لانهم العقب الذي عليه المدار
والمنبر الذي يرجع اليه ذوو الفرار وبهم ترد الهزائم وترفع العظائم وتنكشف الكروب
وتدور عليهم الحروب فقد يهابون العدو بموقفهم ويخزلونه بثبوت صفوفهم فيكون
جميعهم يقاتل اهل الميمنة والميمنة والتعرمة وهذا الذي من سائر الحرب وقومه اوحكمه
واربه لانه ربما وقع من بعضهم اختلال وعصيان وتشاجر في بعض الاحيان فتمنعهم
باهل الدخلة وتزجرهم عن تلك الفعلة ولتقدم عليهم فارسا من خيار خاصتك الا
في بين المقاربين للحروب المجربين من ظهرت نجابته وكثرت اصابته واعتورته الامور
واشتهر في كل معترك مشهور من ذوي الحسب اللباب والكرم الانساب ويكون
نزولهم في محلتك خلف منزلتك وكذلك في ركوبك وحالتي سلمك وحربك وهذه
الجموع المذكورة المخصوصون من المحلة بهذه المنازل المشهورة يركبون لركوبك
وينزلون لنزولك لتبلغ بهم غاية مقصدك ومامولك فيحيطون بك من جميع جهاتك
في ليلك ونهارك وسائر اوقاتك ويكونون صفا وسورا لقبيلك في الشجاعة لئلا
يخرج بعضهم عن الامتثال والطاعة فان ظهر من بعض قبيلك تخاذل وانكار فتقمعهم
بهؤلاء الحماة والانصار **القسم الرابع** من اقسام الجيش مماليك
الملك وهم على اربعة اقسام الاعلاج والنصارى والاغزاز والوصفان ويكون قدر
هؤلاء الذين ذكرناهم قدر الحماة والانصار الذين قدمناهم بحيث اذا ظهر منهم جموح من
لعصيانك واخلال لجانبك فتقمعهم بهؤلاء الاصناف وتمنعهم من الخزي والخلاف
وليكن هؤلاء المذكورون اهل نشأة وكفاية ونجدة في غاية وزينة وعدة وجرأة و
نشأة وحمية وليكن سكناهم ببلد حضرتك لتخدمهم لغضبك وتنصرك الابعاد فوتك
من بعيد وليكن الذين تلقاء وجهك كل ايام وان تقسمهم في الركوب وصفاتهم
في هذا الغرض المطلوب وليكن اعزازك واعلامك بين يديك وركابك خلفك
فانهم يتقدمون عليك وكذلك النصارى والوصفان يركبون خلفك مع اهل
دخلتك العرسان ولتقدم على كل جماعة من هؤلاء فارسا محنطا ناجزا وكذلك

انقسام الجيش اربعة اقسام
ميمنة وميسرة الخ

الاعمار والاعلاج يجرون في التعريب على هذا المنهاج والاعمار لتنقسم الى اربعة اقسام
صغار واتراك واعلاج ومناصفون وتعرف على كل جماعة منهم فايزا يعترفون به
ويكون لهم علم يمتازون بحسبه وتستحب للملك ان يتخذ رجالا افذاذا كفاة اطرادا
مشاء بين يديك اذا ركبت ومنهم فمن حيث ما امرتهم يكون لهم ترتيب في اللباس يمتازون
بذالك يتزينون بالاقبية الحسان المختلفات الالوان وبايديهم الحراب عليها صغار
الرايات من انوار الحرير مختلفات لانهم مما يزيدون في بهاء الملك وجماله وفخامته وكما
له وهم مما يتزين بابهم الملوك والامراء والاشراف والكبراء

القسم الثاني من قواعد السياسة

يا بني اعلم انه ينبغي لك ان تنزل الناس في منازلهم وترتبهم بحسب
اقدارهم عندك ومناصبهم وذلك على طبقات الطبقة الاولى اعلم يا بني
انه ينبغي لك ان يكون اول الناس عليك من وزرائك الموصوف وعونك المعروف ليعرف
بين بابك من وزرائك وحجابك وارباب دولتك وكتابك فاول من يدخل عليك كاتبك
ووزيرك اذ بهما صلاحك وتدبيرك ليجمع معك على الراي والتدبير والجليل من امورك
والحقير فان الوزير اذا كان على ما وصفنا وبالصفة التي ذكرناها فلا ينبغي لك
ان يخفى عليك شيء من امرك بل يشاركك في حلوك ومرك وقلك وكثرك ويجب
على هذا الكاتب التي تعرفت صفته ووصفت نباهته ومعرفته ان يكون دربا
في قراءة الكتب وترديدها متحرزا من الغلط نشاهته او وصمة في ضم الكتاب ثاقبة فانه
ربما يجب فيها ما يكون في حق الجلساء وصما وقبيحا يستحق في الوقت كتمانه فيتجاوز
الكاتب ذالك اللفظ المتبر ولا يبينه في الحين ثم ينتظر به خلوة اليك فيجيد قراءته
عليك ويظهر لك ما اخفاه عن الجلساء فيعرف ذالك من جملة فطنته والذكاء فاذا
فرغ الكاتب من عرض كتبك وتلقى بالتوقيع ما اردته من اربك خرج لكتابة ما امرته
به ويجري على احسن مذهبه وتبقى انت مع وزيرك تتفاوض فيما يصلح الدولة ويعود
عليها بالمنفعة على التفصيل والجملة يا بني ينبغي ان يكون مجلسك
مع وزيرك مجلس هيبة ووقار وتعظيم واكبار وتفاوض في الاخبار واخذ في المصالح
وتدبير يعود بالمنافع والمنافع لا مجلس هذار ومزاح ولا مباسطة اطراح فانه
اذا مازحت وزيرك اسقط المزاح عنده هيبتك وتوقيرك لانه ربما تكلمت بما
تزول به عند الوزير هيبتك وربما ايضا تكلم الوزير بما يستخف به عقله فتسقط
رتبته عندك وبعد خروج وزيرك وكاتبك وقضاء ما اردته من مآربك يدخل حاجب
اشغالك الموكل بحفظ حبايات اموالك تعرفك بما تحمل وتخص من مالك وبمحاسبة
عمالك وبجميع اشغالك المختصة بدارك في ايرادك واصدارك مثل اصناف الحلل وانواع

الثياب

الثياب وغير ذالك من الاثاث والاسباب ولينبغي ايضا منك ما تامره به جاريا على عرفك
في تفقده مما يحتاج اليه في يومه من الاشغال وما يليق من الاعمال ثم يدخل صاحب شرطتك
وحاكم بلد حضرتك ليخبرك بما تزايد في ليلتك حتى لا يخفى عليك شيء من احوال رعيتك وبلا
وبلدك ومع ضبط مملكتك فتسأله عن القليل والكثير والجليل والحقير لئلا يتوصل اهل
العناية للرعية بالمضرة والاذاية ولا يبغي من الحاكم جور في البلد ولا طمع لاحد وانه اذا علم
الحاكم وغيره من اهل الجنايات واهل الدعارات والجنايات بان الملك لا يغيب عنه شيء من
احوال بلده فيمتنع كل منهم من استطالة يده فيقف الناس عند حدودهم ويامنون من الجور
في صدورهم وورودهم وفي هذا ابقاء لنظام الملك وامان للرعية من الهلك يا بني
وينبغي لك ان تتخير صاحب الشرطة لانها عند الملوك اكبر خطة فتقدم لها من يكون صاحب
ديانة وعفة وصيانة وهمة ومكانة وسياسة ورياسة وراي وفراسة ثم تدعو الى الدخول عليك
الاولى فالاولى من خاصتك وخلطائك واشياخ قبيلك واولي الباب فتستشيرهم فيما ظهر
من رايك وتاخذ معهم فيما عليهم وما لهم وما يصلح احوالك واحوالهم ثم تدعو الى الدخول
اشياخ دولتك واشياخ القبائل المنتسبين لخدمتك ووفود اجنادك المتمسكين
بخدمتك يا بني وينبغي لك ايضا ان تتخذ طعاما تجعله عادة مستمرة لتستجلب
به القلوب للمنزلة لا اطعام ما ذكرناه من اشياخ القبائل ومن يرد عليك من قبل الملوك
بالرسائل فاذا وقع الناس من اكل الطعام بين يديك خف الزحام لك ودخلنا اليه وانصرف
الناس ما عدا الخاصة ثم تعود الى مجلسك ثانية ثم تدعو الجلوس وزيرك وخاصتك وتتخذ
ذالك سيرة وعادة فيكون جلوسك معهم مجلس وقار وهيبة وسكون ورغبة يصغون
لحديثك واخبارك غير من يعبر لاسرارك يعلمون بما انطوت عليه نواحي حزامك وجميع اجنادك
فتتفاوض بما يصلح امور دولتك ويعود بالمنفعة عليك وعلى رعيتك ويكون جلوسك
معهم بقدر ما يقتضيه الحال ويحتمله المجلس من المقال ثم تدخل الى دارك لراحتك واستقرارك
وتتم في الخاصة اثر ذالك ويتصل الوزير قليلا هنالك لقضاء حوائج من لا يبلغ اليك
ولا يجد من سبيل ولا مسلك للوقوف بين يديك فاذا استوى منازل الناس على اختلاف
الانواع والاجناس رتب الحراس على ابواب القصر وقد استوفى ما قبله من الامر فاذا اذن
المؤذن للعصر خرجت الى الصلاة وترتب للجلوس في احسن الهيئات ثم تجلس بمجلسك المعتاد
وتاذن لوزيرك بالدخول دون الخاصة والقواد فتتفاوض فيما يختص بك وما زاد من مملكتك
مطلبك ثم تام بالدخول للخاصة بعد ذالك فتسلك معهم في التحدث احسن المسالك وتتا
خذ معهم فيما يتعلق بالاعراض ويطلع على حالتك الاولياء وكيف تتوصل اهل بلاد العدو
والمغانم والمساوي والمحاسن بوجوه المفاصل وليكن جلوسك ذالك متصلا بالعشاء الاخرة
تقطع ذالك في المفاوضة والمذاكرة ثم تدخل لدارك وقد تلت من الثلث معهم غاية

اختيارك فتخرج الخاصة الى ديارهم ويبقى الوزير قليلا بعد انتشارهم ترتب لك الحراس
للبيات وتغلق بعد ان تبيت على البيات وياخذ الحراس بالطواف على القصر من خارجه
وعلى هذا تكون عادتك في شانك دائما على الاستمرار
وتحض بالتحفظ على جميع مناهجه فيه تستعد للصلاة وتغتسل
والزوال وما عدا يوم الجمعة فانه يوم راحة وسعة فتتطيب وتتعطر وتتنظف وتخرج في احسن
الحلل لركوبك في احسن الهيئات فتطيب وتعطر واغنى من الحلل فتجلس بمجلسك للشكا
الى الكتب نوعا على ان ترتب المطلوب شيئا وبعد والانتفاع من الظلمة الغشمة
يات وتتاخر في قضاء الحاجات والفصل بين الخصماء وتحضر الفقهاء في مجلسك حين الفصل
فتنفع الظالم ونفعه وتحمي المظلوم وتنصره وهذا المجلس في هذا اليوم المذكور مخصوص
بين التناير ازالة ما يقع في الاحكام من النوائب الارامل وذوي الحاجات والمحتاجين وتنظر
بالرعية وبالجمهور تنفع الضعفاء والمساكين وتفرج من فرج همه وترد الى السجن
في اهل جنوناتك وفيما اخذ الماخوذ من عياتك فيستحق الهوان شانه فمن كان له حق
من يرد الشار برحمه ونواس ذوي الحاجات ومن يستحق العطف في الغضبة ومن كان في غنية
من العفو الشرعية ردت له امره الى قاضي البلد فصلته بما يقتضيه نظرك
ذلك من الاحكام التي لا يقضي فيها احد سوى الامام كما قال ابن حمدان الواقف على راس المامون وفي مجلسه
الشريف ورايت المصيب الاشير كما قال ابن حمدان الواقف على راس المامون وهو جالس
للمظالم وكان اخر من تقدم اليه امراة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فوقفت
بين يديه وقالت السلام عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته فنظر المامون الى
يحيى بن اكثم فقال يحيى وعليك السلام يا امة الله تكلمي حاجتك فانشدت

يا خير منتصف يهدى له الرشد ويا اماما به قد اشرق البلد
تشكو اليك عميد القوم ارملة عدي عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ظلما وفرق عني الاهل والولد

فاطرق المامون حينا ثم رفع راسه وقال

في دون ما قلت زال الصبر والجلد عني واقرح مني القلب والكبد
هذا اوان صلاة العصر فانصرفي واحضري الخصم في اليوم الذي اعد
والمجلس السبت ان يقضى الجلوس لنا ننصفك منه والا المجلس الاحد

فلما كان يوم الاحد جلس فكان اول من تقدم اليه تلك المراة فقالت السلام
عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته فقال لها وعليك السلام اين الخصم فقالت
الواقف على راسك واومت الى العباس بن المامون فقال المامون لاحمد بن خالد
خذ بيده واجلسه معها مجلس الخصم فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها احمد
ابن ابي خالد يا امة الله انك بين يدي امير المومنين انك تكلمين الامير فاخفضي من

صرتك فقال المامون دعها يا احمد فان الحق انطقها والباطل اخرسه ثم قضى لها برد
ضيعتها اليها وظلم العباس بظلمه وامر بالكتاب لها الى العامل ببلدها ان يرد مع الثقة
ضيعتها ويحسن معاونتها وامر لها بنفقة **فيا بني** وينبغي لك ان تتخذ ايام
الجمعة يوما تتخلى فيه عن الناس ولا تمضي فيه حكما تنفرد فيه بالنظر في مجالسك وامورك
وتتفقد احوالك وتنظر في اموالك وما لك من الحاجات في ديار الصناعات مثل النظر
في العدد والحربية التي تنظر بها الغزاة في الكلية وفيما يحفظك في نفسك ومالك واهلك
وما تحتاج اليه من كثرتك وقلتك **فيا بني** وينبغي لك ان تتخذ اياما في السنة وتلك
من السير الحسنة فتتفقد فيها احوال جيشك وقوادك واجنادك وعددك واعدادك
فتميزهم ليتبين لك منه احوالهم وتختبر قطائعهم واموالهم وتنضبط عددهم فتحسن لمن
يستحق الاحسان وتنتقم ممن يستحق الانتقام وعلى هذا يكون عملك في سائر اعوامك
يرجى لك سعد ايامك ودوام سلطانك ان شاء الله تعالى

القسم الثالث من قواعد السياسة

اعلم يا بني انه ينبغي لك ان تجري مع الناس على وجوه زمانهم واوقاتهم
واغراضهم وطبائعهم وطبقاتهم وان تساسن من كان معك الجهالة من الحراس وذا بقيد
مرابضة الجموح بالنجاة حتى تنتفع بخيره وتامن من شره فتستر جهده بلطف سياستك
وترده الى وقوع ضعفه وذلك من باسك حتى يصبح بعد جموحه طوعا قياد ذلك ولا
تتلفه بالعنف من اول وهلة فالخير كله في التاني والمهلة ولا خير في السرعة والعجلة
ولا تنفعه على نجاحه اذا كانت لك به حاجة وكن كالطبيب الماهر الذي يعالج الامراض
بعض الادوية على حسب الامراض وكذلك اذا كانت لك قبيلة وافرة وجموح منكا
ثرة واحوالها متشابهة فتجريا ولا على اغراضهم ولا تسوءك ما ترى من جموحهم واغرا
ضهم وعزهم بشيء تطلبهم ليميلوا اليك بقلوبهم فان رجع بعضهم الى غضبك وهواك
وبقي البعض تابعا لسواك فسلط من اطاعك منهم على من عصاك لتبلغ فيهم مرادك
وما اشتغل لبعضهم من بعض وادخل بينهم الشنآن والبغض وكذلك تفعل
بخدامك واجنادك وخواص بلادك ترتبهم ترتيبا حسنا وتوسعهم اكراما ومنا
فيكون الشرفاء عندك ارفع الناس في الرتب لانهم اشرفهم في الحسب واعلاهم في النسب
ثم الفقهاء لانهم مصابيح الدين وبهم اقتداء المسلمين فهم تعلم الشرائع وتنشر
الذرائع وتعتصم بهم من الاهوال والبدع ويقتدى بهم الامام ومن تبع لانهم ورثة
الانبياء وهم اعلام ذوي اقتداء ثم اشياخ البلد والامناء والوجوه والفضلاء والصا
لحين بمجموعهم الرابطين تابعهم لمتبوعهم مثل اهل التجارات واهل الحرف والصنا
عات فتنزل كل جماعة منزلتها وتنبهها في صنفها ولتكن عوائدك جارية بالفضل

ونباشر عودك الضرورة الى الانتفاع بهم في الشر آجلا
عليهم وايديك منبسطة اليهم ثم وذلك بحسن مرافعتك عنهم وتوقيرك
فيقفون معك الموقف المرضي في المصادر والموارد وحفظهم واحترامهم واما
بالاحسان منهم ولتكن معاملتك لهم بما يليق من اكرامهم
العامة والدهماء فتسلك بهم طريقة واحدة يقفون عند حدها ولا يتجاوزون حدها ونح بهم
على ما تعوده ذوو السير الحميدة والموالاة المجيدة ثم لا تترك لهم اغراضهم الفاسدة وعقولهم
التي هي عن الصواب شاردة فان العامة مجبولة على الفساد وعلى اتباع الاهواء وقلة
السداد لان العامة الغالب عليها الشر والهرج والاضطراب فان العامة اذا قدرت ان تقول
قدرت ان تصول وقال ارسطو لا تغتر بالعامة فانها ان قامت لم تزجر وان طلبت لم تحجر وامثل
الجري معهم على حسب اوقاتهم وازمانهم واحوالهم فان كان زمان رخاء وخير فتنفيسهم
جيد احسن شيء تعولي مغارمهم عند الغرامات وتوصي بالتحفظ عليهم الولاة ولا زيادة
ولا احطاط وان كان زمان فتنة ثائرة وفساد في البلاد ومشاجرة فتنشر على الرعية
جناح الاستطاعة وتحط عليهم فضلك فتنتفع بهم في الطاعة وترفع عنهم امثال
بوجوه السياسة وتدبير الخلافة والرياسة واما بواديك واجنادك بما تراه موفوقة والته
واستعدادك وان كان من قحط ومجاعة واقعة وازلف قوتهم في المخازن والمجابي
وتخص لضعفائهم المحاجير ونحو ذلك مما ادخرته لشدائدهم في زمن الرخاء
من فوائدهم فتعم اسواقهم بما اختزنته من الطعام مما يقوم به اود الناس في ذلك
العام فاذا كنت يا بني عاملا على هذا الاسلوب جبلت على محبتك كل القلوب
ودعت لك الرعية ببقاء الدولة والتعمير والنعم والتدبير وفي ذلك الصلاح
التام لدولتك والخير العام لرعيتك **واعلم** يا بني ان بالطعام قوام عالم
الانسان فلا تفرط في اختزانه في كل اوان والحجة في ذلك مثال نبي الله يوسف
الصديق على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام فانه اختزن الطعام في زمن
الرخاء وامر الناس بذلك فوجدوا ذلك في زمن الشدة والدواء وجعل الله
بسبب ذلك ملكه مصر فعاد ملكا بعد ما كان مملوكا

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما

القسم الرابع من قاعدة السياسات

اعلم يا بني انه ينبغي لك ان تكون يقظا فاما هو احازم داهية
دهقانا ضابطا لامورك عالما بصغير الامور وكبيرها في تدبيرك واما ذكي بالبغتة
لانها راس الحزم وعمدة العزم وفيها باب من الباب **واول اعلم يا بني**
ان من حزم الملك وسياسته ويقظته ورياسته ان يعتد لنفسه باربعة امور لا غنى عنها
لكل ملك مشهور الامام الاول العقل **العلم يا بني** انه ينبغي لك ان تتخذ لنفسك
معقلا يكون لك في المهمات موئلا تلجأ اليه عند الشدائد وتعتصم به من العدو والمعاند
وصفة المعقل ان يكون حصنا حصينا لا يرام وركنا منيعا لا يضام وذروة لا تنال
ومروة لا تفرع وعقيلة لا تنتزع وبكر لا تخطب وقلعة لا تطلب قد اشتمل على الماء والا
ختزان والعدد والامكان تجعل فيه ذخائرك واموالك واثاثك وامتعتك وانقالك
تسكن فيه اجواد اجنادك وحماتك وقوادك تشحنه بالرجال والرماة المرتجلة والحماة
من رجال المحصلة الذين لا يرون عمم الجماع ولا يخرجون سل الحسام ولا يبالون بما يرى ان عم
ولا بن تجوع واوعرو تسكن فيه اهل الصناعات وارباب التجارات والبضاعات حتى يحتاج
الحصن الى غيرهم على قلتهم او كثرتهم وليكن من ذلك الحصن ما يكون به الانتفاع
مثل التين والزيتون وما قارب هذا الانواع وان تاتي ان يكون ذلك الحصن على ساحل
البحر فنعم الحصن والثغر وان قدرت ان يكون مجراه تحت حكمك فهو احسن لنظمك
وليكن حصنك ذلك احسن من جميع الحصون واحصن وامنع منها وامكن كما يروى
عن حصن الارض **يروى** انه وصف لكسرى انوشروان ان ضامر التخوم الهند
يه يناخم ارض بابل فذكرت له بحسن المنظر وطيب الهوى وكثرة الاثار وكثرة
العمائر وحصانة المعاقل ووصف له اهل تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة الفهوم
وشجاعة القلوب وقوة الابدان والصبر على العمارة وملازمة الطاعة ولين المقادة
فتهققت نفس كسرى الى ملك تلك الارض والتحكم باهلها **وكان يقال**
الشر داع والخصال في اللوم والحرص ابو الذي يولده والبغي ابنه الذي يلده والطمع
شقيقه والذل رفيقه **وكان يقال** الشر بنتجه طبع وبهيجه طمع فلما
طمحت انوشروان الى تملك تلك الارض سال عن ملكها فاخبر انه عظيم من اركان
الهند وانه شاب منقاد لشهواته مقبل على لذاته ثم انه سالك صراط الحمق
العزل العجوز وماله منهلا من البذل الا فجور الى راحة بين عينيه فراشريت قلوبهم
وذه وصفت امالهم الى ما عنده فندب له كسرى رجلا من ثقات اصحابه فرافتبشر

وكان ذا دهاء وفكر وصرامة ومكر وجراءة
أدبا من آداب الملوك ونتفقه من سياستهم
بنا مثل مسالك تلك الأرض والبشام ثغورها ومعاقلها ونتطلب عورتها ونتعرف أخلاق
ملكها وأهلها ويتبعه بكتابنا الى ذلك الملك ندعوه الى الدخول في طاعته ويجزي
التعرض لصولته لمخالفته فانطلق ذلك الرسول حتى قدم على الملك فأكرم نزوله وبالغ
في بره وتكرمته وعمي عليه الأخبار وبالغ في بره وتكرمته وفي قبض الناس عن لقائه
فاحتجب عنه ولم يستدع الكتاب منه وندب الى اختباره ومعرفة ما فصل له رجلا من دهاة
أصحابه فأمره بالتجسس عن أنبائه والتلطف في مداخلته ومخالطته فانطلق ذلك
الجاسوس فاكترى حانوتا بإزاء دار الرسول وملأها فخارا وجلس فيه ليبيع ذلك الفخار
وكان للرسول غلام يتصرف في حوائجه ويتصرف في مآربه فجعل الجاسوس إذا رأى ذلك
الغلام هش إليه وأكرمه وسأله عما له من حاجة الى أن أنس الغلام به وكان يجلس إليه
ويستعين به على أمره فلبث بذلك مدة لا يسأله عن شيء من أمر سيده فلما تأكد
أنس الغلام به قال له يوما من تكون ومن لك في هذه الدار التي تدخلها فقال الغلام
صحبتني منذ كذا وكذا ولا تعرفني فقال الجاسوس وما علمي قال له أنا غلام رسول
كسرى وسيدي في هذه الدار فقال الجاسوس ومن كسرى ومن رسوله فقال الغلام
كسرى ملك بابل أرسل سيدي الى ملككم فقال الجاسوس فرغ فيا حبذا ذكرت لي بابل
لأني كنت في صباي أجير رجل من أهل بابل ثم أمسك عن الغلام أياما لا يسأله عن شيء
التنقيع تنقيع وقيل التنقيع برتبة الأدب وقيل من تنوع الى المشاركة في الاسم فلا
لوم على من اتهمه بالإذاعة وتنصح فإن يستنصح فلا لوم على من اتهمه بالخداع
ومن عني بكشف ما استتر عنه فلا لوم على من اتهمه تجنبت الطباع ثم إن الجاسوس قال
للغلام يوما إذا خرج مولاك أرني إياه فقال الغلام إن مولاي ليس يخرج فقال الجاسوس
أمريض هو قال الغلام لا ولكن ملككم حصر عليه الخروج وعلى الناس الدخول فبكى
الجاسوس فقال الغلام ما الذي أبكاك فقال له الجاسوس أبكتني الرحمة لمولاك فيما
هو فيه لأني ابتليت بمثله وذلك أني حبست مرة في دير كان علي ومنعنا أمر أنه الله
حول علي فلولا أن الله من علي برجل كان محبوسا معي فكان يسليني بحديثه وأنسه
لهلكت غما فهل تحدث مولاك وتسليه فقال الغلام إني لا أعرف هذا ولا أدري خبرا
أحدثه به فقال له الجاسوس إذا خرجت من عند مولاك فطف في المدينة وتأمل ما
تراه فيها وإذا رجعت رأيت جماعة يتحدثون فاجلس إليهم واستمع ما يخوضون فيه
فإذا رجعت الى سيدك وخلوت به فقل رأيت اليوم كذا وكذا وسمعتهم يقولون كيت
وكيت فإن هذا تسلية له وإيناس لوحشته ويوشك إذا بلغت ذلك أن تحظى به عنده
ففعل الغلام ما أمره به الجاسوس فقال له سيده من دلك على فعل هذا فقال الغلام

انا

إنا فطنت له ففعلته فقال له سيده كلا إن هذا أمر فوق عقلك فأخبرني من دلك عليه
فقال الغلام دلني عليه جار لنا يبيع الفخار ما رأيت أجهل ولا أبله منه فقال له سيده
ما الذي دلك على جهله وبلهه بل وعقله فقال له الغلام إنه صحبني أكثر من شهر وهو لا يعرف
من أنا ولا من سيدي وذكرت له الملك كسرى فإذا هو لا يعرفه فلما سمع الرسول ذلك استراب
منه وأحس أنه متجسس عليه لما رأى أنه أفرط في تجاهله عليه وكان يقال من أفرط فهو كمن
فرط ومن احتفل في علوه استفل عن علوه وكان يقال ما دل على الأحوال ولا أهتك لقناع
العقول كسماع المعقول وكان يقال من لم تعرفك غائبا أذناه لم تعرفك حاضرا عيناه قيل فلما
سمع الرسول مقالة الغلام أمره أن يأتيه به ففعل وأشار الرسول فعفا عما كان ظنه به من
كونه جاسوسا عليه فأكرمه وقربه وتظاهر له بغباوة وجهل الأمر بن عليها وسأله أن
يواصل زيارته فلبث الجاسوس يتعرف أحوال الرسول في ليله ونهاره مدة من أحيانه ولما تحقق
ذلك الجاسوس أنه قد حصل على ما أراد علمه من أمر رسول كسرى ذهب الى الملك فأخبره
أن ذلك الرسول غر غبي لا ذكاء له ولا غناء عنده وأكثر من ذلك وتحقق وفراسة فوثق
الملك بقوله وتخيل الرسول بالصورة التي مثلها به الجاسوس عنده وكان يقال لا يكن سمعك
لأول مخبر ولا نفسك لأول مجلس وكان يقال إذا كان الخبر يدخله الصدق والكذب فالقطع
بأمرهما قبل الامتحان جور وكان يقال إنما يغض بصرف الخبر عصمة المخبر لا صرفه وشرح هذا أن
المخبر الصادق إذا لم يكن معصوما فهو عرضة للتلبيس وعرضة للتدليس وكون المخبر ثقة
صدوقا إنما يفيد سلامته من التمويه فيما نقله ولا يفيد عصمة إدراكه فيما أدركه فقد
ينظر الصادق الغافل الى الشمس فيخبر بأنه أدرك [illegible] ويبطئ في سفينة جارية الى
البر فيزعم أنه يجري وينظر الى أخبار الشعوذة فيخبر عن الأشياء بخلاف ما هي عليه ويسمع كلام
البغاء المحجوبة عن بصره فيخبر عن إنسان فلم يدخل الخداع فيما تخريبه إلا من جهة
إدراكه قيل فلما وثق الملك بمقالة جاسوسه أحضر رسول كسرى فأكرمه وخاطبه
بجميل قول حضر وأخذ منه الكتاب وخلع عليه وأجزل صلته ورده الى منزله مكرما مبرورا
وأباح له التصرف وأذن له إن أراد قصره في زيارته وتابع إتحافه وتمكن منه ولبث بذلك
عاما ثم استحضره وسلم إليه جواب كتابه وأعطاه هدية الى كسرى يقال إن منها
سيف طوله خمسة أشبار ولونه كلون النحاس الأحمر يقطع الحديد كما يقطع غيره من السيوف
في اللحم وقصعة من الياقوت الأزرق تسع من أمن الطعام وكأس من الزمرد الأخضر يسع
رطلا من الشراب والعدة من بز وفتق حامل المفاتيح وياقوتة حمراء كبيضة الحمام إذا علق
في بيت فيه مصباح ليلا ألقى شعاع الياقوتة على الأنوار القابلة للحمرة فلا يوشك في
حمرتها وصحائف أو درعا أو درقا وغير ذلك وخص الرسول بعطاء جزيل وغير ذلك بقبضه
وصرفه الى من أرسله عما ندبه فأخبره بطيب تلك الأرض وفضل خصب بطون ومزاياها

وحصنة ثغورها وانه لم يجد عورة تؤتى منه الا عورة تمكنها بان قلوبهم متهيئة لقبول
الخدع مجبولة عن النظر في العواقب وان هذا هو موجب حسن طاعتهم له فلو قرب
اليهم رجال يحسنون نصب الدعوات الى الدول لاستمالوهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم فاذا
انصرفت طاعتهم لم يبق لملكهم بعد ذلك قائمة لانهم اعضاؤه الذين يبطش بهم فيهم
في الخاتمة محتاجة وفي البلاد شيوخ منتضاة فنظر كسرى فيما كتب اليه به الازكس
فوجده قد خاطبه بالملاطفة واعتذر في بعضه وتلطف ورغب اليه في الموادة والمواخاة فلما
استشار انوشروان وزراءه في امره واعلمهم ان نفسه لا تطيب بمسالمته فاختلفوا عليه فاجمع
على ان يرد هديته اليه وبعث ثم انه ندب لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات
وقلب الدول وامرهم بالاموال وازاح عنهم وبين لهم مثالا يجرون عليه فنفذوا لما امرهم به
حتى انتهوا الى مملكة ذلك الازكس ففرقوا في نواحيها واعمل كل واحد منهم قوته فيما انتدب
اليه فلما اتى عليهم عام واحكموا ما ارادوا وامر ذلك في دار مملكة الازكس وفي غيرها من
مدنه وحصونه ورساتيقه وكتبوا الى كسرى بذلك يجري عليهم المرزبان المتولي ربع
المملكة المقابل لتلك الجهة الهندية وذلك ان اقليم بابل كان مقسوما الى اربعة
مرازبة لكل مرزبان منهم ربع منه ومع كل مرزبان منهم خمسون الف مقاتل فلما انتهى ذلك
المرزبان في الحشد والاعداد كتب عيون الازكس بتلك الجهة اليه يخبرونه بان المرزبان المجاور
لجهة بلاده قد اخذ في حشد الاجناد وتاهب للاستعداد فعلم الازكس انه قاصده وعزم النفاق
بلده وتحرك الناس بقصد المرزبان اليه واتهم الازكس امره فافتنه الازكس من غفلته وبحث
على الامر موقف على حقيقته وكان امر مملكته يدور على خمسة رجال اربعة منهم وزراء والخا
مس هو صاحب بيوت النار وبيده الزمازمة والذي ياخذون عنهم دينهم فجمعهم الازكس
وعرفهم ما بلغه من فساد قلوب رعيته وحشد المرزبان لقصد بلده واظهر لهم الحاجة الى
كفاياتهم فجلسوا يتناظرون في ابتغاء صواب الراي فقال احد الوزراء الاربعة الراي عندي
ان يصلح الملك رعيته فيما لا يريد بها رغبات وقلوبها املا حتى يستقيم معوجها وينا
نافرها فان عدونا اذا علم ذلك جبن على الاقدام علينا وان قدم لقينا بكلمة مجتمعة واين
متنام فقال رئيس الزمازمة انما يصلح هذا امر الرعية لو كان فسادها انما اوجبه هضم
جور وفساد سيرة فزال عنهم سبب فسادها فتصلح وليست رعية الملك بهذه الصفة
وانما اورد عليها الفساد لجهلها بمواقع الصواب وبطرها النزاد في النعم ومن قيل اربعة اذا
فسدوا بالبطر لم تردعهم المكرمة الا فساد الولد والزوجة والخادم والرعية وضد ذلك
مثالا القوى الاربعة المدولة اذا هاجت لتعدي حدود المحكمة وهي الغضب اذا تعدى
حد الشجاعة وحد الانفة من الذل والشهوة اذا تعدت حد راحة العقل من حد اكتساب
الفضائل والحرص اذا تعدى حد الكفاية والكسل اذا تعدى حد راحة الجسم من حد اكتساب

المصالح

المصالح فان هذه القوى الاربعة اذا تعدت هذه الحدود لم تردها المرارات والزجر الا هيجانا
وطغيانا وانما تعالج بحسم موادها فقال الملك صدق الحكيم ثم قال وزير اخر من الوزراء الاربعة
الراي عندي ان نصرف بما صلح من الرعية من فسد منها حتى تستقيم ونستوثق لنا ثم نلقى عدونا لمن
امكن بالا دغل ولا غش لانا مضطرون الى الحرب لكون عدونا لا يرضيه الا اخذ ما بايدينا جملة
فقال رئيس الزمازمة هذا انفع لعدونا من جيشه وادعى الى طاعته من دعاته مع انه اذا علم
بنا فيما بيننا وتناصفنا ذهبت هيبتنا من نفسه وبلغ فينا امله وقالت الحكماء اربعة
من استقبلهن بالعنف والردع في اربعة احوال هلك بها الملك في حال غضبه والسيل في حال مد منه
والفيل في غلمته والعامة في حال هيجانها ومرجها وقالوا ان اشبه شيء بردع العامة عند
ثورتها وهيجانها مغاناة المجروح في حال انبعاثه الى سطح الجسد بالاطلية الرادعة فقال
الملك صدق الحكيم فقال وزير اخر الثالث الراي عندي ان نطلب او لا نغير من فسدت طاعته من
الرعية فيهم من يسوسهم ثم نزال ابناءهم بما يقتضيه حالهم من قلة او كثرة او انبال وضعف او قوة
ونقابله بما يوجب حاله من التدبير فقال رئيس الزمازمة البحث على هذا خطر عظيم لا نامن معه
الريب فيهم ان علم الحال بعدونا فاتلى معه على بصيرة ليستنا لعدونا ومن جهة في العود الى وطنه
واهله وماله وعدونا لا يغفل نيلنا على مثل ذلك وربما لم ينفصل عنا المريب بل يغلو ومنا بموضع
ويكاشفنا ويتكاثر علينا بشكله من الرعية فنتنقص وان لم يجر على مثل رايه بقلة مشاكله
كما ان الكلبين لا يبغضهما تعاديهما وتهارشهما من التعاون على الذئب اذا ابصراه ولا
يلتفتان الى فعل الذئب في الخلو الكلبين ولكنهما يتناجزان ويصطلحان في التعاون عليه
نظرا الى خصيص نوعهما وانفته وجرانه وكذلك العامي لا ينظر الى الملك من حيث تحققه
في الخلو الانساني بل ينظر الى الملك من حيث خصيص نوعه وانفته وعلو همته فيناجره
لذلك ويبالغ العامي الذي شاكله في الاخلاق ويعلة المشاكلة وقد قالت الحكماء
ثلاثة ان لا تشعبتم بالامتحان في ثلاثة احوال خسرتم امراتك في حال استغلالك وصديقك
في حال اختلالك وامراءك في حال اكتهالك والرعية كالزوجة وادبار الملك كالاكتهال وقد
قالوا مثل ذلك امتحان قوي معدانا فهبر من الامراض بالاطعمة الغليظة فقال الملك
صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان اوسعهم علما وافضلهم رايا اما انا فاحدث الملك
حديثا اخبرني به من ابيه وكان من اخر ما افاد في به وقال لي احرز هذا الحديث في جنة
قلبك ولا تنسه ان تعيش الى اليوم الذي تحتاج فيه اليه فيه واني لاحسبه هذا اليوم فقال
الملك قل نسمع حديثك فقال رئيس ما ولا بالاصابة فقال الوزراء الثلاثة امضه
لكذلك فقال الوزير الرابع انما الزمازمة كالطبائع الزاحمة في افتقار بعضها الى بعض
وقوة بعضها ببعض وانما نستمد الدراري من نور الشمس وكلنا الى الملك محتاج وجه
نظر فقال الملك قل يا ايها الوزير الصالح ما القبول والكرامة لك ولن نتنبه عنه فانتم

في مناصحتنا والغنا عنا والادا الينا كالمواس الحمس للغلب فيحمو والده اجمعون ثم قال ذلك
الوزير الرابع زعم مؤذبه ان رجلا موسرا من التجار كان ماويه من داره الى بيت مسطح السقف
وفيما بين السقف وبطانته فيران كثيرة فكن فيما اشروا دعين من الامنة وتنيلهم الطعمة بحرجس
النهار كله على حال طمانينة فاذا جاء الليل نزلن من السقف فتتبعن من مخازن التاجر ومساكن
عياله ما اكلن واحتملن وكثر اذاهن على التاجر وانه دخل يوما متشكيا ذلك فاستلقى
فيه معتكرا في بعض اموره وجعلت الفيران تموج على بطانة السقف والتراب يتساقط من
خلل الالواح فضجر التاجر ونهض مبادرا فقام بتحويل ما في البيت من الاثاث ثم امر عبيده فنقـ
ضوا بطانة السقف وانتشر الفيران في الدار فقتلن شر قتلة ولم ينج منهن الا جرذ وفارة
كانا يختبيان في السقف فلما رجعا وابصرا فساد وطنهما ومصارع الفيران اجمع جميع السرار
اغتما لذلك فاقبل الجرذ على الفارة فقال لها صرف الغافل من حب الدنيا واشتغالها كان
كالغافل في الظل الذي يكون فيه قبل طلوع الشمس الى نصف دارة فلكها دارا على مليفعه
الظل بتصويب الشمس فيوطه حرها ولا يجد للظل عينا ولا اثرا فقالت الفارة صرفت
فماذا ترى فقال الجرذ اري ان نسكن بموضع ينال منه هو المنال وامن الانس جهل جارهم
شرهم وحيلهم اقوى من قوة غيرهم من العالم فقالت الفارة وانا معك فانطلقا حتى اتيا
ارضا في اجراد ذات احلاف من الوحش تكتنف واديا معشبا فيه غدر وماء ذات ضفادع
وسلاحف فاعجبهما وسارا في الوادي يلتمسان موضعا يجتنبان فيه حجرا واستصعبا الربوة
عالية في وسط ذلك الوادي قد انجاب عنها سيل الماء فيه يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل تلك
الربوة وراياه في اعلاها يربوعا قد علت سنه على باب حجر له وحيا بهما واجاد ثم وسالهما
عن امرهما فاخبراه الى ان ذكرا انهما قد اوطنا حجرا في اصل تلك الربوة فقال لهما اليربوع لولا
ان نتهم كنتما ايد عوالى النهمة لنصحت لكما فقال له ما احوجنا الى نصحك فقال ان الاربعة
لا يقدم عليها حتى يسال عنها الخبير بها السوق لا تقدم حتى تسال عليها النافر والكاسد
فيها والمراة لا تقدم على خطبتها حتى تسال عن منصبها وخلقها والطريق لا تسلكها
حتى تسال عن امنها وخوفها والبلدة لا تستوطنها حتى تسال عن مرافقها وسيرة سلطانها
واخلاق اهلها وقوة من يجير اهلها ويعاديه وكان يقال انظر الى المنتجع فان اتاك
بما يقربك منك ولا يبعدك فاعلم انه شر وان اتاك بما يبعدك فاعلم انه طامع وان اتاك
بما يبعدك ولا يقربك فاصغ اليه وعول عليه وكان يقال اذا لم تعرف ناصحك كان ناصحك
كمن يريد تقويم كل عود فنصب معوجا قبل ان يقوم العود في منصبه وكان يقال اشر
ما في علم الاخلاق التعاطي لان التعاطي يريد المتخلق به شرا ويعرضه في مواسم الجري وصار
كالضعيف يتعاطى القوة وكالجاهل يتعاطى العلم وكالفقير يتعاطى الغنا وكان يقال
اذا احتجت الى المشاورة في امر فشاور اولي الحنكة والتجربة من طبقتك فيخرجك عن حد

ماذا

لكونه خارجا عن عالم خصايصك واعلما انه جمعتنا واياكما مناسبة مناعية وهي جعل الحجارة
زائلة في علمها ان يسع منكما فانشغلا عن حجركما فانه يسير الحجر ومن شر اوطار وانا ابن حجرة هذه
الارض وقد قيل قتل الرضا ابرها فيحولا عن ذلك الحجر واطلبا سواه فخرجا من عند اليربوع بعد
ان ودعاه وينسبانه الى الهم والخوف ورجعا الى حجرهما فلبثا مدة طويلة وولدا
فيه اولادا ثم ان الجرذ خرج يوما من الايام فاوغل في تلك الارض لبعض شانه ثم عاد فاصل الى الربوة
بعد ان السيل قد جرى في تلك الوادي ببطن منحصم العشب ادى وطنه واهلك انثيه وولده
ووجدها بما اعرض لطمتها فجرى الى اليربوع فاعتلى الربوة استغاث الى اليربوع ايها الجرذ كيف وجدت ثمرة
اضاعة الحزم ومعصية الخبير الناصح فقال الجرذ وجدتها مرة فقال اليربوع للجرذ هون عليك
واخفض من جأشك تك ان النعمة في بقاء نفسك ثم بين على المعصية باهلك وولدك فانس النعمة
بالشكر تالفك فتتمتع بها وانه كان يقال الظهير الشكر لثلاثة للصديق والغريم والنعمة وكان
يقال اذا احسن اليك محسن ثم بينه لك واصابك ببناء فلا تنقص عنده وذو على شكره له
ويرى به فان ذلك اوجب لشفيع لك عنده وكان يقال الجهالة تزهد اسباب من كان احسن اليه
على احسانه الشاكر عنده قال اليربوع ما كان اشغلك ايها الحكيم بمعصيتك والبر
عنك ومن قيل ينبغي للعاقل ان يصحب العلماء المهذبين بالحكمة والادب ولو كنت ذا بصيرة
لعلمت انك ايها الحكيم لم تكلف نفسك صعود هذه الربوة الكيد وهبوطها على ضعف بدنك
وكبر سنك الا لامر اقتضته الحكمة واوجبه الرأي المصيب ثم ان الجرذ امهل حتى ذهب السيل
بصعد الربوة وانعزم الى جانب اليربوع فاوطنه امنا فرب الغير فهذا ما اجبني به مؤدبي
فقال الملك صدقت ايها الوزير الناصح فابلا وسردت ناصحا واصبت مشيرا وبلغت
مبلغا ودعوت سبيعا فالتمس لنا نور الرضا لاستقرار نال نعسبنا الصبر على صعودها
وتغص على تابعها على مالوف ملادها وانبساطها هذه العلو تحييث اليها فلعلنا ان نخشع
السلامة التي اجتنابها اليربوع من سهل هذه العقبة فقال اليربوع بل الوزير ايها الشعير
المعزى بالنعويد الزكية عشت ما ابرك ان تعيش ونلت ملا املت لما اعجب قبول ما انتهى
اليك من نصحي وتحكمه عليك من حلمك واني لا اعرف في ناحية من الارض معقلا تنظل فيه على
اهل الارض اظلال زحل على الكواكب يعال دونه الابصار الطامحة والافكار الطامحة وهو
مع ذلك ذو هواء وماء وتسلسيل وحرايد وانيقات ومرامي متناسبة كان
بعض ملوك الملك السعير عنا به بعض العناية فقطع عليه امله الدثور المحتم القاطع
عقود الحياة قال فلما سمع الملك ما دله عليه وزيره مليه سرورا وركب من فوره في خاصته
وثقاته حتى انتهى الى ذلك المعقل الذي دله عليه وزيره فوجده في راي العين افضل مما
صوره الوزير في نفسه ووجد رسومه وانقه واثارا اثرها بعض من تقدم من اباه فحشد
اليه المهندسين والبنائين والعمال وامرهم بالجد في اكماله وبادر من فوره فنقل اليه خواص

بيوت أموالهم وخزائن سلاحهم ونفائس ذخائرهم وحشر رعيته يجلبون الأرز إليه فجاوز عدد
من الأرز المعشور وغير المعشور ما لم يرد فيه كعابير وذلك أن الأرز الذي لم يعشر طرف
البقاء وأعرض الترك ولم يعز ومع ذلك يسير الثغور ويجند الأجناد ويشيد الحصون فلما مضت
له ثلاثة أشهر بيوم كتب له جواسيسه بحركة المرزبان عليه عملا إلا من ثقات أصحابه ورتب
فيها حاميات من جنوده ومن أهله ثم دنا يطوي الأرض فوافقه جيوش الأركن فواقعه
جيوش الأركن فواقعه بعد الوداع ثم انهزم من كان في تعبيته دخل فانهزم المناصبون بانهزا
مهم استولى المرزبان على عسكرهم واستعبد النفوس وأخذ الأموال ثم تجاوزهم يطوي
المملكة طيا وكان الأركن عندما افتتح المرزبان ثغوره قد بعث بأهله وحشمه إلى ذلك
المعقل وجمع وجوه قادته حضرته فوعظهم وذكرهم ما سلف من إحسانه إليهم وذكر
ما بلغه عنهم من فساد الطاعة وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيء منهم فتنصلوا
مما قرفوا به عنده وحلفوا على استقامة طاعتهم وصدق مناصحتهم فقال لهم الملك إنكم أجمع
لهذا ونسبت بيننا كل عروة ولا يستعمل للأخذ به والتمسك عليه ولا يعتبر قطعة أحد منكم
عني إنه أخبرني بعض وزرائه عن ملك من سلف أنه شرع في بناء معقل وعنايته بعض العناية
فحال بينه وبين إتمام ما أراد من ذلك أن أغلال المحتوم هي على أمر التي كيف فحملني على تكامله
ما شرع فيه حيث قول الحكيم إن ابن الملوك من تم به سعي سلفه وأعقبه من انقطع سعيه عنه
ثم إني أحببت أن أجعل ذلك الحصن عدة وذخائر لقول الحكماء إن أحزم الدعاة من
أراد تجميع قضايا العقل أحكاما وقوم يجب على الملك أن لا يخلو من خمسة معاقل يتحصن
بها أحدها من شاور يتحصن برأيهم والثاني سيف قاطع يتحصن به إذا غشي
والثالث وزير صالح يتحصن برأيه والرابع امرأة حسناء يتحصن بها وجه والخامس
قلعة منيعة يتحصن بها إذا احتيط به وقد اتخذت هذا المعقل لا أمل به حصونيا
ونقلت إليه ذخائري وما يكره على مرء منكم أن يتقرب إلي في فعلي أخذ بالحزم وليفعل
وليما وقع من مخالفتهم إذن لهم في جوار عنده واقترابه منه من كان ذا عقل
وحشم تحولوا إلى ذلك المعقل بأهليهم وأموالهم وأقاربهم **وأما** المرزبان فإنه سار في
تلك المملكة يطويها طي السجل لا يقاومه جيش إلا هزمه حتى أشرف على حصن الأركن
فنزل عليه ومنع منه وتهيب الإقدام عليه وقد كان الأركن أمر الناس بالخروج إليه
فخرجت أمة عظيمة وخرج الأركن بعدة آلاف مقاتل من عبيده وخاصته وقلعت
أصحابه فقاتلوهم في معترك جيوشه ورعيته بظاهر المدينة زحفا فبوله ورتب صفوفه
وكان في دعيان من دهاة كسرى فاغتنما الفرصة واهتبلاها عند خروج الملك عن
المدينة فظهرا وأتبعهما من كان أطاعهما فوثبوا بخليفة الملك على المدينة فقتلوه واستو
لوا على المدينة وضبطوها وبينما الملك قائم بجنوده في ظاهر المدينة إذ نادى بحضرته الإمارة

حاميا

حاميا فاستخلص وجهه وتتبع شعثه فأمر الملك بحمله معه على فيل واستخبره فأخبره
بذهاب دار ملكه وخيانة رعيته فأغار الملك بجماعة من كان على بصيرة في طاعته
وتوجهوا حامية نحو الحصن وانتهى خبره إلى المرزبان فحمي دخيلا لا اتباعه فبادر كونه فوقف
بأن أبهم من كفى أمرهم وسار حتى دخل حصنه **وأما** المرزبان فقصد المدينة ودخلها
وضبطها وأحكم أمرها ثم سار في جيوشه إلى ذلك الحصن فرآه منظرا عظيما ومعقلا منيعا
ما تعاطوه يمكنه النزول بالقرب منه فنكص إلى حيث أمره ونزل في جيوشه متمعطا وكتب
إلى الملك الهنيم كتابا فخاطبه فيه بالتعظيم والإجلال وعرض عليه خطة الأمنها أن يرد
إلى مملكته مكرما موفورا على أن يربط طاعة كسرى ويدخل في دينه فلما انتهى رسول
المرزبان إلى الملك الهنيم مجيبه ولم يأخذ كتابه وأمره بالعود إلى مرسله فيئس المرزبان
منه **وكان** يقال صرف البصر إلى عدوك إضاعة وإصغاؤك السمع إلى حديثه طاعة **وكان**
يقال إذا أمكنت عدوك من أذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهد سجنه **وكان**
يقال عيب لمن يصغي إلى عدوه سمعا وهو لا يرجو عنده نفعا **وكان** يقال إذا عجزت عن
التحصن من كلام عدوك فأنت عن التحصن من كيده أعجز ثم المرزبان عاد إلى المدينة وكتب
إلى كسرى بالفتح وبما تهيأ له وعليه من الأمور فكتب إليه كسرى يأمره أن يقيم بتلك
البلاد في المملكة ويترك التعرض لذلك الأركن في حصنه لأن يسر الله منه مسدادا وأن يركي
العيون عليه ويقيم المسالح في جهات حصنه ففعل المرزبان ما أمره به كسرى ولبث بذلك
مدة وجعل أعداء الفرس يعيثون في تلك المملكة ويعاملون أهلها بالغضاضة والقسوة
لأن طبع أهل الهند على ضد ما جرت شيمة في النفوس ودخلت أهل تلك المملكة الغيرة
لما رأوا أن خراج أرضهم يحمل إلى غيرها وينفق في غير أهلها ومنعوا فضل ما كانوا فيه وشغفة
ما صاروا إليه فبسطوا ألسنتهم وخاف المرزبان أن يردعهم شر القول فيستوحشوا منه
ويكف عنهم فكان ذلك داعية إلى زيادتهم في بسط الألسنة وكان يقال إن الرعية
تبع الألسنة فإذا قدرت إلى أن تقول قدرت على أن تصول **وكان** يقال نزد تكنيف
الضغائن مدعاة إلى الكبائر فأول نشوز المرأة كلمة سوء سمحت بها وأول حرن الدابة جمزة
سوء عن فعلها فلم تنهها الأركن فإنه لما استقر في حصنه شاور وزراءه فأشاروا
بالصبر وكف الأذى وبسط العدل والإحسان وتأميل السبيل وإجارة المستجير وتأليف
المتوحش والأخذ بالفضل والعفو فاتخذ هو الخلال شعارا حتى ازداد ت
بمعنه حسنا والقلوب إليه ميلا والألسنة له شكرا واتفق أن عاملا للمرزبان على ثغر
من تلك الثغور أساء السيرة فقام إليه رجل كان أفضل أهل عمله فوعظه ونصحه فكره
العامل ذلك وكتب إلى المرزبان يزعم أن رجلا من أهل عمله يعارض أمره ويؤلب العامة
عليه **فكتب** إليه المرزبان أن احمل إليه مقيدا فأخذ العامل الرجل فقيده

ذلك الثغر وقتالهم فقتلوا اولائك
وبعث به الى المرزبان مع رجال متبعهم اخران من قبل ان بما فعل اولائك الامراء وانه عجز
الموكلين بذلك الرجل والطلعة فاتى الرجل الى العامل فاخبره وكان ذلك الرجل ذا منزلة عند اهل بلده فوضعوا
عن دفعهم وقام به العامل فضربت عنقه وانطوى اليهم من كان على مثل رايهم
بالعامل فقتلوه وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا ثغرهم فاجابوهم الى مثل ما صنعوا وطردوا عمالهم
ومن كان في غير حصن وكاتبوا من يليهم من تلك المملكة في اقرب مدة ولما انتهى ذلك
فانتقضت الطاعة لكسرى في مواضع كثيرة من تلك المملكة وبشر بذلك وكتب الى كسرى يعلمه
الى المرزبان جمع جنوده وضبط حصنه على حال دعة ووثوق وتوجه مع ملكهم الى حصنه فرموا
وكان اهل حصنه عند ما خرج عنهم وبعد الهزيمة فلما راى ما هو فيه المرزبان من الدعة والتوقي و
مكانه خليقة وكان مرضيا عندهم دخل عليه على المرزبان فقال له اني اريد ان اسالك
فصل من حاجبه بالمحنة والعقوبة فقال له المرزبان قل فقال له بلغني ان ثمة الوصية ازدشير بابك
عن امر صنفت علمه عندك فقال له المرزبان ... يدرس المعصية وانه قال في وصية
ملك بابل انه قال اذا خرج الرعية بعنف السياسة الى ما لا يدرس المعصية التي تعلم عليه تلك
بلغ لم نغلب على ملك وغضبه ربه ان يحيط تلك الصورة والنشبطة التي تقع عليه تلك

وقيل لي ان هذه الوصية كانت
المملكة وانه استخرج من بيت مثل ما صارت اليه
مكتوبة في مجلسه بازدشير بموضع غضابه فعلم المرزبان ما اراد لا انه احب الوقوف على
اهم ما عنده فقال له الوزير الامام على ما بلغك ايها الشيخ فقال رويبذ الزمازمة ان كان الامام
على ما بلغني فهما الكلم تستعمل الحكمة التي علمه وعنعت في سياستك والرعية عنفا اخرجها
ولعلها ان يخرجها ولم تخرج هذه المملكة من يديك بمثل ما صارت اليه فلما سمع المرزبان
مقالته رويبذ الزمازمة انتهره ونهره وكان شيخا ضعيف البدن كبير السن فسقط الى الارض
مغشيا عليه وحمل الى منزله فمات بعد ايام فحطت المصيبة بموته وشاعت المقالة وتشيعت
الانعم من الشقاق ولما كانت منقبضة عنه ومتشاذرة في الرعية فبثوا بالشام فاستعظم
المرزبان وجوه من يحضر من وعظهم وحذرهم بطش كسرى ورغبهم في العافية فارضوا
بالمنتقم وتسللوا عليه وغلط امر ذلك الى المنتقضة وشغل عنهم المرزبان بتحصين
الجيشة فبعثوا رسلا الى اذركر الذي كان ملكهم يسلونه الصفح عنهم وان يبعث اليهم
رجلا يخبرونه فاعطاهم امانا عاملا واستعمل عليهم عاملا فالعوا اليه الغاية وانه
واستبصر وابعث عنه ونصبوا في الحرب عنوا ضعف المرزبان الى ان بعث الى جيشه فبعث وحادوا
منهم غير مغلوبين ولم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه محضر دار الملك واستعمل عليها
من ظن انه يضبطها وخرج منها متوجها الى عدوه فلما قطع المدينة وثب اهلها
باصحابه فاستوعبوهم قتلا ونشر بروا حزوا امر بيتهم وبلغ ذلك المرزبان فانتهز
لوجهه خارجا من تلك المملكة حتى قدم على كسرى طريدا مغلولا وعاد الاركرالى دار مملكته

يجري

يجري على سنن العراق ولا اخذ بالحزم وقمع شهواته ولا استعمل الحكمة التي افادته التجارب
اياها فاغتر يا بني بمثل هذا المغتر حصنا فنزل به امنية وامنا كما قال الرازي حير اوي
الى حصنه وركن اليه ...

الثاني الجواد اعلم يا بني انه ينبغي لك ان تختار جوادا من
خيار الخيل وعتاقها وكرامها وسابقها كامل الخلقة معتدل الحركة والمشية لا يكل
من السير ولا يعجز من الجري كالطير اذا غار واذا سار لا يعارض في التسيار واذا جرى لا يسبق
واذا طلب لحق يسبق من السهم وانزع من الوهم تعده للمهمات وتدخره للعظائم والملمات

الثالث اعلم يا بني انه ينبغي لك الادخار وذخيرة من الذخائر تعدها لعوض
المنافع والمثالي مما على ثمنها وخف حملها كاليواقيت والجواهر الثمينة العظيمة التي لها
نفاسة وخطر وقيمة لانه ربما اعتراك وقصدتها اعداؤك وتعينها لاجل ذلك ويصلح لها
اذ ذاك فان امسك الذخائر عونة على النوائب والضرائر

الرابع يا بني انه ينبغي
لك ان تتخذ وزيرا عالما وصعبا محنكا على ما قد رتبه تجري في الشدة انيسا في الوحدة بعضد
في ظلمات المهالك ويسلك بك اخشن المسالك لانه قد رتم بالاستعمار وجرب الامور بالاختبار
وعرف مخادع الطرق ونواحيها وتشارع افاقها وانت غير عارف بالطرق وتشعبها ومخادعها
ومنيانها فلهذا يجب لك اتخاذ الوزير الصالح المشير الناصح

الباب الثاني
اعلم يا بني ان العدو بالنسبة الى الملك على ثلاثة اقسام عدو اقوى منك وعدو
اضعف منك وعدو متساو لك **القسم الاول** ان يكون العدو اقوى منك **اعلم**
يا بني انه اذا كان عدوك اقوى منك فيجب عليك ان تدفعه بانواع المحاولات و
تستميل قلبه بالمراسلات وتسايسه برايك وما لك وتصانعه في جميع احوالك ولا يجب
عليك ان تدافعه بنفسك لانه لا يبقى من هالك الامر كنفسك فمن رايك الذي ينزع به عدوك
ويرجع به سهوك وان تكون لك جواسيس في بلاد العدو ويرمقون افعاله على البعد والدنو
ويعبون لاحظ اعماله وظاهر احواله لا يفارقونه ليلا ولا نهارا يسالون عن احوال
العدو سرا وجهرا فكلما رابك من هذا العدو خبر اعلموك به كلما جاءت الجواسيس بما
خبر وما اكنه في بلاده من انذار فبادر في مواجهة دفعه اما بحيلتك او ببطانتك
وذلك بقدر حزمك وخبرك وسياستك وكيدك وذلك بان تكتب كتابا الى عدوك
ووزرائه وخاصته واهل رايه تعدهم باحضار الاموال والزيادات الكثيرة من الافضال
وتعاملهم بالتعطف والسياسة والتلطف حتى تخدعهم بمالك وتستميل قلوبهم بنوالك
فان ضمنت معاملتك باعطاء الاموال ونلت بغيتك في كل الاحوال سكنت عدوك من علوه
وعطفته من سموه واذا لم تقدر على دفع عدوك بما ذكرناه ولا قدرت على خاصته من يقبل ما تورده
بل يرده ويأباه فتحيل بوجوه الحيل لتنال من عدوك غاية الامل وتاخذ بضروب من الحيل
دعات لا بالاعطاء ولا بالمصانعات وفي حيلة انفع من قبيله ومنها ان تزور كتابا تعرضها

اجوبة وتنزه فضائل خاريف معجبة ونبرع في ترديدها وتحسن في تصورها كلها وردنا فتزوا على خاصتك الاذنين وتعلم اني
عليك من خاصة عدوك تظهر بها غاية سلوى وقد كتبوا اليك بما يعود بالمنفعة عليك
خاصة عدوك في جانبك فيبين واحوال العدو وقد كتبوا اليك الخطار وفي هذا مكيدة عجيبة
فيشيع ذلك بين خواصك الاختيار ويتناولها اهل الحكمة وفي جانبك تغير في نفسه واثر في حسه
وحكمة بديعة غريبة وذلك انه اذا سمعه غير المحب في جانبك خاصته من البغي والعتو والعناد
وما ثار بحملة البغض على ان يكتب للعدو يعرفه بما عليه لافته واطار بجناح المبغض على نفسك
بين العدو والخاصة اذا اطلع على هذا الكتاب المصنف مصلحة في كلا الوجهين وقطع
فلا يكتب الى الاعداء فينقطع عنك امر هذا الراي وفي هذا ذلك على خاصتك بما اردت ودبرت من مصلحة
المادة من الجهتين فاذا اوقفت هذه الكتب المزورة اليها منها ان تنظر لهم ما طلبوا في كتبهم
امرت بالجواب عليها بما يناسبها وينضاف كاتبك بامارات كما هو عند التسامع
وتجيز لهم ما عينوه من مطالبهم وبضبطها الى العدو **وكيفية ذلك**
وتصوره وتجرع المسامع وتبعث هذه الكتب صحبة من يبلغها بثم اشترك وخدمتك فتجعله يكتب
ان يكون يا بني قريب من دولتك تستحمله لنفسك ذلك العدو امله ويا خذ معه على ذلك المواثيق
للعدو ويريه الخدمة والنصيحة له ليبلغه احد على سره ويكتم عليه ثم من تمام
ثبوت العهود ويبقى على حاله المعهود ان لا يطلع وحركة محروسة حتى يانس العدو لذلك
فاذا فعل ذلك فلا بد للعدو في اوقات معلومة هذا القريب منك يكتب للعدو باخبار
ويرى انه سلك في خدمته احسن المسالك وتكون دار بينهما لذا تشال فتكون انت
لا تخل بك فاذا استتم الامر بينهما على هذا الحال واتصلت الى الغريب بما يجري عند العدو
تطلع من هذا على اسرار العدو ومن قبل الكتب الواصلة على احوال العدو والقليل
ومن امره بين ويكون ايضا حامل الكتاب وهو السفير يطلعك مشاهدة واستعمالنا فيه
منها والكثير حتى انك تشاهد حاله عيانا ويخبرك العدو وبما اسطرت فيه من الا
تعطي الكتب التي زورتها جوابات لم يوصلها الى خاصة بانك قد كتبت لخاصته
مارات ثم تام ذلك القريب ان يكتب كتابا للعدو ويعرفه العدو بذلك
كما استتم معك على عادته ويصف له صحة رجال الامر وفيه يكتسب المزورة فلا يمكن
وتعدو بهذا الكتاب الى العدو حلا وتاما ان يصل قبل حامل الكتب فيا خذهم في كل فنون
للعدو فيبين الا البحث عنهم ليتمكن منهم فيجلس لهم في الابواب وفائدة الامر ان
الكتب المزورة تتشابه وقوع الشتات بين العدو وخاصته النفقات على خاصته
يتخيل العدو بسببها ويجري في نفسه شيا يحمله على طلبها فيا خذ العدو من قبيح
المحذور بينه في الاكتاب والرد فيعلمهم بما صدر من اخوانهم وما ازاه السلطان فيكون العدو
ادفعا لهم فتدعوهم الضرورة الى الاتيان الشحناء بين الخاصة والسلطان فيكون العدو

حررا من حد انعم فتدعوهم بل والخاصة غير امين لسوء اصطناعهم ان يجعل بعضوهم في الحال
وان يحمل بعضوهم بلغت فيهم الامال وهذه مكيدة مرددة للعدو من العناد وقد صبة عليه
بالشتات والنكاد وبذلك يا بني احتلنا على موسى بن ابراهيم اليربياني حين اراد ابو
سالم ان يستوزره وقربه كما كان عند ابيه وبعده وقد كان من وزراء ابيه المعتمد بن وصين يوسف
هو ابو دولة بني مرين وكان من اهل الدهاء منتهى بالحيل والاراء وهو بيوم من وزراء ابي الحسن
ادهى منه في امر وكان الكعبي منه في مكر فاتفق ان ارسل ابو سالم ان ارسل الابرهيم المكيرة البنا والحر
بعث علينا في وددنا مكيدته عليهم وقبلنا خبر بعثهم اليه **وكيفية ذلك** ان
استعملنا عليهم كتبا مزورة على لسان ابراهيم عبد الحليم بن ابي الحسن وسلكنا فيها
مسلك حسن تضمنها ان موسى بن ابراهيم المذكور ممن اراد طاعته واخرط في سلك جماعته
وانه تحرك في على ابي سالم واحتيال عليه وانه تحالف مع عبد الحق بن الحليم وركن
اليه واستعملنا ارسالا تشعرنا انهم اتوه من عند عبد الحليم
وهي التي زورناها واستعملناها اعني الحيل بها ودبرناها فبعث بها الكتاب الى سالم الذين كانوا عندنا
واحضرناهم في خفية حتى سمعوا نص الكتب المزورة فتعادت قلوبهم بهذا السبب شيعة واسعفنا الخبر
بذلك وسلكنا في ذلك اخسر المسالك فلما انفصلوا ووصلوا الى من يسلمهم ابي سالم اعلموه
بما سمعوه وما من نص الكتاب علموه فلما سمع ابو سالم ما ذكر له ارساله فصرت معه بهذا الخبر
حامله وتسبب في اخذ موسى بن ابراهيم المذكور وانقبض عليه فاخذه بعد ان تسبب اليه
بنكاله وحبسه ووبخه ونكسه مع ولده محمد السبع بن موسى الى عبد الحليم لما قبض على
ذلك وتشتت شمل جمعهم بما نحب النفس وتشتهيه وما زال السبع يكتب الينا رغبة في
خدمتنا ويتعرف انه متمسك بحبل ذمتنا وانه راغب في الدخول في طاعتنا والانخراط في
سلك جماعتنا وقد قدم لنا قصيدة قبل ان يقدم علينا فنتلو فيها الدنيا فاجتنا بهذه
القصيدة **وهي هذه**

تذكرت اطلال الربوع الطواسم • وما قد مضى في عهدها المتقادم
وقفت بها من بعد بعد انيسها • بصب مشاف او بشوق ملازم
نهيم بمغناها وتندب رسمها • واي فؤاد بعدهم غير هائم
تحن الى سلمى وتذكر الحمى • وحب سلمى للفتى بمسالم
فلا تندب الاطلال وسل بها الهوى • ولا تغل في تذكار تلك المعالم
فان الهوى لا يستطيع ذو النهى • ولا يبتغي الا الضعيف العزائم
وكل فتى اعطى الغرام قياده • وبات على ضيم فليس بحازم
فما فاز بالعليا سوى كل ماجد • سما وتحمل تاج العزائم
صبور على البلوى ظهور من الهوى • قريب من التقوى بعيد الملائم

ومن يبغ درك المعلوات ونيلها يساوي بعلو الشهب من العلاقم
وانه لما ركبنا الى العلى بحور الردى الجها المتلاطم
نغول باشعاو انتسى هوى الرماو ننشى درامن دموع سواجم
اليك لاي داعية امنا مغالة باي اوملامة لايم
الم تر ان النوم سوو وانا نجتنب النوم اجتناب المحارم
فما يصبو الى العلياء همنا جلالة اذا هام قوم بالحسان النواعم
بروق السيوف المشرفيات والقنا احب الينا من بروق المباسم
واما صهيل الشاحبات اذا الوغى ما اشجى لدينا من غناء الحمائم
واحسن من قد الغيات وخدها قدود العوالي او خدود الصوارم
اذا تخرج ما الصوارم نعر لا اعمادها لا بح الغلاصم
نوطن بين الهندوانا والطلى ننبع بها ما بين الطلى والجماجم
فيرغب منا السلم كل محارب ويرهب منا الحرب كل مسالم
نعود الى الهيجاء كل مضمر ونغدو اقلام لا سود الصوارم
وما كل من قاد الجيوش الى العدا يعود الى اوطانه بالغنائم
وننصر مظلوما ونمنع ظالما اذا شب مظلوما بشوكة ظالم
ويأوي الينا المستجير ويلتجي فيحميه منا كل ليث ضبارم
الم تر اذ جاء السبع قاصدا الى بابنا يبغي انتماس المكارم
وذلك لما ان جفاه صحابه وكل خليل ود غير دائم
وازمع ارسالا الينا رسالة باخلاص ود واجب غير واجم
وكان زمان المقامة بيننا تجلى لنا ان الحب ذات المباسم
وقال الا اهلا من عليم مجرب اتى له ما تحقق طي الحيازم
فيبلغ عني ذا حنين رسالة تؤدي الى خير الملوك الاعاظم
على نامة وجناء على الحر وضام تقد تهابين الغلاص الرواسم
من اذ يظلم الظليم اذا غدا ويشبهه جود السوائم
اذا انتعلت فوق السحاب جوانها تخل بعض السحاب الزواحم
وان هملجت بالسير وسط مهمة رات تمثال البر ولاح لشائم
وكم يأمن الغلان بعد اختلاطهم وامسى وفي اكبادهم اي جاحم
وقالوا تجملت الجمال فلا تبعد المرى او خوف سير الجمائم
وما الفضل الا الوصول بسرعة فقالوا تجملت اكعب النواسم
فاك النعم المرسلات وانما لها المسر مشهورة بالتمائم

كتاب

كتاب زهير في كمائم طرسه وبالريح يعبق من زهر الكمائم
فلم يلف فيها للامانة موضعا وكل امرئ لسر لم يبق بكاتم
فجئتنا وافي الينا بنفسه فكان لدينا خير واف وقادم
يجوب الينا البيد قفرا وبشرنا يضيء لدى الظلماء في كل عاتم
طلاب العلى يمشي مع الوحش في الفلا ويصحب منها كل باغ
على سلهب ذي صفرتين مطهم من المغربات الصفناء الصلادم
اذا ناء اي الوحش ادركه به فتحسبه في البيد بعض النعائم
ويغرمه طوعا الينا رجاءه حمائينا اياه من كل ظالم
الا ابها لا انت لظل جنابنا نزلت رحب في عراض المكارم
وقوبلت منا بالذي انت اهله وفاض عليك الجود فيض الغمائم
كذا دابنا للقاصدين محلنا حما ونرى ينسي به جود حاتم
وهذا جواب عن نظامك انما بعثناه بدك اللؤلؤ المتناظم
ونحن ذوو الفخار من ال هاشم لعمرك ما الفخار غير العمائم
بهمتنا العليا سمونا الى العلى ونحن ذوو اذ راى العلى ماجم
شردنا بها ازرا وشرنا بناءها وكم مكنت دهرا بغير دعائم
نظمنا شتيت الملك بعد افتراقه وكم بات نهبا شمله دون ناظم
ورضنا جياد الملك بعد جماحها فذلت وقد كانت صعاب الشكائم
مناقب زيانية موسوية تداولها عن الملوك القماقم
يغض عن ادراكها كل مبتغ ويعجز عن احصائها كل ناظم
فلله منا الحمد والشكر دائما وصل على المختار من ال هاشم
ويجمع منا السلام دائما ما تضاحك روض عن بكاء الغمائم

فتأمل يا بني هذه المكيدة واغتنم هذه الحركة **يا بني** واذا رأيت عدوك الذي هو اقوى منك اراد التحرك عليك والمبادرة اليك وكان قليل السياسة ضعيف الرياسة مع كثرة جيشه وماله وامداده وابطاله فيجب لك الطمع به والنصر عليه وذلك لعدم سياسته وضعف عقله وسوء تدبيره فلتعلم كما اتفق لنا في ابتداء امرنا مع الحسن ابن عمر الفودودي حين استقلاله بمملكة المغرب وتغريمه بجمهور النيل الطلب **وكيفية** ذلك انا لما دخلنا تلمسان على بني مرين تحرك مع الاشياخ العرب من وقال يا بني مرين ما ترون في عبد الواد وكيف اخرجوا اخوانكم من البلاد فاضطربت اراؤهم واحوالهم وتبين خذلانهم وانعكسهم فاجمعوا اراءهم ان يبعثوا السنة الالاف فارس من حماتهم الفوارس دون من انضاف اليهم من الحشود وما اعدوه من الجنود واقبلوا بعدد وافر وجيش متكاثر

الكبل هذه الفتنة التي كانت بين

فلما فر بنو عامر البلاد ونهبوا ما جاء وبه من الامراد وع ارسلنا الجواسيس الى المغرب لتتعرف الاخبار
امر تلمسان ومجيء بني مرين الى هذه الاوطان ارسلنا الجواسيس مع ملكهم الى معه وعين بان فيهم ورحل
ونقف على الصحيح من الحزم والانتظار وانبثت الجواسيس مع ذلك اعني اتيانهم لنشرة الاوطان
وتعفوا ذلك فلما تحقق ذلك في اول البلاد في غاية العزم والاشتداد والعمل على الضرب في صدورهم وسافاتهم
عاملون على تلمسان امتنع من التشبث الخروج الى ملاقاتهم والعمل على الضرب في صدورهم وفصدنا اليهم
عاملون على تلمسان وقبيلتنا بني عبد الواد وقصدنا اليهم
فحن جنابا للاهل والولد والاثاث والعدد وجماعتنا الاجناد وبه من الحشر والربون وعندما راونا الى
عاملين عليهم الى ارض بواد الزيتون فجاء وبه من الحشر وطلبوا النزال عليهم وخيلنا تقحم اليهم وشارفت
فنالهم مبادرون وعلى ملاقاتهم مشابرون وطلبوا النزال عليهم خائفين من ملاقات المنون
خيولهم خيولنا وعاقب قبيلهم قبيلنا تاخر واعن واد الزيتون لاسباب وعاقات وذلك انه
مغفعو بن علي الاعقاب ناكصين بام بناء على راي الملاقات في صدورهم
كان بغية جيشنا في البلاد معتنا فبرع الملال والوهاد وارو وفعنا في الوقت في صدورهم
تغويقاتهم في وردهم وصدرهم عقال ما بعثنا اثقالنا وجمعنا اولادنا واموالنا وبعثنا
منع دبير في الجهات والاجناد والجود قبيلتنا بني عبد الواد وقدمنا الخيرة في الدخول الى الصحراء
وراينا من احسن الاراء وقصدنا متوجهين الى اعرابنا بني عامر فما معنى من طوال والولد والد
خابرون كنالهم تلمسان خالية لنمكن بهم مرة ثانية فلما سمع بنو مرين دخولنا الى الصحراء دخل
تلمسان واستبشروا بالاستيلاء ولم يعلموا ان ذلك منا خديعة لتستاصل اصل العدو
ووعد فدخلوا البلد في يومهم وراوا ذلك من جدهم وعزمهم ولم يعلموا انهم تورطوا في المهالك
وسلكوا في مبادتهم اشد المسالك واقتضى نظرنا ان نبعث اليهم من عرب المعقل من يشفي
عليهم بالجهات الوحرية ويعمر منابا عليهم بالكلية فلما سمع بنو مرين ان الاعراب بني قطعا
عنق المعقل علموا انهم رموا بالداء المعقل فبيتوا من الجهات وابعثوا بالمهات عمروا الى
العرب فارسهم او يتبرؤون من جماتهم الذين بهم يعتدون وتشاوروا بسهم المعقل بظاهر وجدوا الصحراء
في انفسهم غاية الغنم فعند ما التقى الجمعان بجارع القتال وقتل قايدهم بن موسى وان ما
صنعوا ليبقرا الى قائمهم مواهم من شيعة وقتلوا قتلة دريعة فقتل اهل بني مرين من العرب
والحبش ما لم يعد اليهم الا القليل من الجيش وبات كل واحد يقلب كعبه ويجيب كل صيحة
عليه وانبلائهم من حيث لم يحتسبوا وضاق بهم سوء ما اكتسبوا وخيب الله امنياتهم بعينهم
ومفاد نياتهم وطفقوا يديرون الحيلة في تشتت النجاة وكيف يتخلصون الى غيرهم وذلك
غنيمتهم الموقنات فعقدوا الاعرهم البيعة وخرجوا الجميع معه بعد ان عقدوا عقد صلح
على انفسهم بالمهادنة والموالات بيننا وبينهم بالمناسبة وعاهدونا بعهده وتنزى
وعقد منبر الامعانة الى يوم الدين وان يسرحوا من بايديهم من بني عبد الواد ويتكرى عن
منا في بلاد الاباء والاجداد وخرجوا في ليلهم مبادرين لغيهم بخيلهم وخيلهم ولم يكن عن

علي

علي بعيرها متى هربوا الى اوطانهم الذي في بواس نواحي ملوية واخلصوا بالبلاد المنجية
وذلك خوفا من سبوقنا وهم بامر رجوعنا ولما استقروا ببلادهم نقضوا ما عهدوا واخلفوا
ما وعدوا اما وقع الله بينهم الشتات والشحناء والعداوة والبغضاء حتى طار بعضهم بقتل
بعضا مع ما الى تلمسان وكان من امرنا ما كان ثم تبين لنا انهم عهدوا ان نكثوا وحلفوا ثم
غدروا وكذبوا بما صدقوا وكم بزعة احدثوا فلما حاملناهم ولم يحاملوا عاملناهم بمثل ما عملوا
فانعطفنا على من كان منهم في بلادنا التي فيه مثل مليانة والمرية فاستولى عليها والدنا
الامور وعمل فيهم سيفنا المحطوم فوجد اليها منهم اربع مائة فارس مصعودين في الاغلال
ليذوقوا العذاب والنكال ويسعوا في اسوا حال وازدادوا وطبولنا تزل عليهم اسرا وفديا
الاولى قبل هؤلاء الاعراء فمنهم طالع الظلم والعدوان وعدوا اهل الغنا عليهم ليكونوا عوضا
عن من في بدهم وراينا ان نعاقبهم بهذا المام المشبه لقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به **يا بني** وان كان لك معقل تلجا اليه لا كنك تهجم التعويل عليه وترى ان ذلك
الحكماء ضربة لازم ان كل محصور مغضور وحال المضاه لتبور فينبغي لك حينئذ نحصونعقلك
الذي اعددته لحصرك وتلجا اليه في مهم امرك واموالك واثاث جيشك واولادك وحماتك
ورجالك ثم تتسع لعدوك عن البلاد لما عندك من الاجناد خارجا عن بغية ذلك راكبا المعطشات
والمهالك فاصل البلاد العدو لتسكنه من الغلو وتصله عن العتو وذلك اذا قصر بلادك واراد
فهي ونكادي فانه باتيك بجميع احشاده وانصاره وامراده وقواده وبترك بلاده خالية
من الحماة ومعرضة لافات فتقصدها انت لعوضة تنتهم بها او وقيعة تنتجزها فتفعل ذلك
في بلاده لتقابل ما قصد من طارك بقصاده من قصاد بلاده وفي ذلك مشقة على العدو الغاصب
لما يلحق بلاده من المصايب فانه اذا سمع العدو انك قد اوقعت في بلاده الشتات وسلت عليه
الغارات مرضة نفسه لذلك وايقرانه واقع في المهالك وتشاءن ظنون اتباعه من القبائل
والعساكر وانقلب ثم ورجع الى نعيم الخاطر لما اهمه من تشتيت بلادهم والخوف على اهلهم
واولادهم فيصيروز عليه لا اليه ومناخر عنه وان كانوا بين يديه فيجمع العدو بالاعضاء
اعقابه خاسرا في مجيبه وذهابه وهذا كان حالنا مع عدونا ابي سالم حين راينا انه اتى
بلادنا فادع **وكيفية** ذلك يا بني ان ابا سالم كان له قواد بالجزائر يكتبوا
له في الباطن والظاهر يطلبون منه الانتصار لما ضيع عليهم والرنا الحصار ويعرفونه بالزهد
ويسهلون عليه الامور بضعف بني عبد الواد وقلة ذلهم في البلاد ويغبنون له المحاسن
ويحسنون له القبائح في المواطن ولم تزل كتبهم تتواتر علينا ونطرح في كل يوم اليه الى ان
اخرته الغيرة والنخوة وحركت عنده النزوة وهاجته الحمية وحض النفس على الحركة الى البلاد
التي فيه بجميع الاجناد الواقية والاعراد المتكاثرة ولم يترك بالمغرب خيلا ولا رجلا ولا انسانا
والكهلا والرمات المترحلة من المغرب لبرحها ويرهب ولينال بذلك غاية المطلب ولم يزل

بعمل المحال من المستحيل وان وصل اطراف البلاد في الزمن اليسير وعندها تخفق البيانة وانه قد
نقض عهوده وايمانه وانه قاصد للبلاد فيرى انه لا يصده عنها من صاد اخذنا في التحيل بما
التي جمع بين الخروج الى الصحراء وملاقاته في هذه الاحوال ثم نظرنا الى البلاد التي خلفه وراءه فقد
خلت من اجناده ولم يبق بها احد من الاعداد فاقتضى نظرنا ان نخرج من تلمسان ونقصد الى بلاده
بمن معنا من الحماة والعربان فوجهنا الى واليها بالبلاد الشرقية بالالتحاق بنا بمن معه من الجيوش
العبر لواديه وخرجنا الى الصحراء نوهمه انا نريد مرين ونحن في الحقيقة الى بلادهم قاصدين ولما تو
غل ابو سالم في البلاد وظن انه بلغ غاية المراد واستقر بدار تلمسان وانه نائل لذة فيها
الملك السلطان قصدنا بلاده فالفيناها خالية من الحماة وبمعزل عن الغارات فاتينا على حصو
نها نخرب ونهدم ونحرق ونقتل ونسلب وننهب الى ان ملأنا الاحقاب بالاسلاب والسعادة
بالامتعة والانفال بجوهرها العلوج والحصون واذقنا من تعرض الينا كاس المنون وابو
سالم يظن انه قد ظفر بتلمسان وملك هذه الاوطان فبينما هو بالفتح يتاه منتظرا
لما يرد عليه من الاخبار اذ كتب اليه اهل بلاده في الاقتصار يطلبون منه الانتصار ويعرفو
نه بما لقوا من البوار وانه ان لم يتداركهم استولت بنو عبد الواد على البلاد فعند ما سمع
ابو سالم باخبارنا وما دهم بلاده من حماتنا وانصارنا طاش لبه وخفق وطارت عنه فلقا
وعلم انه مخذول وعقده محلول وحده مغلول ولم تنفعه احتشاده ولا حماته واجناده
وكاد جيشه يكون عليه لما ملئت قلوبهم رعبا فلم يغتنم نظره الا ان عزم حعيبر
ابي تاشفين ليامن بتعقيبه قلوب بني مرين وبشيهم العيبة بهذا الوطن لم يبق معه من
المغيرين فلم يقم ابو سالم في البلاد ثلاثة ايام بعد ما اراد ان يصيرها دار مقام وازعج عن
البلاد بين او من مخافة تسبيه ومنا ثم بدا اول جمع اليه عقله حتى اتصل بعياصره واهله وعدنا
الى اوطاننا وبلادنا نائلين المبرة وبما نلناه من الاعداء غانمين ولما سمع بنا حصير ابي تاشفين اخذ
في الهرب فجردنا في اثره في الطلب فنجا بنفسه ولم يعلقه الا بعد اسيه ثم بعث الينا ابو سالم بالمط
نحو الملاطفة والموالات والمهادنة ولم يزل يعرف لنا هذه الفعال ويدركه من حرمتنا
الاهوال وهو ذلك كانت مصالحته لنا على رغم انفه ولم يزل يتحاملنا الى ان هلك بحتفه **وهذا**
باب من السياسة ونكتة من الرياسة ونبذة من الحزم اهديت اليك **يا بني**
وان كان العدو صاحبك خرج وجيش عرم وترى انك لا تقدر على ملاقاته ولا قبل لك بمجيئه
بنه ولا على انفاقه وهو موازن لك في الدهاء والسياسة ولا اولم يقدر على بلادك باجناده
حتى حصن معاقل بلاده وتمثر الرعية الى جبالها وموانعها ومعاقلها ومواضعها حتى الحجر
فيه فرصة ولا نكاية توجب له غصة فينبغي ان تخرج عن صوبه وطريقه الى ان ينزل معقلك
ويهم بتضييعك فاذا نزل معقلك فتغير عليه وان يحيط بك فاصل اليه بما يكن عندك
المذكور الا ان يخرجه عن معقلك المشهور وقصده الى بلادك وملاقاتك بمن معك من الجمهور

ماذا

فاذا رحل العدو عن ذلك المعقل انشرح اهله وانتعشوا وانسوا بالعز بعد ما استوحشوا و
فتحت الجمعة في جيش العدو وسكن من ذلك العلو فاذا اصم العدو للغائب فاصلا او رحل اليك مواجها
جاهزا فتحصل من حلته من امامه تغل بها عقد اعتزامه فلعل ان ظاهر ذلك كذلك قرصد في وجوه المسالك
كل ما دنا منك العدو وتعرف مكانه وايته فجعلت مسافة بينك وبينه لا يقدر فيها على التوصل
اليك ولا ان يغار لك ويهجم عليك فيضطرب العدو في احواله ويضعف في حاله فلا يقدر على العودة
الى الحصار فيتوقف بين الفرار والقرار وتضعف حينئذ حركته وتنكسر شوكته وتقل حرته وتقل
نجدته ويتكدر جيشه وينفض عنه مما يرى من الرجوع الى بلاده ليريح نفسه وجملة اجناده
يا بني ان رحل العدو عن معقلك الذي نزله ولم يدرك امله بتك حين قدمت له فيلمع
لك ان تنجو من حيلتك وحماتك واهل نصرتك وكماتك وتغير على اطراف محلته ولا تترك من اتباعه
من يتخرى في حيلته فيكون مغامه وتحمل الى رحلته فان ذلك دابك متى ما وصارها تضيق
عليه المسالك فتلاوك فيمنع عنه القوافل ويترصد في شانه في المخادع والمخاتل حتى يصير
محصورا بعد ان كان حاصرا ومقهورا بعد ان كان قاهرا فتضعف حاله حينئذ باجنادك وتقل
قوته فيضعف عن الاستبداد ولا يتحصل مراده فتتشتت عليه الاجناد وتختلف عليه اراء القواد
وتضعف نجدة الاحتشاد فيرحل عن المعقل بغير اختيار ود انه لم يخرج عن داره فان وجدت فيه فرصة
فانتهزها وان تيسرت لك عزة فاغتنمها **يا بني** وان كان العدو قد اتى قاصدا الى معقلك
فاصلا او الى مجلسك ومنزلك متابعا لك ليلا ونهارا عاملا عليك سرا وجهرا وكان العدو مثلك
في الدهاء ونظيرك في الحزم والاراء فمن حسن لك ان تظفر به وان كنت مطلوبا وتغلبه وان ظنك مطلوبا
فان المطلوب يغلب الطالب حتما ويستولي عليه رغما لان العرض ان التابع اكثر جيشا واثقل
واثقل حركة واشغالا وفي الجيش الكبير القوي والضعيف والثقيل والخفيف والطالب ابدا على
اختيار والمطلوب لا يهتم الا بفراره ولا التفت الى خبر داره فهو اقوى جلدا واصبر احتمالا من الطالب
منه مكر الاستباق في المواضع المعطشات والمهامه المرهقات فانه لا يامن الطالب ان يثني
عليه المطلوب عنانه فيهلكه فيلقي امتحانه وكذلك فعل ابو الحسن المريني **وكيفية**
ذلك ان ابا الحسن لما اخذ تلمسان واستظهر صيته في جميع البلاد والاوطان اشتاق باخذ
البلاد الافريقية وان يقطع ذكر خلافة وان يعم املاك الغرب والتعبير فاشتغل حركته التي كانت
اخوه كاتبه واعظم مع كاتبه واعدها للاعداد وحشد لها الاجناد وامر لها الانداد وقاد
اهل المغرب باسره واستظهر باموالة وقوته ووقع عاملا على ان يتحرك بالبلاد الشرقية فدا
من بين بسطاعته ويدخل تحت ايالته وفي سمط جماعته وهو في اعتزامه يظهر الارادة بحلول تونس
والاحلافية الاخلافية وذلك لما استولى عليه من البلاد وما تحت ايالته من الحماة والاجناد فخرج
من حضرته بفاس المرينية تلمسان وقد طمع الارض بما حشد من الفرسان ثم استخلف ولده ابا عنان
وجعل له النظر على جميع البلاد واستوثق بولده في البلاد وراى ذلك من الحزم والاستعداد

ولم يبرح ان الغدر سابقه لحينه ومن يحجه من مكر امنه الى ان اتاه حصره وبحينه فلم يزل يستعمل
الركاب ويرحل المطارب والعقاب ويقطع الارض طولا وعرضا ويجوبها رفعا وخفضا الى ان بلغ
بجاية فاستولى عليها وبلغ منها الغاية واستفتحها من غير طعان ولا ضراب وادعنت له الصعب
ودارها ثم اخرج صاحبها الى محلته وادخل عامله في البلد ليلته ثم ارتحل الى قسطنطينة ونزل
خطارها لما ظهر له من تحصينها وشدة انصارها فلم يلبث عليها الا ثلاثة ايام وخرج اهلها على
الامان للناس فاخرج من كان بها من اهل التوحيد وادخل عامله اليها على حسب ما يريد ببعض
احتوى به على الطارف منها والتليد ثم سار الى بلد العناب فخرج اهلها من غير ضراب ثم دخل
عقله العجب المؤذن بالهلاك المفضي بصاحبه الى الانتشال ثم قصد تونس لا يصده عنها
صاد ولا راد لعونه زاد وفيه عجب من اغتراره المتكاثرة المرتبة الوافرة فعزم على ملاقاته الامير
ابو حفص عمر بن ابي يحيى واراد صده عن تونس فتناساه الغدر وكان من افضل الرتبة فقتله
احد قواد ابي الحسن وخرت بموته شمخا الجمر وعندها اوقع ابو الحسن بن اسعد عظم في اعيى
اناسه وابقوا بالهرب في البلاد وانه ازال اثار التوحيد وبلغوا غاية المراد ثم استقل بتونس
والبلاد في تحت سلطانه وتبتهج باتيانه وقد جمع على طاعته اهل تلك البلاد ورغب في امتثال
امره جميع العباد فدخل تونس بجيش يضيق عنه المتسع ويذل له الممتنع ولا يخالفه المتبع
فاظهر بها صيتا عظيما وملكا عتيدا جسيما ازال بذلك من اهل التوحيد وبابني الله الامامة
ثم بمن تخدمه البلاد الافريقية وتلتها البلاد الجريدية فجمع وعماله في البلاد وبعث اليها
بالحصون والقواد واتته القبائل والاعراب وانقادت تخدمه الصعاب الصلاب ثم اخذ حملة
حال الاعجاب على ان ياخذ الماهر من اولاد الاعراب فعندما علم العرب بذلك انسلوا من
حضرته انسلال الحلو وطرد الاعداء انتزع من في الظل فاخذته الانفة وصولت له نفسه
في اخذهم وانتهازهم ولم يعلم انه لا يامن على حنقهم بطلبه والخداع مال ان يكعبه
ولما استشعر العرب واستقلهم واراد ان ياخذهم ويستأثر بهم فاستعمل حركته من تونس
عاملا عليهم ومستعيضا اليهم ليقطع اثارهم من البلاد الافريقية ولا يبرح بها من نفي
كعب بقية فخرج في طلبهم مبادرا وعلى غرة وهم مشاورا ولم يزل في اثرهم طالبا وفي استنبط
لهم راغبا وهم مع ذلك يطمعون العراك جملة الشمل وعندما اجهد في اثرهم اجناده
واتعب جيشه وقواده حتى سئمه جيوشه من التتبع وابتغوا اتمزاعه فهناك الطعن بعد
ما عاينوا الى صفهم فيه اشواعتهم عليه حيث لا ينفعه تلافيه فكانت ساعة حينه واول
شينه فانهزمت جيوشه الوافرة وانجلت امداده المتكاثرة فلاقى القيروان منفردا
مع ابطال من العرب سار واستولت العرب على امواله واثقاله وجملة اثقاله ولم ينفعه ما
لما انعقد حزمه وذلك من سوء التدبير واحتقار العدو الحقير فلو كان يقظانا ما احتقر
عدوه حتى يسكن علوه فكانت هزيمته تضرب بها الامثال وبسببها ال الملك للزوال فلا تغتر

يابني

يابني من عدوك وان كان قويا **القسم الثاني** ان يكون العدو اضعف منك وكان ذا
راي وحزم وانتهاض وعنده معاقل حصينة واماكن امنة يتحصن فيها ويمتنع ويتأمن فيها
وينقطع فلا يقدر فائدة من قواك عليه ولا ان اذا افضت بنفسك اليه امام التحصن فله
الحصينة واما كونك المعطشات التي تبلغ بها تامينه فينبغي حينئذ ان تغزوه من تيش
في السنة ولا تنفعل في تحفظه ولا سنه وذلك من زمن الصيف والخريف وجبر يستوي الخريف
من بلاده من كل ثالث البرود فيه فتستعد له الاستعداد التام وتنهض له بالجد والاعتزام
فترحل الى بلاده فتاكل زرعهم في اول حصاده وثماره في ابان جناها وتنزل بها في جميع انحائها حتى
يضيق عليه كل التضييق وتخرج الرعية عن طاعته بالتشتيت والتفريق لعدم دفاعه عنهم
وامكان جيشك منهم وخراب بلاده وقلة جيشه واعداده فيضعف بعجزه عن الخروج الى المعطشات
ولقلة صبره على المدهشات فيسامه جيشك ويزداد كربه وحنقته ويكثر
خاصته الافرار ويعودون عليه بالريبون ولا يبيت الحذر من اتباعه امره ولا يوافقه فيما جهم
به وسره فحينئذ تقصد الى حصونه وبلاده لقلة اعداده وضعف اجناده فتاخذ منه الاقرب
فالاقرب وهذا معنا يتم به المطلب فكلما اخذت من حصونه عدوك زاد في قوتك وعلوك وانس
واستعنت عليه بما اخذته من حصونه وذلك زائد على ضعفه ووهنه فتستولي على مجابيها
واقواتها وحمات البلاد ودورها فتضيق عليهم بانواع التضييق وتحاصر محاصرة العدو المضيق
لا انك استغنيت ببلادك عن بلاده على امداده ثم تاخذ في البناء والتضييق عليه بكل وجه ترى
انك تصل به اليه فتبني على كل برج ويروح معقله برجا ثم تبعث عنه طرحة عير ثم تشحن
الابراج بالرماة والرجال والالات التي تحتاج للقتال ثم تدور بمعقله الجعاب والحداد التي
تلتف بالحصار وتستعمل الزرافات والانقاض والمنجنيقات وتستأصل الرمي في ذلك
في كل الاوقات فبالضرورة تاخذه عنوة وتغلب عليه سطوة ويسلك المعقل بالاضطرار
تكشف ما يلقى اهله من الحصار **القسم الثالث** ان يكون العدو مساويا لك اعلم
يابني انه اذا كان العدو مساويا لك في جيشك وبلادك وحزمك وجلادك وكفايتك
وسياستك ونجابتك ورياستك فينبغي لك اذا رايته موازنا لك في الدهاء واحواله جارية
معك على السواء ان تحاوله بالمصالحة والمهادنة والموالاة والمحاسنة فتكون مصالحتك
له من جملة المكايد ومن الدهاء التي تبلغ المقاصد لان مصالحة العدو حتى تطمع به مكيدة وتلك
سياسة وكيد وان كانت عند الناس مذمومة وصفتها بالعدو موسومة فهو عند الملوك
محمودة واثارها مشهورة ومع ذلك لا تامن عدوك في مهادنته ولا في موالاته ولا محاسنته
وقد اتفق لنا ذلك مع السلطان ابي سالم بن السلطان ابي الحسن حين وجهنا اليه الامير
نعره بكل فعل حسن **وكيفية** ذلك ان اهل المغرب لما اعطيناهم بالخروج من بلادنا لنا
وانتزعنا من ايديهم ارث ابائنا واجدادنا وعاهدناهم على قطع الفتنة وطاعناهم على

الموالاة والمحاسنة لم تزدهم الا سمنا ولم ترد على نقض العهود وتمادوا على
الموالات والمحاسنة لم تزدهم الا سمنا وامر كلاتهم الا اذنبه ثم تمادوا على نقض العهود وتمادوا على
حفر الابار والجرود لا ينعقد معهم صلح الا انتقض ولا يتولوهم صلحا الا رفضوه ولا نواقعوهم عن
الكف عن شيء الا تعرضوه الى ان تبين لنا ان غاية مطلوبهم العثور ان التردد اليهم من المحو والمحق
طوامرهم الموالات فاننا احسنوها الحفر والنكايات وعند ما تواترت شرهم وتبين غدرهم وقلة خيرهم
واخذناهم بالمحاولات فلم ينجع فيهم في كل الحالات وتواردنا تسكينا ومهادنا ابدلوه هرجا
ونكادا فاقتضى رايينا التدبير السالم ان نبعث للاندلس بابن سالم ليشير عليهم الفتنة وبين بعضهم
في وجه اليهم المحنة لتشغل بعضهم ببعض لموجب ما اسلفوه من نقض وبعض وعند ما وصلت
اوسالنا الى ابن سالم تحصن على الجوار ونعلمهم ان اول العوصة في بلاده فرد ان لا انتصار وان يكون
جوازه الى بلادنا لنمري مجانتنا وانجادنا على عهد لازم ولم بالمهادنة فانه وان يبادر في حينه
ذلك وان يسلك في ذلك اخصر المسالك فلما وصلنا ارسالهم بالكتب اليه وحلوا بغرناطة فلا
يمين عليه اعمل الحيلة في خروجه في الحال واحتال غاية الاحتيال وخاب بشعره فيصدع مطلبه
وكان هنالك بعض قبيلنا الحمة الحلفاء وحماتنا النصحاء فوجهنا اليهم في محاولته ليجوزوه
الينا ويقرموه علينا فلم يجدوا الخروجه سبيلا وتعذر عليهم بسبب اليه تمار اوليه ذلك تطويلا
فاقتضى نظرهم السديد ورايهم المصيب ان شيرا بتوجيه جوابه الى العنشر الطاغية وراوا
ذلك اقرب الى الغرب من الجواز به الى مصر الناحية فانا شوقنا الى مغ به وار بنا بما تربنا
غاية مطلبه وخصصناه على الامتنان بان ملك اسلافه ومبادرة المغرب قبل تلافيه بجوره الكافا
عنه حين وصل اليه في غاب في البحر فانه لم بطاميه اصلا ومنها تعبير له بارق النصر والطمع
فاستقل من علامه بالخلافة ورقى من رقى الامانة وحل بحضرته ودار على مع اختيار ومن هنالك
احتاز الى المغرب وبلغ غاية الاماني والمطلب فتحصل على اير بنيا بان ملكه وسلطانه واستولى
على جميع بلاده واوطانه واسلفنا بالموالات والمصالحة والمهادنة والمناصحة وكل ذلك منه
خداعا ومكرا ودهاء وغدر ومع ما اظهر من موالاته ومناصحته ومطاوعاته لم تزل تحدر من مكايده
وتتقي من سوء ماكره **وقد كتب** لنا بخط يده على ختمة من القرآن العظيم بعقد
وثيق وعقد تسليم مستقيم وجعل كتاب الله حكما بيننا وبينه ان تكون بيننا المجاملة وجميل
المعاملات والموالات والمهادنة والمصافات والمحاسنة وان لا يبتدرا على الحال الى وقع عليها
العقد **وكتب** على ظهر المصحف العهد فلما استقل بسلطانه اول شيء ابداه بحركاته
ان نقض العهود وحشد الاحشاد وامر الامداد وقصد الى بلادنا عاملا على قتالنا ولم يراع
العهود والايمان ولا ما حفظه من تعهده على مصحف القرآن فكان من انتيانه ما كان وما اتفق
لديه دخوله الى تلمسان كما قدمناه انفا في غير هذا المكان فعل هذا يا بني لا تامن عدوك في
حال الا في المصالحة ولا في القتال **واعلم يا بني** ان المصالحة بين الملوك مكيدة وهي
عين المحاولة الوكيدة والحركة الشريفة فلتكن لعهودك بفظانا وفي محاولته ذهنا نابه

يا بني اكتم

يا بني اكتم لعدوك الغدر ابدا ونم على ارساله جزيل العطايا وانسه ووداليه واكرمه
وصاحبه واظهر له الوداد وابن له الاعتقاد ووال خاصته بالاكرام وواليهم بجزيل الانعام واظهر
للعدو انهم الشعوب عليك في الحال حتى يظهر انك تخافه وانه صعب منك بالامال وانك تهاديه لاجل
الخوف وتواليه على وجه الاستعطاف وكذلك تكاتب خاصة عدوك الذين يوصلون الهدايا
اليه ليعلموك اذا رجعوا ما هو عليه وما فعل في بلاده وما حدث من زيادة في اجناده وما ادرك
من الخبر بالجيش في عامه وما حدث من الحوادث في مدة مقامه فتعمل انت ما يقابل ذلك و
تزيد اضعافا على ما هنالك من حيث لا يكون للعدو به شعور ولا يقع في ذلك عند الخاصة ولا
الجمهور **والعمل** في ذلك يا بني ان لا تظهر زيادة في جندك ولا تعشر ذلك في امرك بل
تفعل ذلك في البلاد التي لا تلي العدو وهي عنه بعيدة وذلك اذا فعلت من وجوه المكيدة
فلا تزال في زمن المهادنة تدرك العز والاجناد وتشعر لعدوك انك في الاستعداد وليكن
اشتغالك بتوفير العدة والات الحرب التي تكون بها البحرية والبرية وكل ذلك بحيث لا يشعر
العدو ولا يتخيل وجه تسببه لان العدو يكون في امن من بلدك لاجل مهادنتك ومصالحتك
وغافلا على احوالك التي تفعلها في اقصا بلادك من تدبيرك وجملة اجنادك لا تظهر لك الا الا
في مناصحته مستمسكا بمهادنتهم ومصالحته موافقا لجميع اغراضه واختيار امورا له
على خاصته واختباره وتلك مكيدة ادركتها وخديعة حسنة دربتها وفي اثناء هذا على
عقد الاحلام وحله تكون عادتك في جيشك للاعياد تجمعهم من اقاصي البلاد وتخص قوادك
والاجناد بعيون لعدوك وليتشلوا امرك في وعدك ووعيدك **يا بني** وفي الاعياد في
تكون هذا بادي لعدوك وفيها تظهر اقامتك وهموك لتتعرف احواله في اعياده وما
يزداد في اجناده وقواده بعلمونك اذا رجعوا اليك حتى لا يخفى عليك شيء من حاله وحين يتم
نشر العدو من العدو ومن عوائك لحسن مجاولتك وتراسلك فاذا تحققت ان جيشك اكثر
من جيش عدوك وانجادك اكثر من انجاده ونبلك وتراسلك فاذا تحققت بل وميزادك او من
مرامراده ورايت فرصة فانتهزها واقتحم عليها وانتهزها فاذا فعلت ذلك على حين غفلة
فيحصل لك الظفر به من اول وهلة لاجل اغتراره وحيث عدوك في البلاد وطمانينته من الاغترار
د فانك اذا اقبلت اليه لا يسعه الامهال فاتك اذا ظهرت له راياتك وسافاتك لانه يرى انه
موازنك في العدد والعدة والدهاء والكفاية والنجدة فان خرج الى لقائك فالغالب انك
تغلبه وتظفر به وتنكبه لانك اكثر اهبة واستعدادا واقوى جيشا واوسع امدادا وان لزم
العدو موضعه ولم يخرج الى لقائك بجمعه وجراه جيشه هنالك فينبغي لك ان ترحل الى بلاده
وتسعى في شتاته وفساده وتضعف بلاده غاية الضعف وترهب اهلها بالغارات والرعب
وان قدرت على اخذ ذلك العدو وحصاره والنزول على بلاده وانتهاره فلا تعف عن انزال البهم
والتضييق عليه في محاله وان تغدر عليه وتزال احواله تشتت ونكاية عدوك تعرف

فتاخذ امتك بغير اجتهاد وتعود فلا الى بلادك بما معك من احتشاد ثم لم تزل في ديرك جيشك
وتمدك واعدادك ولا تنقص عدوك ساعة ولا تعنه حتى تاخذه وتقطع بسوء تفرقهم فان العدو
لا يقدر على ملاقاتك وتراجع عن نفسه خوفا من جيشك وتما فاتك بل يدخله الخوف والارهاب
والفشل في احواله والاضطراب لما يراه من فساد بلاده وقل جيشه وقلة احتشاده فان كان
حين سمع بمكنك اليه ارسل الى جيشه قبل ان تهجم عليه وكان جيشه في نباهته بحيث لا
يتعك عنه فيطوون اليه قبل هجومك عليه وقد استعد بجيشه للقائك وقابلك بوجه اعدائك
فان كان اللقاء في حد بلادكما واظهر تماما مقامه استعدادكما فمن جهتك الطمع به والغلبة عليه
وجيبة عدوك فيما فصل اليه وذلك لاجل ملاقاتك لعدوك من تدريك الجيش وقلة الانتهاض
والعيش واستعدادك بما ردت عليه واشتهت محاولتك اليه فان الزيادة في الجيش لها تاثير في
الهزائم وقوة عظيمة في العظائم وذلك **كما يحكى** في قصة الطاغية ذي الادميم مع
المستعين بن هود امير المسلمين **وكيفية** ذلك انه لما التقى المستعين بن هود مع الطا
غية بن ردمير النصراني على مدينة وشقة من بلاد الاندلس وكان العسكر كاملين كل واحد منهم
راموا عشرين الف مقاتل من خيل ورجال فلما دنا اللقاء قال الطاغية لمن يثق به بعقله ومما
رسته للحروب من رجاله استعلم من في عسكر المسلمين الشجعان الذين نخاف منهم ويعرفوننا ومن غاب
منهم ومن حضر ومن ذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد تسعة رجال ثم قال انظر الان من
في عسكر من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم ومن حضر فعرفوهم فوجدوهم ثمانية
كلام يبرون فقال الطاغية ضاحكا مستبشرا وهو يقول يا بياضك من يوم ثم ما نشبت الحروب بينهم
فلم تزل المضاربة بين الفريقين ولم يول احد بهم ولا زحزح عن مقامه حتى فنى اكثر العسكر ولم يبق
احد منهم ولما كان وقت العصر نظر ابن ردمير ثم حمل الينا حملة ودخلوا دخلة فوقفوا بيننا ومن ما
نظر بين رجالنا وبيننا وبين اصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقع الحرب الا ساعة
وخرج في حشاشة نعم فانشا رمقه العسكر على السلطان ان يبعوا بعقبيه وتم عسكر المسلمين
ونعو وجمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو العزم والبصيرة من جمع يحتوي على
اربعين الف مقاتل ولم يغط من الشجعان المعروفين الا خمسة نفر وثبوت العلج بالطمع والغنيمة
لما زاد في ابطاله رجل واحد **وحكي** ايضا ان المنصور بن ابي عامر رحمه الله كان في بعض
غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع وجيوش المسلمين في جريته ومن خلفه وعن يمينه
وعن يساره قد ملئوا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يدعى بابن المصحفي فقال
كيف ترى هذا العسكر ايها الوزير قال ابن المصحفي ارى جمعا كثيرا وجيشا واسعا فقال له
المنصور لا يكون في هذا الجيش الف مقاتل من اهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن
المصحفي فقال له المنصور ما سكوتك اليس في هذا الجيش الف مقاتل بطل فقال فعجب المنه
المنصور ثم عطف عليه فقال فيهم خمسة مائة من الابطال المعروفين قال فعشيه المنصور واستصغ

به وام

به وام به فاخرج على افبح صفة **فلما** توسط بلاد المشركين اجتمعت النصارى وتصاف
الجمعان فبرز علج منهم شاك في السلاح يكر ويفر وينادي هل من مبارز فبرز له رجل من المسلمين
فتجاولا ساعة فقتله العلج وفرح المشركون وطمعوا واضطرب لها المسلمون
ثم جعل العلج يمرح بين الصفين ويقول هل من مبارز اثنين بواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا
ساعة فقتله العلج وجعل يكر ويجول وينادي هل من مبارز ثلاثة بواحد فبرز اليه رجل من المسلمين
فقتله العلج وذل المسلمون وكادت ان تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها غير ابن المصحفي فبعث
اليه فحضر فقال له المنصور الا ترى ما فعل هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال فما تبغي قال ما ترى
قال قد اقبلت فيه قال وما تريد قال اكفني المسلمين شره قال نعم الان ثم قصد الى رجال يعرفهم
فاستقبله رجل يعرفه من اهل الثغور على فرس قد بشر او الكها هزال وهو يحمل قربة
ماء بين يديه على العرفين والرجل في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصحفي الا ترى ما
يفعل هذا العلج منذ اليوم قال فقد رايته فما تريد منه قال اريد راسه الان قال نعم ان شاء
الله فحمل القربة الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة فما راع الناس الا المسلم
جاء اليهم يركض ويبرق بما هنالك واذا الرجل يحمل راس العلج فالقى الراس بين يدي المنصور
وقال له عن هذا او شبهه اخبرتك ليس في عسكرك منه الف ولا خمس مائة ولا مائة ولا خمسون
ولا عشرون ولا عشرة فرد ابن المصحفي الوزير له واكرمه ووصله فينبغي لك **فانبني**
ان تصنع للشجعان السهم المزيد والدرجة العلية **القاعدة الثانية**
وهي فاعرف العدل اعلم يا بني ان الملك بناء والعدل اساسه فاذا قوي الاساس دام البناء
وان ضعف الاساس انهار البناء فلا سلطان الا بجيش ولا جيش الا بمال ولا مال الا من جباية
ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا بالعدل فالعدل اساس ومن استعمل العدل حفظ ملكه ومن
استعمل الظلم عجل هلكه **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول
عن رعيته **وقال** ايضا صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى انه قال يا عبادي
اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم
ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني
اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون
بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري
فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم
قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل واحد مسالته ما نقص الا كما ينقص المخيط اذا ادخل في
البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد
غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رويناه ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر عن النبي صلى الله
عليه وسلم وكان ابو ادريس اذا حدث به جثى على ركبتيه **وقال علي** رضي الله **عنه**

إمام عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من
فتنة تدوم فيا بني من عدل زاد في قدره ومن ظلم نقص من عمره وفي إشاعة العدل قوة
الغلب ورضا الرب وتطييب النفس وزوال الغيظ وأمان من العدو ولما دخل الهرمزان على عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه مستلقيا بالمسجد متوسدا المطهرة بين يديه فقال له عدلت
فأمنت فنمت وكتب إلى عمر بن عبد العزيز عامله بحمص أن مدينة حمص قد تهدمت واحتا
جت إلى الإصلاح فكتب إليه عمر بن عبد العزيز حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم والسلام
فإذا انظر يا بني أن العدل أس الدولة وإقامة الملة ورأس السياسة وسر الرياسة
فالملك بالنسبة إليه على أربعة أقسام **القسم الأول** أن يكون الملك عدلا في نفسه
عدلا في رعيته وأهله وخاصته اعلم يا بني أنه ينبغي لك أن تكون عدلا في نفسك عدلا
في رعيتك جاريا معهم على الطريقة المستوية موافقا للأحكام الشرعية مستقيما
في أحوالك مرضيا في أقوالك وأفعالك فيروى أن معاوية رحمه الله تعالى قال
لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له كان عالما برعيته
عادلا في أقضيته عاريا من الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا
للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي ولا جاف للغريب وكعمر بن عبد العزيز الذي
ملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وقد تعذر ذلك فينبغي لك يا بني أن تسير هذه
السيرة وتتبع هذه الآثار وينبغي أن يكون الملك عادلا في نفسه وفي خاصته وأقاربه
دون رعيته طارحا همه إلى الراحة غافلا عن أمور الدنيا لا يبحث عن عماله المفسدين لأعماله ولا
ينظر في مظالم رعيته ويرى أن عماله على منهاجه وطريقته ويحسن فيهم ظنه ويظن أنهم
لا يخرجون عما حده وسنه ويرى أن ذلك من عدله ومما يعد من فضله وجميل فعله فيروى
أن ملكا من الملوك كان عادلا في نفسه وفي خاصته يتشاغل بالعبادة ويأخذ في الانقطاع
والزهادة فحمل الناس على العدل وظن أنهم مجبولون على الفضل ولا يصل إليه إلا علم بلده دون
البلاد البعيدة التي تحت يده فضاعت الرعية لعبادته ونهض كل من تحت إيالته حتى خربت
بلاده واختفى عماله ووفوده فكان سبب خراب ملكه وذهابه **القسم**
الثالث أن يكون الملك جاريا مع الرعية على العوائد المألوفة والأحوال المعروفة
من غير خرق ولا إحداث زيادة مقبلا على أمور الربوبية وإن كان مفرطا في بعض الأمور
الأخروية فهذا يا بني عدله متوسط وهذا كثير في ملوك زمننا هذا وإن
كان ضد الأول وهو أن يكون جائرا على غير الأمور الشرعية والعادلة وهو خلاف وعون
في عونه يجور على رعيته ويعاملهم بخبث نيته فيأخذ بالجناية غير الجاني ويتجه في المظالم
من غير توان ويغلب شهوته على عقله وجوره على عدله وينهمك في لذاته ويبالغ في
شهواته فهذا يا بني ملك لا يراعي نفسه ولا في رعيته ولا أحسن في

ظاهره

ظاهره ولا في باطنه ومثل هذا يكون ملكه سريع الخراب وهلكه وشيك الاقتراب وهذا
يا بني مثل الوليد بن عبد الملك قال كان عمر بن عبد العزيز يذكر الظلمة فيقول الوليد بالشام و
والحجاج بالعراق وقرة بن شريك بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز ومحمد بن يوسف باليمن امتلأت الأرض
جورا فلما ولي الوليد قال عبد الرحمن بن محمد الأنصاري رأيت أبيات النبي صلى الله عليه وسلم
وعليها المسوح السود فلما قدم الوليد بن عبد الملك المدينة نظر إلى أبيات النبي عليه السلام
فقال ما بال أبيات النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها الجنب والحائض اهدموها فقال حبيب
ابن عبد الله بن الزبير عمر الرواية من آيات الله تعالى محقها فبلغت كلمته إليه فكتب إلى خليفته
على المدينة أن اضرب حبيبا على باب المسجد واضربه مائة سوط واصبب عليه البرد على باب المسجد
ينزع بالبكرة ويصب في الحوض وأخرجه واضربه مائة سوط واصبب عليه البرد وكان يوما شديد البرد
فمات وكان الوليد الهنار مخلوع العذار لا يرعوي لعذل عاذل ولا يسمع النصح لقول قائل حتى
انتزع ملكه وتبدد سلكه فهذا يا بني لم يصلح دنيا ولا أخرى ولا ظفر بطائل مما
تمناه **القاعدة الرابعة** وهي قاعدة جمع المال والجيش وإنما جعلنا
الجيش والمال معا قسيما واحدا لأن كل واحد منهما متوقف على صاحبه ومطلوب لمطلبه فلا
مال إلا بجيش ولا جيش إلا بمال وأصلهما العدل لأن العدل يجمع المال والمال يجعل الجيش والجيش
يحوط الرعية فإذا ثبت هذا فاعلم يا بني أن الملك بالنسبة إلى ذلك على
أربعة أقسام **القسم الأول** الملك والجيش والمال بقدر ما تحت إيالته من البلاد وماله
من طاقة اليد والأعداد لا أقل من ذلك ولا أكثر ولا أصغر اعلم يا بني أنه ينبغي لك أن تتخذ
جيشا بقدر ما تحكم به بلادك ولا يحملك الحرص على أن تكثر أعدادك فيكثر جيشك فوق ما يكفيك
من المال ولا يكون معه طائلا فيتعذر عليك الحال لأنك إذا ضعف مالك كثر جيشك بأطماعك و
وتنكر عيشك وطار عليك جيشك أعوانك وأصبحت لقلة ذات يدك مهانا فيرعوك
طلب الجيش إلى طلب الرعية وإذا طلب الرعية فسد ملكك بالكلية وإن كنت قليل الجيش كثير
المال كان ملكك ظاهر الاختلال فإنه ربما تدعوك الضرورة وحوادث من أعدائك كثيرة
منها أن يريد عدوك الاستيلاء على بلادك ويحتوي لقلة أجنادك فيأخذ الأمر على حين
غفلة ويعز بك العدو دفعة ولا تجد مهلة فتلتمس ضم الجيش بما عندك من المال على تجزئة
في تغيير الحال ولا من يأخذ منك ولا يبصر بنفسه واعلم يا بني أنه ينبغي لك
أن لا تتبع مالك إلا في حقه ولا تخرجه إلا في مستحقه ولا تعطيه إلا فيما يصلح عنك
ويجلب المنفعة إليك ولا تسرف فيه في لذات دنياك ولا في محارم لا تسلك إلى هواك
كالخروج عن الحد في الزينة واللباس والبناء المفرط الخارج عن القياس فإن خير الأمور
أوسطها وأحسنها وأوفقها وأضبطها فيا بني ينبغي لك أن لا تعطي لغير فائدة
فإن تلك سجية فاسد ولا تعطي العالم ما يستحق وطاقته ولا أمانة من يستحق العقاب فعلت

ذلك كان طلبا ودثرها يا بني إياك أن تحملك شهوة الشكر على بذل المال فيفضي
بك ذلك إلى الإقلال فإنه إذا نفد المال نفد الشكر يا بني إياك أن تنفق ما تجمعه من المال
تمام كيف ولا أن تقل ولا تتساهل بإخراجه وإن سهل عليك جمعه من خراجه فرب مجتمعه من
نقطة ورب مستنبع بحر بالنزح فإن التبذير يؤدي إلى التقتير وإن الإمساك يؤدي إلى الإهلاك
فليكن يا بني مالك موفرا بالجيش ومقدار ما يحتاج إليه بقدر حاجتك في الزمان اعتدالا من غير عوز
ولا إقتار مثل أن يكون قحط في البلاد أو ثوران فتنة تؤذن بالفساد فتجد ما تحتاج إليه من
المال يقوي جيشك ويعينه عليه فإن كانت الفتنة فيضعف عليك العدو وتسكنه إذا ظهر
العدو وإن كان القحط استعنت به على الرعية وأنفقته في حقوق الرعية فلا تأثير في مملكتك
فتنة ولا قحط ومحنة ولا يبلغ الرعية حيف ولا ضغط استغناء بمالك وتدبيرك وسياستك
وضبط أمورك وقدر ذلك ترتيب خدمك وجيشك في قاعدة السياسة **فلنذكر** أن جمع
الجيش وكيفيته وحصره ولميته **يا بني** ينبغي لك أن تتشاغل بجمع أجنادك وتو
فير أجنادك وأعدادك وترتيب خدمك وقوادك فتعرفهم في زمن الرخاء لتجدهم عند الشدة
والبلاء **يا بني** عليك باستجلاب قلوب الأجناد من قبيلتك ومشاركتهم في
كثيرك وقليلك واصطنعهم بالاختيار ولا تغلظ عليهم فيغضبوا لك الاستشارة واجعلهم
عند الاحتياج الجناح وعامل من أظهر لك العداوة منهم بإظهار المودة وتعاهدهم حتى يرجعوا
إلى حزبك وإنك تبلغ منهم بحسن المحاولة ما لا تبلغ منه بقبح المعاملة وتنال بالسيا
سة واللطف ما لا تدركه بالغلظة والعنف فإن اصطناع الأعداء مكيدة واستجلابهم
بالخير ضرورة وكيد **يا بني** ينبغي لك أن تدخل الدواخل بين بعض أعدائك لتنهدم
بذلك جانب أعدائك ولتوقع الشتات في قلوبهم وتصرفهم عن مطلوبهم فإنك إذا أدخلت
بينهم الدواخل وجعلت أسافلهم وأعاليهم هم أسافل فتظهر من جوانبهم وتحسم عواقبك
بسوء عواقبهم وتأمن من غوائلهم وشواغلهم فيكون كل واحد يبغي زمن صاحبه و
يطلب سقطة يوقعها في جانبه فيعلمك بما انطوت عليه أسراره وما تحدث به صاحبه
أضماره فإذا تشاغل بعضهم ببعض وتشاجروا في رفع وخفض رجعوا إلى صرافتك واعتل
واصطفاك وقد خلوا في حزب أوليائك ومالوا إلى جانبك وإن لم يكونوا من أصحابك كان كل واحد
منهم يحذر من صاحبه ويخشى من سوء عواقبه **فهذا يا بني** مما يوجب ضم الجيش
بعضه إلى بعض وسلامه من الاختلاف والنقص **يا بني** ينبغي لك أن تكون في سنة
تدبير جيشك وتدبير أمرك وترتيبه شيئا بعد شيء وذلك بقدر تنمية المال وتكثيره
وضعفه وتوفيره وعلى قدر الاستطاعة والسياسة والحركات والرياسة لأن زيادة المال
والجيش للملك تتوجه بملكه وزيادة في نظم سلكه فيعظم قدرك في أعين أوليائك وتقطع
رهبة في قلوب أعدائك وقل أعوانك ونقص ملكك وتلاشى سلطانك ويكون ترتيب

الجيش

الجيش في العطاء على قدر بينانهم وشجاعتهم وسابقتهم للخدمة واصطناعاتهم ومحبتهم وانقيا
دهم والعلم واجتهادهم وهؤلاء أهل الطاعة والمحبة في البلاد وهم القبيل والجماعة بل الجماعة
ذات الأجناد ولا انظار ما عدا مماليكك والمنقطعين إليك المنتصبين في الخدمة بين يديك فتلقى
جراياتهم في المراتب مشاهرة وإن رفع من بيت المال مياومة جريا على توالي الشهور ويكون عند
ذي جراياتهم على قدر طبقاتهم فأصحاب البلاد يجبونها في أوقات معلومة على حسب ما هي
عليهم مقسومة وذلك بقدر ما يغنيهم أولادهم ويصلح أهلهم وأولادهم وخيلهم وعددهم ثم تتفقد
أموالهم جهد استطاعتك ليتفرغوا على خدمتك وكلما عنّ لك من خلل في جيشه أمر عدوك
عليه ومن تغتاظ به ولا يجد العدو سبيلا إليه وبالإضاعة والتفريط فسد كثير من الملوك وخرجوا
عن الملك والمملكة كما تعرف بني أمية وبني العباس ولمتونة والموحدين والشيعة والعبيد
يين لما أهملوا جيوشهم بالتفريط وسوء التدبير وركنوا إلى اللذات والتبذير **القسم**
الثاني أن يكون الملك يشتغل بجمع المال ويفرط في الجيش فهذا حاله غير محمود وفعله عليه
مردود فإنه ربما دهمه عدو أقوى منه جيوشا أن يطلبه ولا ينفعه عنه وإن كان أضعف منه
في المال فهو أشد عليه في القتال فإن العدو يستعين عليك بقوته وكثرة جيشه ونشرته فتأخذ
بلادك وتنال الحرام وبلاده فتكون ذلك سبب خرابه وذلته واكتئابه لأنه يطلب لم يعط
المال فلا يجري في نفس الحال فتدخل عليه الداهية من هنالك فلا يصل بالمن وإن أعطى المال فإنه
لا يقبل منه ولا ينفعه ولا ترد عنه بأسه ولا يدفعه فإن الناس تعودوا منه قلة العطاء والشدة
والرخاء وإن همته مصروفة بجمع الأموال مجبولة على قلة الأبدال فمثل هذا الملك كمثل التاجر
البخيل المجبول على جمع الكداح لغيره ولده الجامع لغيره ما ادخر من عروة **فروي يا بني**
في أخبار بعض الملوك أنه كان له وزيران أحدهما يشير عليه بجمع الأموال والآخر يشير عليه
باصطناع الأبطال فقال أحدهما أن الرجال وإن نفعوا عنك اليوم فإنك بمالك تجمع كل
القوم فإنه متى احتجت إلى الرجال وعرضت عليهم الأموال جاؤوك من كل مكان وقضيت الغرض
بهم في أي مهم كان فقال له الملك ألهذا من شاهد فقال نعم هل يحضر لنا الساعة ذبابة فقال
لا فقال فأمر لنا بإحضار جفنة عسل فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار
السلطان بعض أصحابه فنهاه عن ذلك وقال الرأي الذي يبلغك غاية آمالك أن تصطنع الرجال
وتعد الأبطال فليلبوك في كل وقت أردتهم بعضهم ولا إذا أهملتهم ثم تطلبهم فيبطئون فقال هل
لهذا من دليل قال نعم إذا أمسينا أخبرك وأبرهن لك ما يبرز كذا فلما أظلم الليل قال الملك هات
الجفنة من العسل فأحضرت فلم تحضر ذبابة واحدة ولا ظهرت على الجفنة قليل فاعرفنا الرجال
والخيل فينبغي لك أن لا تفرط في الجيش والمال كما ذكرنا فإن الجيش والمال أمران متلازمان
إن ضاع أحدهما ضاع الآخر **وقد سمعنا** عن بعض ملوك مصر اسمه بلدربور كان يجمع الأموال
ولا يعبأ بالرجال فقال له أصحابه إن أمر الجيوش والسلاح يتواعد وكأنه قد قدم عليك فاستعد

المجبول

كافرز

الرجال وانعق الاموال ولو ما الى صناديق موضوعة عنده وقال الرجال في الصناديق مع امير الجيوش
ذلك الملك في مصر فقتله ولم تنفعه الصناديق ولا الملك وكان رايه راي من اسد لان الرجال لا يقيمهم
ويجمعهم عند حاجته انما يكون احيانا او ثم ذمة ملعقين ليس فيهم عناد لا عندهم دفاع ولا انما
رسة لنفرها **وكذلك** تعول السلطان ان تاشعر حين مرض في جيشه عند ما هم في بني مرجس
مصدر يدعي العطاء فاعطاه واستعز بالحرم والفيل من لا انصار حتى كاد العدو ان يدخل عليه
طلب لم يعط المال فلم يلتفت اليه احد فلم يجد من ياخذ المال والا حاله الى ذلك المال دخلت
عليه البلد عنوة من ابعد العز والعزة **فاياك** يا بني ان تفرط في الجيش اعتمادا على المال
فان ذلك معيب عند كل احد **القسم الثالث** ان يكون الملك يشتغل بجمع
الجيش ويفرط في المال وهذا ايضا غير محمود العقلاء **اعلم** يا بني انه لا يقبل لك عذر
في قلة العطاء ولا حجة لك في ذلك عند الاولياء لانك ربما دهمك امر عدوك موازن لك فيكون
في الجيش مثلك واقوى في المال من يريد ان يدخل عليك بعض احلال فيعطي المال لجيشه ويخدع
جيشك بماله وغشه ومثل هذا امثل من قوي عدوه عليه وجلب هلاكه اليه وهذا مثل مصعب
ابن الزبير مع عبد الملك بن مروان **وكيفية** ذلك ان المصعب لما التقى مع عبد الملك
ابن مروان كان عبد الملك كاتب اصحاب مصعب وبعث اليهم اموالا ووعدهم زمانا ان غدروا
بالمصعب وكان في جملتهم ابن الاشتر وهو يعد من كتابة العراق ان غدر بالمصعب **وقال** له ابراهيم
ما كتب لي عبد الملك حتى كتب لجميع اصحابك وما هو في احد افضل مما في فهل اطلعك
احد منهم على ذلك فقال لا فقال ارسل اليهم واضرب اعناقهم فانهم كتموا عنك حتى اكتبه
لا وقد عزموا على غدرك فقال له مصعب لا افعل هذا امر غير ان يصح عندي قال فارسل فيهم
رفعهم ثلاثا دار الاثنا صمنا احد منهم من عشائرهم يا ابا النعمان رحم الله ابا بحر يعني الاحنف
ابن قيس انه كان يحذرني غدر اهل العراق ثم ان عبد الملك زحف الى المصعب والتقيا بالجاثليق
فقتل ابراهيم فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي احمل عليهم ابا عبد الله في خيلك فقال لا ارى
ذلك قال ولم قال لاني اكره ان يقتل من يحج في غير شيء ثم قال لحجار بن ابجر ابا اسيد قدم رايتك
قال اتقدم الى هؤلاء او قال ما ينافح اليه والله اكثر لو مات ثم قال لمحمد بن عبد الرحمن تقدم قال
ما ارى احدا فعل ذلك فافعله فقال مصعب يا ابراهيم ولا ابراهيم لي اليوم يعني ابراهيم
ابن الاشتر لما كان اشار اليه بما اشار ولم يسمع منه وعلم انه كان ناصحا له من بينهم ثم قال
لابنه عيسى بن مصعب الحق بعمك بمكة واخبره بما صنع بي اهل العراق ودعني يا بني مقتول
فقال والله لا اتحدث في قريش انني اسلمتك للقتل ابدا فقال تقدم يا بني حتى يراك احتسبك
فاني كنت ارى منك الكرم وانت في مهدك فتقدم حتى قتل فجفل اهل العراق وخذلوه
وطاروا مع عبد الملك وبقي مصعب في نفر ذمة قليلة وجاء عبيد الله بن زياد بن ظبيان
وكان من اصحابه فقال له ابن الناس يا امير المومنين غدروا بك بلدا اعزكم يا اهل العراق فوقع

يوم عبيد الله ليغربه فبادره مصعب وضربه على البيضة فنشب السيف في البيضة فجاء غلام
لعبيد الله فضرب مصعبا فقتله ثم جاء عبيد الله براسه لعبد الملك بن مروان فلما نظر عبد
الملك لراس مصعب خر ساجدا فقال عبيد الله بن ظبيان ما ندمت على شيء ندمي على عبد
الملك حين خر ساجدا اذ لم اكن اضرب عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد فانظر
يا بني في مالك فيؤديك ذلك الى اختلال حالك وتخونك اعوانك ولوازم اعوانك كما فعل
اهل العراق بالمصعب المذكور حين اسلموه وغدروا عنه **القسم الرابع** ضد الاول وهو
ان يكون الملك يفرط في الجيش والمال ولا نظر في همته في ملكه الا اصلاح حال وهذا يا بني
في الملوك مرفوض معكوس لان امره منقوص لانه اشتغل بالاهواء واللذات والمباني والزخارف
والنزهات واللهو واللعب والعبث والطرب والتنافس للغيار في الالات والاستغراق في كل الحالات
فهذا يا بني تملك اقبح ملكه بيده واعان عدوه على اخذه وفكره **فيا بني** اعلم ان
من يكون على هذا الحال لا يجد له عاقبة ثنا ولا يدوم له سلطان ولا يتم له اوطان لسوء
فعله وتفريطه في جيشه وماله واستغراقه في لذاته واشتغاله وهذا سبب خراب بني
امية واستيلاء بني العباس عليهم بالكلية **واعلم** يا بني انه ما زال امر بني امية مستقيما
حتى افضى الى ابنائهم المترفين وكانت همتهم من اعظم همم الملوك وجلالة اقدارهم
من قصدوا الشهوات وايثار اللذات والدخول في سخط الله سبحانه وسخطه جهلا منهم
باستدراج الامر وامنا من مكره فسلبهم الله العز وازال عنهم النعمة قال عبد الملك بن
مروان هذا هو المعروف بمروان الحمار وهو اخو ملوك بني امية لما زال ملكنا وهربنا الى ارض
النوبة فيمن اتبعني من اصحابي فقدم ملك النوبة فجاء فقعد على الارض ولم يقعد
على فراش اعددته له فقلت له لم لا تقعد على ثيابنا فقال لاني ملك وحق
على كل ملك ان يتواضع لله سبحانه اذا رفعه الله ثم قال لم تشربون الخمور وهي محرمة
عليكم ولم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم ولم تلبسون الحرير والديباج وتستعملون
الذهب والفضة وذلك محرم عليكم فقلت له اما ذلك فعل انصارنا بقوم من الاعلاج دخلوا
في ديننا ولنا عبيد واتباع فعلموا ذلك على كره منا قال فاطرق مليا يقلب كفيه وينكت
في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم وطغيتم فيما ملكتم
ملككم فسلبكم الله العز بذنوبكم والنقمة لله فيكم نعمتكم نبلغ غايتها واخاف ان يحل
بكم العذاب وانتم ببلدي فيصيبني معكم وانما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجتم اليه
وارتحلوا عن بلدي **فيا بني** الزم التقوى وتجنب اللهو والهوى ولا تغتر بالدنيا
وكن حازما في جيشك ومالك نبلغ جميع امالك ان شاء الله تعالى

الباب الثالث في الاوصاف المحمودة

التي هي نظام الملك وجماله وبهجته
وكماله وهي قواعد اربعة الشجاعة والكرم والعفو والحلم وهذه عادات وطبايع بضعها الله

سبحانه على من يشاء من عباده **القاعدة الاولى** وهي الشجاعة اعلم يا بني ان الشجاعة
وصف محمود وبها تنتظم الوجود وخصوصا في الملوك فانها لما لزم لهم كالوسائط في السلوك
واصل الشجاعة الصبر في المواقف وربط الجاش عند المخاوف وراسها الحذر والتوقي وسيا
سنها الممارسة عند التقى فيا بني اذا وضعت قنا لك في موضعه وحررت ما ينبغي من
مهم كنت شجاعا كاملا في الحروب شهما باسلا وان تركت الحذر في حيز القتال وتوكلت
على شجاعتك في ملاقات الابطال والمبارزة بنفسك للاهوال كانت شجاعتك هوجا وقواء
حربك عوجا **واعلم** يا بني اذا كان الملك شجاعا كان منصورا مطاعا ترهبه الاعداء
وتطير به الاولياء تعتز به جيشه في مواقع الحروب وتخاف سطوته الطالب والمطلوب
والشجاعة يا بني مملكة للنفائس محبوبة في كل المواطن ومن الشجاعة بالرعب منصور
وفي زمانه معظم مذكور **وينبغي** لك يا بني وان كنت شجاعا ان تحذر المواقع التي تخاف
فيها المصارع **واعلم** بان الشجاعة والكرم اخوان ودليلهما ان الشجاع يجود بنفسه فاحرى
ان يجود بماله والبخيل يبخل بماله فكيف يجود بنفسه في حاله **والشجاعة** تنقسم على اربعة
اقسام القسم الاول وهي الشجاعة التي يصحبها الراي **اعلم** يا بني انه ينبغي لك ان
تكون حاضر الذهن عند الملاقات رابط الجاش عند تلاقي الساعات لان حزمك الزمام
العواصف ولان ذهنك القواصف والحروب على اختلاف انواعها ومعظمات ايقاعها وقد
قدمنا انه لا ينبغي لك ان تخاطر بنفسك ولو كنت اشجع ابناء جنسك فان المخاطرة غير محمودة
في طلب الملك والسلطان فانها محمودة كل اوان **فيا بني** اذا اقتحمت القتال واختلط
الابطال بالابطال فغايتك ان تكون حاميا على نفسك طاهرا ثابتا في جيشك ناظرا على شمال
فانك انت هو قلب جيشك فلتزم به الثبات ولا تخرج الى جهة من الجهات ولتنشر شمائلك
الانجاد والجهات والمقاتلين والحماة وان انكسر احد الجانبين من جيشك فلا تهتم به ولا
تشتغل بشيء فان انكسار الجانبين مع ثبات القلب لا يضر والصبر في مثل هذا على عليك
يهم لانه اذا كانت رايتك القلب تخفق وطبوله تزدهر كان ذلك حصنا للجانبين والمانا
للمنكسر من الجيش وارهب للطمع بالعدو وعند خروج الجانبين يا بني اذا الافيت عدوك
في الحرب فاجعل رايتك امامك ونظرك امامك ولا تلتفت يمينا ولا شمالا الا جاز الالتفات
يورث هيبا لانك ربما رايت في احد الجانبين انكسارا فيتشوش خاطرك ويدعوك الشره
ابتدارا فتميل اليهم بمن معك من العساكر فيكون ذلك سبب فساد في البلاطس (?)
والظاهر للرصيا انك سبب الفساد وخروج الاقتصاد لانه اذا راى جيشك ملت
لاحد الجهتين حسبوا انك منهزم ودورهم مع انك لا تعرف عن جبر الجانب الذي انهزم
والحكم تلتم بما دخل الرعب قلوبهم وبصرا التذ مرج اسلوبهم فالذي يجب عليك ان تجمع
خاطرك وتثبت في عدوك ناظرك مصمما اليه عاملا في اللقاء عليه **فيا بني**

لا تغفل

لا تغفل شجاعتك من الراي تنجح مطالبك في كل سعي ويرجى لك الظفر والنصر والاستيلاء
على العدو والظفر **فيا بني** رتب جيشك يوم الحرب واللقاء فان ترتيبه ازهى اهابة (?)
للاعداء وهيبة تهيبا احسن الانتظام مضبوط الانقسام على اربعة اقسام ميمنة من جملة
انجادك وميسرة من كماة اجوادك وتعزمه (?) من ابطال فرسانك من اسود شجعانك وتعزم (?)
على كل واحد من الميمنة والميسرة فاجعل اميرا من ابطال غاما (?) فاما التعزمة فتعزم منهم
فرسانا ممن يريد يكونون نحو العدو واذا اقبل اليك من انجاد قبائلك الشجعان واهل
دخلتك العارفين بالضراب والطعان وتعزم عليهم فاجعلهم من ابطال الخائضين نحو الاهوال
واجعلهم على قسمين قسم يلي الميمنة بين يديها وقسم يلي الميسرة بين يديها ويكون قتال
كل قسم من هذا القسمين الذي في الجهتين مستمر ثم خلفه من الميمنة والميسرة فتكون
الراجعة باولئك الحماة منتظمة **واما الساقة** وهي قلب جيشك **فاعلم** يا بني ان الساقة
توازي الميمنة والميسرة فان القلب يوقف الجيش ويشره ويبصر العدو ويرده فلا يكون فيه
الا اهل الشجاعة والنجدة والكفاية والنشاة من كل بطل مقاتل وشهم في الحروب باسل تحام
الابطال وتتقيه اسود الفلاة (?) ثم هذه الساقة وتجعل فيها من رعاة خاصتك الانجاد
وحماتك الاسود الاوداد فاجعل يمينها ويسارها ويضبطانها ويحيطانها في اقبالها
وادبارها وايرادها واصدارها لتبقى الساقة موفورة وحماتها مضبوطة محصورة بحيث لا
لا يقبل احد من الساقة ولا يختل ولا يتزحزح ولا يتحول ولو انكسرت الميمنة والميسرة فان
الساقة تثبت معه على حالها منعقدة حماتها وابطالها وليكن تشوفك الى عدوك غير
ملتفت كما قلنا ولا ناظر الى شيء سواه وتوكل في جميع امورك على الله تعالى **فيا بني**
وينبغي لك ان تتخذ فرسانا بين يديك تثق بهم اذا اقبل العدو اليك فيكون فيواجهون
عدوك وساقته اذا عزمت على ملاقاته لانك عند التقاء الجمعان وتزاحم الصفين تلتبس
عليك جهة العدو ولا تدري العدو من الصديق لانه اذا اختلط الابطال بالابطال وارتفع
القتام ارتفاع الاول والتفت الصفوف ورجعت الجموع فهنالك يا بني تحتاج الى فرسان
الاقدام فرسان الاهتدا يعلمونك بجهة عدوك فتقصد متوجها اليه عاملا بانصارك
عليه فان التبس على الابطال الذين بين يديك جهة العدو ولا يدرون العدو من الاذنو (?)
ولا اين تقصد اليه ولا من اي جهة تحمل عليه من اجل اختلاط الناس واعتمامهم واقدامهم
ثم انكشف غيهب العجاج وظهرت من الجانبين اسود الصباح فتبين لك العدو اماما عن
يمينك او ما عن شمالك غير مواجه لك في اقبالك فينبغي لك ان تصبر بين رويدا فلعلة
وتعاود انعطافك مواجهة الى ان تقصد لقاء ولكن ذلك بين توقف وامهال وتحيت (?)
لا يشعر بك جيشك في الاشتغال لان في ذلك فائدة عظيمة بالنسبة لك عما يرها وهي
ان ترى عدوك مع ثبوت ساقتك ووجودها وعدم تزحزحها وثبورها فيما يشتغل به

عدوك بسرعة البكرى بين الهجوم عليك فيكون ذلك لسبب فساده وانهزامه وفقره وان
غاية ان انفصال الجيوش مؤذن بالانهزام وفوت المطلوب لان الميمنة والميسرة تابع للقلب
وعليها المعول في الحرب فاذا رءا اهل ميمنة الجيش وميسرته ان العلامات انفصلت والساقة
تحولت انفصلت الميمنة والميسرة لانفصال القلب الذي هو مركز مدار الحرب فاذا رءا المقاتلون
اعلامهم انفصلت وساقتهم وانفشلوا وانخذلوا وطلبوا الفرار ليلا يقتلوا وظنوا ان ملكهم
فر انهزم وان جمعهم فر انخرم فيبقى من وجه المعترك وتقل النجدة ومعظم الحركة فيختل السلك
فيه باختلالهم ويفشل الجيش لانفشالهم وفي ذلك من الفساد ما لا يخفى على من عرف مواقعه
الطراد وهكذا انفعلوا في الحصر الذي عند لغايته للعنش الطاغية فكانت عليه العبرة
الناجية وكيفية ذلك ان السلطان ابا الحسن لما احرز تلمسان واستولى على هذه
الاوطان وملك الغرب باطرافه واكنافه وبلغ منها الغاية واستنفر اهل الجواز الى
دار الغزو يا بني بان يكون للاسلام حاميا بعدان فسد ملك الطاغية انفصالي واحتزم ماكان
لديه من الهمم والسواعد ونفر في الجواز من غير توان بجموع ملاعو من الاعداد ومالديه
من الاحتشاد والامداد ونزل بطاهر الجزيرة الخضراء وارهب بجموع الطاغية وجميع الا
عداء وذلك ينيف على سبعين الف من الابطال والاجناد غير الحماة والرماة والرجال
زحف لبلاد بعثها جاء معه من التنظيم والطرب … لها مجام القاول وتشامو بيوم هنا
لدخلها لاكنه امسك عن دخولها لحصن المناخ … ابنه عليها من الشداد والقلاح
وافاق عليها من الوان اهل العنش الطاغية لم معه من الكثرة الباغية ولما اتى النصرانى
للغابه لم معه من حزب الشرك واول … فصار ابو الحسن اليه لما رءا انه عدا عليه فلما
تصافت الصفوف واقبلت نشاة الحرب للوجوف والتحم القتال وتعرفت الابطال واشتد الحرب
وتوالى الطعن والضرب نظر ابو الحسن الى الطاغية متمرع مواجهته منكبا على جبهته بكلية
جانبا من جوانبه ليجد فرصة في مناكبه فاشتغل ابو الحسن اليه لما فدر من المحز عليه دفعه
فراه المقاتلون فرانفصل بعلاماته وسياقاته بين العنش وملافاته فظنوا انه انهزم
وان قلب عسكره فرانهزم فانكسرت الميمنة والميسرة وكانت عليه تلك الهزيمة المنكرة
انكسر لها الاسلام ووجدت لها عبرة الاصنام وذلك بسبب انفصاله وقلة ثباته في
قلبه وابطاله **فاياك يا بني** ان تشتغل عن الملافات في القتال فان في ذلك
سبب الانفصال وقد اخبرتك بهذا المثال **فافهم يا بني** واذا فرت من عدوك فلا تعجل
عليه بالجملة ولتاخذ عادتك بالتأني والمهلة فانه لابد لكل دفعة من رجعة ولكل
كر من رجعة لكن انك جاءك الى عدوك رجعا فانك تذهب خوفا ورجفا فان ابطالك
تقاتل بين يديك مغتمرة في قتاله عليك فان انهزم العدو وفر امامك وفلت من هزيمته
مرامك فلتبادر من عدوك اليه ولا تتمهل في مسيرك عليه ولتكن محلتك خلفك واثقالك

وانسابك

وانسابك واموالك ولتصل في اثره مسيرك في ليلك ونهارك حتى تنال من عدوك غاية
اختيارك فانك ان بادرته اخذت اثقاله وحويت اثقاله وقتلت حماته وابطاله وربما فعل
بالعدو جواده وخانه اجواده او كبا حصانه او عثر او دهش وتعثر فتظفر بعدوك من غير تعب
طلب ولا تكن تعبا وان نجا العدو من اسمه في بغيتهم وطل الى امنه وحصنه الذي عول عليه
لانه لا يصل الا بجهد وضعف وتزلزل ورعب متقطعا عن حماته منفردا من انصاره ولا ننه
فيسهل لك اخذه من غير تطويل وتفنى لك الاستيلاء عليه من غير تعجيل **فافهم يا بني**
فان كان لم عليه الا القليل ونعي فخيسك من بين يديك ولا تنخى لد خير ولا عودة ولا عطفه
ولا نجدة ولم يبق عليك احد من حماتك ولا من قوادك ولا من انصارك ولا اجنادك فحينئذ تحتاج
الى جوادك الذي اعددته والى وزيرك الذي نخبته واستحسنته فتستعد بوزيرك المخصوص بتدبير
برك المشاور في قليلك وكثيرك فتفصر معه الى معقلك الذي اعددته لحصارك واستخلصته
لحالك ولانصارك فاذا استقررت في حصنك الذي هو موضع امنك ومنشأ سلطانك وقاعدة
بنيانك فتحتال على عدوك بانواع الحيل وضروب المكايد التي تبلغ بها الامل وتاخذ في مدافعته
عن حصارك ولا تغفل عنه في ليلك ولا نهارك ولا تكل امر معقلك الى احد من خدامك ولتباشره
في كل اياك فاذا كنت يا بني بهذه المثابة في اجتهاد فلا يتصل منك العدو بمراد
القسم الثاني من الشجاعة ما يصحبه العقل دون الراي وهو ان
يكون الملك عاقلا في نفسه يقظا نابه احواله دهقانا غير طالب فتنة ولا جالب محنة
يشتغل بذاته ويغفل عن رعيته ولا ينظر في امر جنده ويستشار من دخل في عهده ويرى انه
من زهده ولا يبصر احوال الاعداء ولا يتطلع بذل الاعتناء حتى اذا نزل به امر او نشاه من عدوه
مكر اظهر حينئذ شجاعته وابدا براعته وذلك حين لا ينفعه اظهارها ولا يستتم له نارها ولا
يغنيه استصغارها **فهذه يا بني** شجاعة غير محمودة ومنقلة النجاية منه
معدودة لانها شجاعة عن الراي قاصرة فهي مذمومة بالنسبة الى الدنيا والاخرة **القسم
الثالث** ان تكون شجاعة غير مفرطة بل بين ذلك متوسطة غير انها يصاحبها
الراي المصيب ويشفع بها مع الراي في الموقف الصعب **فهذه يا بني** شجاعة
محمودة ذات جملة النسب وان كان الذي قبله اشجع منه وان كان الذي قبله اشجع منه فهما
يقصران عنه فان الشجاعة المتوسطة اذا صحبها الراي لا يكون صاحبها الا ناجح السعي
لانه يحاول برايه ما لا يحاول بشجاعته ويشفع بنفسه ان يجاوز الى براعته فهو ايه يغص عن الحروب
ويبلغ غاية المرغوب لانه يحاول في دفع المكاره ويبلغ ملافات فرانس الشار **فهذا
يا بني** لا احد به كربه او دهمه من عدوه خطب لا يرجع له قلب ولا يبرا خلده رعبا
هذا وان لم يبلغ في شجاعته الغاية فهو مقرب في غاية النجابة الكافية كصاحب
القسم الاول عرفناه وبالشجاعة والعقل ذكرناه **فجمل هذا يا بني**

اذا كان لابد عليه واحد من رايته ما يرجع اليه فهذا احسن حال من الذي قبله وان لم يكن في الشجاعة
مثله **القسم الرابع** من الشجاعة وهي التي لا يصحبها عقل ولا راي **فهذا يا بني**
شجاعة مذمومة وبالجهالة موسومة وهي في الحقيقة هوز والعمل بها خطأ لانه اذا كان
جريا لا يتمالك ان ينغمس في القتال ويلقي بنفسه في معمعة الابطال من غير راي ولا نظر في
الامور ولا تدبير فمثل هذا يا بني اغرى للملك وادعى لزوال الملك **القاعدة**
الثانية وهي قاعدة الكرم والملك فيها بالنسبة على اربعة اقسام
القسم الاول اعلم يا بني انه ينبغي للملك ان يكون كريما متوسطا لا مقترا ولا مبذرا
يا بني ليكون كرمك على نفسك ورعيتك من غير تبذير ولا اسراف في التقدير
فان ذلك هو الكرم المحمود والذي يستحسنه اهل الديانة والجود لانك يا بني اذا كنت
كريما تجتذب النفوس وتميل اليك القلوب وتخضع لك الرؤوس وفي الحديث جبلت القلوب
على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها والاحسان املك شيء للانسان والكرم من
الشجاعة والشجاعة من الكرم وبصفتيهما يتصف كل فرد علم كما ان البخل من الجبانة والجبا
نة من البخل وبصفتيهما يتصف كل لئيم وكل واحد من هذين الصفتين يرجع الواصل بكلـ
ـه عليها مع الفضل وذلك ان الشجاع يا بني يجود بنفسه فاحرى ان يجود بماله
والبخيل يبخل بماله فاحرى ان يبخل بنفسه فتأمل هذا المثال يظهر لك المقال
يا بني من كان كريما شجاعا كان محبوبا مطاعا يجير من يعضده في المهمات
والحروب ويفرج عنه نوازل الكروب ويفديه بنفسه ويذود دونه حلول رمسه من
يا بني واذا كان الملك شجاعا بخيلا كان في شجاعته دليلا يسلمه قومه
في المواقف ولا يساعده من الشجعان بل يعده من اهل الحسد والهربان فاذا اشتهر الملك
بمكارم الاخلاق صرح له الناس من جميع الافاق وكثرت له المادة من انصاره وتحلى
بالمفاخر في امصاره وتفرغت به في تخير اقياله بل اقالمه وانصاره و وجنده وعظم
مجده وقل معاندته وكثر مشاعره وانعم حاسده ورحبت اوطانه وتعاظم سلطانه
لانه يتجلى بصفة من صفات البارئ فلا يجاريه في سلطانه مجار **فهذا يا بني**
غاية الكرم المحمود الذي يتصف به المتحلي بالجود **القسم الثاني** وهو ان يكون الملك
كريما على رعيته دون نفسه وخاصته واهل بيته فهذا كرم غير محمود ولا هو من الجود
لانه يقتر على نفسه واهله ويرى انه من جميل فعله الذي ان يكون ذلك ايثارا على اهل
الحاجة وافتقارا على نفسه ليس من سماحة فهذه صفة اهل الجود الذين شاهد فليراع الذي
جود **قال الله تعالى** في مثل هؤلاء ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الى
جوع **فهذا يا بني** اذا كان بهذه المثابة فعليه اعظم اجر واصابة **القسم الثالث**
ان يكون الملك كريما على نفسه واهله دون رعيته فهذا الكرم يا بني غير محمود والمتصف به

متصف

متصف بصفة المحمود فان هذا الكرم تجده على اخذ اموال الناس بل الرعية وجريانه على غير
السبيل المحمودة فيصرف في لذات نفسه الاموال ولا يؤثر رعيته بافضال ولا يواسي من تعلق
به من الابطال فهذا مشهور في السلاطين والله لا يحب المسرفين **فهذا يا بني** ياخذ من
الضعيف والقوي ولا يبالي بفقير ولا غني فهذا يا بني اذا احتاج الى المال فلا يجد من اين
كان لانه قد افضى به الى العجز فاياك يا بني والجري على هذا المثال فانه سبب الهلاك
والزوال **القسم الرابع** ان يكون الملك ضالا ولا يتكرم لا على نفسه ولا يتكرم
على خاصته ولا رعيته بل يمسك المال بكليته **فهذا يا بني** لا يعد من الكرام ولا ينتظم
في هذا النظام فمثل هذا لا يترك شيئا لرعيته ولا يجري على السوية بل ياخذ من مستحق وغير
مستحق وينفق ذلك في المغاني والملاهي والمباني فلا يجد ما يبادر به دنياه ولا ما يلقى به
اخراه ويرى انه مع ذلك كريم وهو في الحقيقة مذموم لئيم ولا كرم له على نفسه ولا على
خاصته ولا على رعيته وهذا من سوء فعله وهويته **فاياك** يا بني والتحلي بهذه الصفا
ت فانها مجلبة للآفات **القاعدة الثالثة** وهي قاعدة الحلم وفي الحلم
من الاوصاف المحمودة والاحاديث المسنودة ما يحصى كثرة ولا يستقصى حصره وهو
بالنسبة الى الملك على اربعة اقسام **القسم الاول** ان يكون الملك حليما على خاصته
ورعيته يعاملهم بحسن نيته يحلم عنهم في صغار الجرائم ويعفو منهم في العظائم فهذا الملك غالب
عقله على هواه فانما فضله على سواه **فهذا يا بني** هو المحبوب عند الناس الكثير الحلم
والايناس يحبه الضعيف على حلمه وصفحه عن عظيم جرمه في رعيته مامونة الغائلة لحسن
سيرته سالمين بمجاورته عن زلاتهم وصفحه عن هفواتهم بل هفواتهم فهذا حلم محمود ينتفع به في
الوجود والحلم وصف من اوصاف البارئ تعالى والمتصف به محمود في الاخرة والاولى **القسم**
الثاني ان يكون الملك حليما على الرعية دون الخاصة لا يواخذ الا خاصته خاصة فمن
عمل من الخاصة ذنبا يستوجب عليه العقوبة عاقبه ومن عمل من الرعية عملا يستوجب
به العقوبة ترك مطالبته ولا ياخذ من لاتهم لانهم بل ويصفح عن هفواتهم ولا يعاقبهم لضعفهم
وقلة منزلتهم وخوفهم وضعف عقولهم وحقارتهم وخمولهم واختلاف طباعهم ولقلة وقا
يعهم لان الخاصة ينتفع منهم ولا يعفوا عنهم بل ان ذلك زجرا لهم وردعا وكفا عن العامة
ومعا ليلا يتأذى الضعيف ويقع من اهل الجفاء لهم التخويف فهذا علم غير محمود مشكور
في الوجود لانه من العدل المساواة في الاحكام بين الخاص والعام بل الخاص اولى بالحلم في
صغائر الجرائم من العامة فاياك ان تعفو الا عن مستحق العفو **القسم الثالث**
ان يحلم الملك عن الخاصة دون العامة فهذا عين الاعانة الطامة **اعلم يا بني**
ان الخاصة اذا احلم عليها تأذت الرعية منها وتلاشت احوالها بالكلية لانه يا بني من
العدل في الحلم المساواة بين القوي والضعيف والمشروف والشريف وفي العقوبة كذلك

احسن ما يسلك السالك فان كان بخلاف هذا فهو الظلم الصراح الذي ليس بمباح واعلم ان الملك
القسم الرابع ان يكون حليما سمحا بالاحيان فاحيانا تارة وتارة لا يعفو
عن جرم في اقواله وافعاله ولا يامن احد من اغتياله فهو اطبع الجبابير بغير تامين وهذا
يابني خلق مذموم ولو نسب له الحلم لانه لا يامن احد علمه ولا من عاقبته وسمه فالعامة تقول
نكال المتجاهل الا تامن اغتياله القاعدة الرابعة وهي قاعدة العفو
اعلم يابني ان العفو وصف محمود وفضل يتصف به اهل الجود وتالفه الوجود لاسيما
في الملوك عند القدرة فانه من احسن انقطاع الشهوة والملك بالنسبة اليه على اربعة اقسام
القسم الاول ان يعفو الملك عمن يستحق العفو ويعاقب من يستحق العقوبة في
ذلك على حسب الاوقات والاشخاص والطبقات فرب شخص يستحق العقوبة فيعفو
عنه وانه لا يتركه ويقتص منه وذلك لمصلحة دنيوية لا اخروية وبيانه يابني ورب
شخص لو عوقب لادت عقوبته الى الفساد وانه لو ترك لعزو المعتاد واقتضاء الحال التي
المشاجرة والعناد واعلم يابني انه لا ينبغي العفو عن هتك الحرم وافشاء السر المكتتم
والقدح في الملوك فيما يخل بنظم السلك فمن اشتهر من هذه الثلاثة اصناف فلا اخذ
بهذه الاوصاف فجزاؤه القتل بلا خلاف يابني انبه على هذا الحال الذي
يكون في الابقاء عليه مصلحة عامة تعود عليك وعلى رعيتك بالمنفعة التامة فالابقاء
اولى وعفوك عنه احرى واحرى فان الملك اذا عفا للمصلحة العامة فقد اخمد الفتنة
الطامة وشكر على عفته وحسن ذلك من سنة وهذا العفو محمود وصفته من الكرم والجود
يابني والعفو عند القدرة في الخلافة اصل وفيه مروة وفضل ونيل وعفو
تصلح من احوالك ما لا يصلح بمالك وتدبر بالعفو ما لا تدبر بالسياسة وتصلح بالسيل
لسنة فانه قد راينا اصحاب الجرائم العظام التي لا يجب فيها الاحتمال يعم العفو الى الادخل
ويفودهم ما تعود وامن الاسار فلو بذلت لهم الاموال واعددت لهم الحملات والابطال لما قدرت
عليهم ولا توصلت اليهم فالعفو من تجاوزات الملوك بل تجاوزات الملوك النافعة وخير
ما يحمل الانسان صنايعه يابني ايتك ملك لولده اسنى من العفو والصفح
والصفو والاحسان ولا احسن منه ولا اجمل ولا اسنى ولا اكمل يابني من افشى سرك
سرا فعاقبه دينا ومن افشى سرك جهرا فعاقبه جهرا يابني لا تقتل وزراءك
لا بسبب ظاهر للموجود فان قتل الوزراء ليس بمحمود لان الملك اذا قتل وزراءه ادى ملكه
للخراب يابني اذا قتلت وزيرك على ادنى الاسباب كان فعلك غير صواب ونخشى
عليك ما ينظم ولك من هذا الباب فلا تامن على ملكك الوزراء ولا انت تامن منهم على
الولاء فان في ذلك فساد النظام ومذمة عند الخاص والعام القسم الثاني
ان يعفو الملك عمن يستحق العفو ومن لا يستحق العفو وهذا عفو غير محمود لانه من الجرائم

جريمة

جريمة لا يحصر العفو فيها والعقاب اجمل التلافيها يابني ومثال ذلك في افشاء
الاسرار التي لا يقال فيها الا امر عثار وكذلك هتك الاستار لان ذلك في جنابك عظيم
وبحرمتك وذلك مما يوجد في الوزراء ومن البرية الحجاب والكبراء وفساد ظاهر للبادي والحاضر
فاعلم ذلك يابني والهمه وتدبره وخذ به وتعلمه القسم الثالث
ان يكون العفو من الملك متوسطا لا تاركا للعقوبة ولا معطلا لا تنتهي عقوبة الجناية الى
مقدار الجناية ولا يتوصل فيها الى الغاية بل يعاقب من وجب عليه القتل بالضرب ولا يبالغ
في الانتقام والنكب ويرى ان ذلك عفو والعمل به موروث صفو فيرضى به اتقاء
على حقيقته وهو عفو منه اذ لم يلحقه بمن يستحقه فهذا يابني عفو غير محمود لانه من صفات الجود
لانه يابني من استحق القتل فجزاؤه القتل ومن استحق الضرب فجزاؤه الضرب وهو الاصل
فاعلم ما شرحت لك واسلك فيه احسن مسلك القسم الرابع ان يعفو الملك عمن
لا يستحق العفو وذلك كمن يهتك البار ويكره العار ومن افشى السر وهتك الحرمة ونقض
العهد والذمة ثم عفا عنه فهذا يابني عفو غير محمود ولا ابقاء على هذا البعيد من الجود او كمن
يعاقب حاجبه وكاتبه في الكلمة تصدر عنه غلطا او تبدو منه هفوة وسقطا فيعاقبه بالقتل
فهذا يابني خلاف الاصل فان عفو هذا مذموم وعقوبته مذمومة وخلافته بالحماقة موسومة
لان كان في العفو مصلحة عامة كما قلنا فيجمل عفوه كما قررنا فاعلم يابني
والله يرشدك الى ذلك ويجنبك احسن المسالك بمنه لا رب سواه ولا معبود غيره واعلم
يابني ان السياسة بها قوام الملك وهي سبب النجاة من مواقع الهلك فاحفظ يابني
ما ذكرت هنالك فيها لتصلح به الدولة وتعمم به كل عليه واحتفظ بذلك ترشد

الباب الرابع في الفراسة وهي خاتمة السياسة

اعلم يابني ان الفراسة قوة نفسانية
وامر ربانية يوتيه الله بها النفوس حتى ينقلب لها المعلوم كالمحسوس وينطبع في مراتها
كل خفي حتى كان الامر جلي روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل عليه ولده
منكسر الطرف بسبب امراة لقيته فجاة وكان غض بصره من حيث رآها الى ان دخل على ابيه
عمر رضي الله عنه فقال له عمر رضي الله عنه اين خلا علي عبد الله بن عمر واثر الزنا على وجهه
بل في عينيه فقال عبد الله لابيه اوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي فراسة
المومن فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا فراسة المومن فانه ينظر
بنور الله فينبغي ان تكون فراستك في وزيرك وكتابك وجلسائك وخواصك ومعتقيك
وصاحب شرطتك وعمالك وصاحب اشغالك وقوادك وشيوخ اجنادك وعروك والارسال
المتوجهات من قبلك الى الملوك امثالك والكتب الواردة عليك من العدو وغيره فاجعل
فراستك في وزيرك اعلم يابني انه ينبغي لك ان تتبع سر وزيرك الذي اتخذته لرايك

وتشاركنه في قليلك وكثيرك وتنظر الى اقواله وافعاله وكافة احواله فاذا تكلم
في المنتديات المزالة بقدر المنزلة فيما لا ينفع الصلاحة ولا يعود عليها بمنفعة مثل تغيير لك عند
احد ما لم تعرض لك في تركه في تغيير الحال او الح عليك في الكلام او اظهر لك وجوه من الاعتذارات
بضعف المطلوبات واقلاله وقلة وجدانه ورقة حاله فتعلم انه اراد منفعة نفسه
وراجيه يا بني عن مقالته ومن ان لا يعود الى مثله فان تمادى عليك بالالحاح وجد بعد ذلك
فتعلم انه فرش على مالك وان كف بعد ان زجرته ولم يعد الى الكلام الذي عنه زجرته فتعلم
ان كلامه في حقك من غير غرض ولا داعية تدعوه الى اغراض **يا بني** وان كان لك
خديم ناصح في خدمتك موفيا بجميع حقوقك وحرمتك ويريد وزيرك ان يوقع به عندك
ويغير خاطرك عليه ويفسد نيتك وقصدك فيجر معه في ذلك الخديم ويقول له ما ليس
فيه من حادث وقديم فان رايته وافقك على ذلك وسلك في ذمه كل المسالك ثم انك لما صوا...
علمت ان وزيرك عدوك طالبا نكبته بكل فعل ذميم وان كلامه باطل وحاله معه حايل
واذا كثر عليك المنزلة بقدر المنزلة وتمادى عليك بالذم والمنع فان قال قولا ونقا قلت
عنده ولم تنتصره وتغافل هو ايضا ولم يزكه ولا اعاد كلاما ولا اكثر له اهتماما فتعلم ان
النصح ما قال وزيرك وانما هو نصيحة فيه ومشيري فابحث على ذلك واحسنه وتامله واعتمد
فيه ان شاء الله **يا بني** لا تسمع كلام احد في احد من اول وهلة حتى تاخذ بحكم
الفراسة على التفصيل والجملة **يا بني** اذا اردت ان تتعرف في وزيرك هل هو كامل
العقل او ناقص العقل فاذا رايت اذنى الامور يغضبه ويهمه ويكربه واذنى الامور يرضيه
واقلها يسليه فتعلم انه ناقص العقل مضطرب العقل فان كان لا يغضبه الا امور اشر
الامور ولا يكترث بالايام مشهور ويكون راضيا بما ياتيه منه ويتحمله عنك الا انه يرى
بوادر عقله انك ازلته تلك المنزلة التي هي به واحللته محلا واردت به تعظيما فقابل
جميع ما يصدر منك بالقبول ويتلقاه بالسرور والمامول لا فيما يغريك فلا يوافق عليه
ويحتج بعقله اليه فتعلم انه كامل العقل وحميد الفضل شديد المحبة في جنابك متودد
لك وراغب في جميع اربك **يا بني** اذا كان وزيرك كامل العقل اجزل
بمقابل الفضل فتعرف من حال انبساطه وانقباضه وعلوه وانخفاضه فان رايته في حال
اقباله اليك منشرحا مستبشرا طليق الوجه مسرورا فتعلم انه اتى اليك بمسرة تسمعها في
جانبك وصرت له عارفا بك فان ابدا لك ذلك بالمسرة في جانبك وان اخفاها فتعلم انها
في جانبه منك وان اقبل اليك على حالته المعتادة فتعلم انها في جانبه منك وان اقبل اليك
انه لم يزد ايد عنده زيادة وان اقبل اليك مكروب الاسر منقبضا غير طيب النفس فانه
سمع مقالة تسوء في جانبك من امر عدوك او ما يسوء جانبه من قبلك فان اخبرك
بذلك واظهره فتعلم انما سمع في جانبك عنه وان كتم ذلك عنك فتعلم ان ذلك

صدر

صدر منك **يا بني** اذا سمعت عن وزيرك سقطة في جانبك واردت اختبار حقيقتها
من باطلها ونقل صدرت منه كما سمعت من قايلها ويظن وزيرك انك سمعتها منه فتعرف من
وزيرك فان رايت منه زيادة في البشاشة والخضوع والتنزل والهشاشة وتلك خلاف
عادته فان ذلك دليل على الريبة وتغطية لتلك السقطة المغشية فحقق ذلك من غير
ارتياب فانه لا تخفى حالة المرتاب وان لم يتنقل عن حالته المعتادة ولم يظهر فيها في كلامه
نقصا ولا زيادة فتعلم انه بري مما قيل لك لان ظاهره دل على ما تخفيه **يا بني**
واذا اردت استخراج ما في ضمير وزيرك الغافل فجره بالى جوف التلطيف والملاينة والتاليف
وانه من الباب الذي يوافقه ويحبه حتى يستخرج ما في ضميره بحسن الهشاشة وحكم الرياسة
يا بني وانما من كان من وزرايك ناقص العقل فلا تشغله بالقول واكثر عليه من
الكلام فانه من ضعف عقله لا يقدر على الكتمان فيخرج لك ما في ضميره من قليل الامور وكثيره
يا بني واما جلساؤك فينبغي لك ان تتعرف من جلسائك وتختبرهم وتنظر في طباعهم
لتختبرهم من هو المحب في جنابك الظاهر بابك المسرع لقضاء اربك ومن هو على غير ذلك
واختبر المعتني منهم لاسرارك والمحافظ على اخبارك فمن رايته كثير الكلام من بعد الاطلاع
لا يبقى في المقام ولا يخفى شيء من اسرارك ولا من اسرار غيره ولا له ملكة في اخفاء ذلك
فتعلم انه غير محافظ على سرك فاحذره فانه كما لم يحافظ على سر غيره كذلك
لا يحافظ على سرك وكذلك من هو منهم فاه اعظم واهم قبل النصح بجنبه بالناس او بنا
لبيه وكثرة الجلاس وان كان اقل كلاما في مجلسك فلا تامنه في سر على نفسك لان معرفته
بالناس تدعوه الى افشاء الاسرار واذاعتها على وجه الاشتهار **يا بني** ومن رايته من
جلسائك قليل الكلام غير مخالط للانام لا يحب الاهل ولا يبرز منها مقصرا ولا يتكلم
الا في محل الكلام ولا ياخذ الا فيما يجمع عليه الخاص والعام وتعلم ان صمته اكثر وامساكه
معرب عن جوابه وعقله غالب عليه وعارفا بكلامه ما يؤول اليه بذلك فيه يكتم الاسرار
ويأخذ بعقله الاخيار ما اودعه جميع سرك وما يقتضيه من خبرك وشيء **يا بني**
وان اردت ان تعرف من جلسائك من هو محب فيك عامل على خدمتك وتطاعيك او من هو
بخلاف ذلك فتعرف من طباعهم وانظر الى تلقيهم واصطناعهم واختبرهم اذا ورد عليك
سرور على غفلة واتاك بشير وارد بعجلة **وكيفية** اختبارهم ان تنظر الى وجوه
هم في الحين بتبشير منهم احوال المحب وغير المحب فمن رايت وجهه متهللا داخله
السرور فتعلم انه محب بسرورك مجبور ومن رايته منقبض الوجه حين تنكر اليه فتعلم
من بغضه ما انطوى عليه لان الانبساط والانقباض يقضيان من القلب على
الوجه فيبدو ما في الباطن على الظاهر وتطلع من ذلك على السرائر وان ابدا لك غير
المحب بشاشة حين تظهر هشاشة لان السرور يكسو الوجه طلاقة وحمرة

والصغير بعضوه غيره او كبره او صغره وذلك بقدر ما عدمه الامير ولنشره حفظه تغيره يريد
يا بني واذا ورد عليك خبر غير سار فان وجه المحب يعود منقبضا بظاهره الاذكار
ورياضت على وجه غير محبك امارات الاستبشار واعتبر المحب من غير المحب بهذين الاعتبارين
يتبين لك ذلك في الحال بل في كل اختبار يا بني ومن رأيته يدخل عليك في كل
يوم بسمة ويكثر ذلك منه الى بعد المدة فتعرف انه يشير الى الحمية في جنابك منقطع لخدمتك
الى بابك يا بني واذا اردت اختبار جلسائك وخاصتك واوليائك هل هم متوافقون
بقلوبهم جميعا او مختلفون فتبصر فيهم اذا عرضت لامرهم عندي حاجة وتكلموا فيها
وبادروا باجمعهم الى استخلاصها وتلافيها علمت ان قلوبهم موافقة واحوالهم بينهم صالحة
صادقة وكذلك اذا اشار احد منهم براي ووقفوا عنده لا يتعدون عنه الى غيره وذلك
فيما بينهم او بعضهم او بعضهم فتعلم ان خواطرهم مجتمعة وعلى الموافقة منطبعة وان اختلفا
ارائهم وتعرفت اهواؤهم فتعلم ان العداوة بينهم قائمة واحوالهم بينهم غير متلائمة
يا بني اذا رأيت وزيرك محبا في الشكر والثناء عليه اكثر مما عليك وميلان الناس
اليه اكثر مما اليك فتعلم انه معرض في اموالك وامور مملكتك غير ناصح لك في خدمتك
فان رأيته انه من يكون محبا في الشكر والثناء وبدا ان ذلك بعضيه لا امن الى فضله
حوائج الناس بل تغير محلا فيك ويحط من انا فيك لان محبته في الثناء عليه لا يريد حاجة
من قصد اليه فيغيب عنه وجه الصواب ويتسع خوفه من هذا الباب وان رأيته محبا فيما
يصلح عليك لا عليه فهذا في الحقيقة يعود بالمنفعة اليك لا اليه فتعلم انه لك محب ناصح
ووزير غير مفرط صالح يا بني واذا رأيت وزيرك تكرهه الخاصة والجلساء
والقواد والاجناد والكبراء والامراء اخر في جنابه بر مميمة فتبع سر فيه فتعلم انهم انما
كرهوه على نصيحتك وتشديده عليهم في خدمتك يا بني واذا رأيت وزيرك
محبوبا مع قلة تدابيره في حسن صدوره ووروده مع انه لا يستخرج منك حقوقهم الواجبة
الخاصة منها والعامة فتعلم انه معرض في امورك كلها مما وجب عليه في الخدمة قلها
وجلها فاذا كان على هذه الحالة فاختبر محبته لك تجدها معطية لتضييع خدمتك
واما كاتب سرك اعلم يا بني انه ينبغي لك ان تتبع فيه كاتبه سرك المباشر
لمهم امرك اذا كان فيه اربع خصال فهو كامل على كل حال وهو ان يكون صحيح المذهب قابلا
بالحق قليل اللهو والاصغاء ومن ذوي البينات والاحساب فانه يا بني
اذا كان صحيح المذهب رفيع المنصب فتتبع سر فيه فاذا رأيته تكلم بكلمة ولم ينطق لها
بصدق لا تاخذه في كلمة الحق لومة لائم فتعلم قوة تعصبه في الصدق وانه كلما يصدر
منه فيعرج حق واما كونه قابلا بالحق فلا يميل في شيء من اقواله الى الكذب ولا يغضب به
صحيح مذهبه الى شيء من الريب فان صحة مذهبه تؤديه الى كلام الحق وقول الحق تؤديه الى

كتمان

كتمان السر فانه يخشى ان افشى السر ان يظهر عليه فلا يدري ما يصير اليه فيبدل عنده من
تصرفه وصحة مذهبه تدعوه الى ان يقول الحق ليعاقب عليه فيجار من العقوبة فيكتم السر
الذي اسر اليه واما كونه قليل القرابة والاصحاب فلانه اذا كثرت قرابته لا بد ان يستخلص
احدهم للكلام والاختبار ويودعه من اسرار ما يأتيه باستثناء فلا بد ان يفشي صريعه
ذلك الذي اودعته فلا بد لغيره ان يسمعه واما كونه من ذوي البينات فلانه يحافظ على
بينته في كل الحالات مع ما قدمناه من صدق المقال وصحة المذهب المانع من الاختلال فهذه
فيمنعه ذلك من افشاء الاسرار والاخذ بالاستشار يا بني واذا رأيت كاتب
سرك كثير الملقة للناس طويل الفكر لا يرجع الى قياس ولا يتحفظ في كلامه ولا يكف لسانه
في جلوسه وقيامه ويزخرف لك امور الرأي انه ينفعك بها وهي مما تضر الغير بنسبتها
فهذا غير محافظ على دينه ومن لا يحافظ على دينه لا يحافظ على سرك فكيف تشاركه في
امرك يا بني واذا رأيت وزيرك او جليسك يرم كاتب سرك في الغيبة والحضور و
ويظهر محبته للجلساء والجمهور فتعلم ان كاتبك يرجع له الامناء ويعاوضه فيما يلقى اليه
من الاخبار يا بني واذا اردت ان تطلع على ما هو عليه كاتب سرك من كتمان خبرك
وسرك فيخبرك معه بعض اهل بلدك الشرفاء والفقهاء والفضلاء والاشياخ والوجوه
والثقات في كل واحد من هؤلاء المذكورين ما يخصه ويبعث من احضار او ولاية او ما يشبه ذلك
مع بعضه فان اذاعته للانسان تدعوه الى الكراهية بالانتشار فيبادر اهل البلد بالتبشير
يعرفهم بذلك على كل الغير ثم تبعث من يسأل في بلادك عما اودعته من ذلك وتخبره فمن
ظهر هنالك فتعلم انه غير محافظ لسرك وسره لا ذاعته سرك امرك وايضا
يا بني انك ان كان لكاتب سرك اعداء وبلغه منهم اذاءة واراد ان يوقع بهم بلا فشاء
في ذلك الى فيما بينهم وعزه جعفربنهم وناديهم فان شاء ابية البغضاء تدعوه الى الا
فشاء لذلك لما بينهم من المقالة ثم تجعل من يبحث ايضا عليه هل اذاع سر المودع
اليه فان اودع سرك لا حيران يتشهم ويتمادى ويتشهى فان الاسرار اذا انفلتت فشت
وبانت وخرجت من حيث كانت فان كتم ذلك فتعلم انه كاتم لسرك وان افشاه فتعلم
انه مظهر لامرك وان كتم مثل هذا فهو محافظ لاسرارك غير مريع لاخبارك واما
قضاتك اعلم يا بني انه اذا اردت ان تختبر قضاتك فتبصر فيه تبصرا سيا سيا واحكم
على اختباره حكما راسيا وانظر الى احواله فان كان يميل الى خطة القضاء ويعتني بها
غاية الاعتناء فتعلم انه رقيق الدين وانه في احواله ليس بالمتين وعلامة ذلك يا بني
اذا ندبته للقضاء المرة بعد المرة وتظهر له بذلك وجوه المسرة فانه لا بد ان يمتنع بالقول
وان كان من شأنه الفعل لانه اذا اظهر المحبة لها اول وهلة غلب عليه انه يريدها فلا تعرف
مثله فيتكلم عليه القول ثم دادله بها له وتظهر له لديك مكانه فانه لا يمتنع لك بالكلية

ويظهر له ما فيه من طويته ويبدوا على وجهه التهلل والبشر ويميل اليه الاذعان بعد النفور
وان يتبع القول بالعمل ويتميز عن نيل الاموال فاذا وجدته على حالته الاولى ولا اثر فيه لذلك
فاعفه من القضا فاذا رايته انبسط وجهه حين اعفيته من القضا فتزداد يقينا فانه على
القضاء حريص نادم على الامتناع منه يا بني وان كان يمتنع امتناعا كليا ولا يريد
عزا ولا توليا ولا يظهر فيه حرص على القضا ولا يتميز بان يا فكلف عليه القضا واجبره واذا
تاتى لك فانصره واعنه ثم بعد ذلك تفرس فيه تفرس الشيخ الشيم الحسنة فان رايته محتفلا
في النسا والاولاد من الذرية اعداد فتعلم انه محب لا بد ان يميل في الحكم اما الغرض او جيهة
فيتوارث ذلك الى اخر الزمان على احكام الشرعية وان لم ياخذ الرشا ولم تكن له ذرية ولا اهل
في النساء عرض بالكلية فتفرس فيه بان تمازحه وتجالسه وتناصحه حتى تراه قد مال اليك
وانبسط لديك ثم اعرض عليه مسئلة تعينت تطلب له فيها رخصة وتريه كانها من مهمات
امورك وان في قلبك منها غصة فانه ربما تدعوه محبة التبسط الى الرخصة في ذلك فيفتيك
فيها على غير مذهب مالك فان تمم لك في مسئلتك وصبر على وجوا منينك فتعلم انه يميل
لغيرك مثل ما يميل لك في امرك فان تصمم عليك ولم يميل بالكلية اليك فتفرس ايضا في حركته
وصمته وفي مشيته وجلوسه وصمته فان كان قبل القضاء يعرف بالصمت في لسانه ثم بعد ما
قضيته ظهر لك منه اطلاق ولم يكن من شانه واظهر البشاشة والضحك والثناء والذكر فتعلم
انه محب في القضاء وانه متصنع بالريا وان كان طلق اللسان ثم التزم الصمت بعد القضا
واظهر السكون في جملة الاشياء فتعلم انه متصنع وانه بالناموس متطبع لم تغيره فيه
مشيه فان زاد على حالته المعتادة وحدث فيه شيء من نقص او زيادة فتعلم انه متصنع
في حاله متغير في افعاله يا بني انظر الى تلك الزيادة فان رايته قد خرج عن
العادة وهي تمتعه وبشاشته ومبادرته وهشاشته فتعلم انه فرح بالقضا واغتبط
به ونال منه غاية مطلوبه وتلك منه خرمة لا اجل ولا يبقى لك ابدا ونص فيما بين يديك لترضا
وان نقص من ذلك فتعلم انه يتقعر عليك ويظهر الناموس اليك لتستحسن حاله وتظنه
على شيء في اموره فلا تغتر في شيء ولا تغرك بغروره يا بني وان رايته غير محتفل
بالاولاد ولا مهتم بهم ولا بالنساء ولا ذكر قل لهن فيهن مراد ولا تبرز عنده محبة السكن ولا الزامك
له ولا بما زخرفته ولا تصنع في مشيه ولا جلوسه ولا اظهر نشاطا زايدا على فعله من ذاته
ولا تبرا عن احواله ولا تطور في اقواله وافعاله فذلك نعم القاضي وخير من يقع في حكمه
التراضي يا بني وهكذا يكون تفرسك في مفتيك في بلدك وغيره من تريد معرفة خبره
واما قوادك فتكون فراستك فيهم بالاختبار ووزعك الرشا عليهم من غير استشعار واذا
رايتهم قبلوا الرشا وعلقت ايديهم منه بشا فتعلم انهم اضاعوا حقك وخربوا رفقك
فلا توليهم ابدا وان وليتهم فاعزلهم نحو ترجمة ان نشر اما اخذهم الرشا من الرعية على حوالته

عز وجل

عز وجل فذلك اعظم بلية وما يظهر بالرعية افضى الى فساد الملك بالكلية لان فساد الرعية
يخرب الاوطان ويفعل الجنايا ويذهب بالعمران واما اخذهم الرشا على حقك فانهم اذا اخذوا الرشا
على حقك فسدت نياتهم وخافوا منك ان تطلع عليهم فتبدوا طوياتهم فيحملهم ذلك على ما يعسر
عليك فلا تامن لهم غايلة غدر ولا خيانة تمكن فان حاملهم على اخذها من الرعية يحملهم على الغدر
وخبث الطوية فيضيع بمثل هولاء ملكك وان سلموا من اخذ الرشا في حوالتك وحقك فتعلم انهم
على وفقك وصدقك فابق من وليت منهم على قيادتك ومن لم توله فوله لاجل امانته والقاهر من
هولاء محمود وبه نتشابه في خلافتك المقصود كما اشرنا الى ذلك في باب السياسة واما جيشك يا بني
واجنادك وانصارك وقوادك فاهتم بان تنظر في اموالهم وتتوسم في افعالهم فان رايتهم يشتغلون
بالبنا والزينة واللهو واللعب والنسا فتعلم يا بني ان هولاء غير معول عليهم في الشدايد ولا في
المواقف والمشاهد وان رايتهم اخذوا في التعاطي بالخيل والعدد والتداريع وآلة الحرب والنجدة
فتعلم يا بني ان هولاء يعول عليهم في الشدايد وبهم في المواقف تزول النكايد واذا كانت عادتهم
في السلم اشتغالهم بالعدة وآلة الحرب فتبين فيهم ايضا عند اللقا فان رايتهم عند القرب من
العدو يزدادون نشاطا وشجاعة واجتهادا وبراعة وحرصا على الملاقات وكلمة خاصتهم وعامتهم
كلمة واحدة متفقة فيهون لك الظفر على عدوك والنصر وان رايتهم عند القرب من العدو يقل نشاطهم
طهم ويكثر اختلافهم فمنهم من يحب اللقا ومنهم من يكرهه نجا واجتهد على ان تكون كلمتهم متفقة
بالاعطاء والاحسان والكلام الجميل ولا تلاق بهولاء الا بموضع تملك فيه امر نفسك وتمسك
به قلوب جيشك وتقوى نفسهم باشتداد ظهورهم اليه واعتمادهم في الكر والفر وان لم تجد موضعا
في الحال تركن اليه ورايت لعدوك الطايفة باتفاق كلمتهم واختلاف جيشك فاعمل على ما ذكرنا
ناه في باب السياسة وذلك اتخاذ المعقل كما فعل الذكر الذي قدمناه في باب السياسة
واما صاحب اشتغالك المعروف الى عمالك الناظر على كافة عمالك فانك يا بني تختبره وتتفرس
فيه حتى يظهر لك من حاله ما يخفيه اعلم يا بني انه اذا رايت صاحب اشتغالك محبوبا عند
وزرايك وخاصتك واهل رايك مشكور الحالة عندهم يثنون عليه فتعلم انه مضيع
لامورك بالجملة ومخرب اموالك وتلك اقبح فعلة واذا رايته مبغوضا عند الوزراء والا
والقواد والعمال والاجناد فتعلم ان بغضهم له انما هو على استخراج حقوقك ومنافعك
منهم لان صاحب الاشغال اذا كان مبغوضا عند الخاص والعام دل على نصاحته في الخراج
وانه يخاف من الرشا من الناس ولا يامن ان يدرج عليه الاعداء بوقع به اعظم الباس لو
ينصب له ثم كل من المكيدة يجلب بها حينه وتنكيده ثم انك تختبره يا بني في ملبسه
ومركبه ومدخله ومنشاه وحاله ومكسبه فان زاد زيادة مفرطة فتعلم ان ذلك من
غير مالك اخذوا والتقطه وان لم يظهر عليه الا قدر ما كنت منه مع ان الناس يتقولون
فيه ليطلوا الى نكبته فتعلم انه نقي الجانب قليل المعايب وان كان مع طا في اشغالك

فهو لا يخونك في مالك وأما إذا لم تختبرهم وتتبصر فيهم وتمتحنهم فإذا أردت أن تبتلي واليك
يأخذ أموال الناس ويبعث بها إليك ويرى أن ذلك نصيحة إليك ومحبة يدخلها عليك ليعلي
مكانه عندك ويرى أن في ذلك بغيتك وقصدك فهو أشر الولاة وأرداهم وأظلمهم وأعرا
هم لأنه يخرمتك وتحليه بحليتك بل حرمتك فإنه ينقص مالك ويبغض فيك رعيتك ويفسد عليك
دنياك وحسن نيتك وكما أنه يأخذ أموال الناس ويعطيها إليك فيمكن أن يأخذ مالك ويعطيه
عليك ويأخذ خيرك ويعطيه غيرك فهذا إن أخذ أموال الناس وأتى بها إليك وإن لم يأتيك بشيء
وأظهر الناموس لربك تصنعا بالديانة وانتحط بالأمانة فاحذره يا بني فإن تورع عليه
الرشا فإن أخذها فتعلم أنه يأخذ مالك وإن لم يأخذ شيئا من ذلك فتفقد أحواله في داره و
وابحث من يتجسس على أخباره فإن زاد حاله وكثر ماله وظهرت عليه آثار النعمة الشاملة
والرفاهية الكاملة ولم تكن تعرف له قبل فتعلم أنه من غبن مالك مع أنه لم تقع به شكاية ولا تظ
ذلك من رعية فإن تشكت منه الرعية في رفاهيته منها وهو غير رفاهية واعلم يا بني
أن حامل المال كحامل المسك لا يخفى على أحد وإن أخفاه حامله وإن احتشم وعلمت قبحه وأمواله
ولم يتغير عليه حال بالكلية ولا انطلق أحد من الرعية في رفاهيته المرة بعد المرة فإن لم تتصور عنه
شكية ولا مضرة من ذلك هو الولي الآخذ بأبوابه ويولي وأما حكامك يا بني فإنك
تتعرف فيهم وتقع على محاسنهم إذا رأيت حاكمك تبغضه الأخيار وتحبه الأشرار فتعلم أنه على
غير استقامة وأنه أخذ الرشى على الظلامة وعلامة ذلك أن بعض الأخيار له إنما هو لما أحدثه
من المظالم وفعله من إباحة المحارم وما أوقع به من الحوادث العابسة والمناكر البادية بالمشاهدة
فهو يبغضهم لعثورهم على منكره وهم يكرهونه على ما رأوا من محنه وأما محبة الأشرار له ومحبته
لهم فإن فاجرهم يحملهم على المؤاساة عليهم فهم يحبونه على مواساته عليهم في المقاصد
ويحبهم لما ينال منهم من العوائد وجار الناس لا بالعدل والمو ضياعهم ويتناجون من مرادهم
وطلب أطماعهم فتكرهه الأخيار لمنافرته لفعل الخير وتحبه الأشرار وإن كان بخلاف ذلك من جمع
الأشرار وتوفير الأخيار فتعلم أنه تابع للحق ومتصل بالصدق يا بني ثم اختبر حاله بأن تنظر
عليه هل يعرف له قبل ولايته الحكومة وكان له في أول ولايته من مال وأثاث ودار
غير ذلك فإنه ينشأ في الباطن والظاهر وإذا لم يتغير عليه حال ولا ظهرت عليه آثار من الفخر
العام المحمود الذي يعضده الوجود وكذلك يا بني تكون فراستك في صاحب الحسبة تجري
على هذه النسبة وأما فراستك في عدوك يا بني اعلم أنه تكون فراستك في عدوك فرا
سة واحدة وإن أبدى لك مؤانسة ومواصلة متساعدة فلتكن مقابلتك له بما ذكرناه فهي
السياسة فإن ذلك من وجوه الرياسة يا بني إذا أردت عدوك يهاديك ويعاهد
ك بالحسنى ويواليك ويأخذ معك فيما يرضيك ويفضل لك جميع مآربك ولا يتهم بوجه
في مطالبك ورأيته أبدا يواليك بأفتح المواصلات ويناصرك في كل الحالات على الراحة فيه واحدة

لا في المنازل

لا في المنازل ولا في المساعدة فيا بني وإذا بعث إليك أرسالا بهم تهنئة أو موالاة أو تعزية أو
استجلاب مودة تكون أو ما يدعو إلى المهادنة والسكون فاعلم يا بني أنا نعتم الاختبا
ر لنتعرف الصحيح من أخبارك وما يدبر عنه وظهر عليك وما غاب عنه وحضر لديك وعلى هذه
الحالة جرت أحوالنا مع أعدائنا حين يطلبون ويجلبون بأنفسهم أنهم متى أظهروا إلينا المطاوعات
وكتبوا إلينا بالموالاة فنتعرف أحوالهم فنتجرد لذلك من اختبارهم فيخرج لكذا منهم كما نعرف سناء
وما نعرف سناء وجدنا يا بني وكذلك نتعرف في كتبهم قبل وصولها فنتحقق قبل رايتها على
فروعها وأصولها وكذلك نتعرف من رسائلهم قبل قدومهم علينا فتظهر أحوالهم إلينا
يا بني وأما فراستك في أرسالك المتوجهين من قبلك إلى الملوك المشاركة فينبغي لك يا بني
إذا وجهت رسولا إلى ملك من الملوك أن تختار من وجوه قبيلتك وخيار عشيرتك من يليق
بالرسالة ويتصف بالصيانة والجلالة ولا يكون توجيهك إياه إلا بعد الاختبار ليكون على وفق
الاختيار يا بني وليكن الرسول مشتملا على أربعة أوصاف ليجر عليها بمجيره لا اختلاف الأول
أن يكون قوي القلب راجح العقل الثاني أن يكون طاهر القول الثالث أن يكون محافظا على
دينه الرابع أن يكون ذو حافظا على الأمانة أركان الاختيار ثم نتبع هذه الأوصاف الأربعة
الضرورية أربعة أوصاف تكميلية أحدها أن يكون فصيح اللسان حسن العبارة والبيان الثاني
أن يكون مليح الهيئة والصورة فيه محاسن مشهورة الثالث أن يكون مما في سلطانك
عالما على ما يتوافق جميع شأنك الرابع أن يكون قليل الطمع متنزها عما في ذا بين التزم الورع
يا بني إذا اجتمعت هذه الأوصاف في الرسول يبلغ به في الرسالة غاية المسؤول اعلم
يا بني إذا وجهت من اجتمعت فيه هذه الأوصاف على الكمال ومن استقل بمحمود هذه الخصال
فتعرف فيه عند قدومه عليك ووصوله بعد أداء الرسالة إليك بما يعنيه لك وتنبيهه
وتوضحه وتحسنه فلا تخطئك الفراسة في الرسول إذ تحققه اعلم يا بني أن الملوك
بالنسبة إلى القوة والضعف والصرفة والعداوة على ثلاثة أقسام وعليها في الفراسة جرت
الأحكام يا بني لا تخلو حالك من أن ترسل إلى واحد من الثلاثة المذكورين على حسب به الحوادث
وتدعوه ضرورة البواعث إما أن ترسل لمن هو أقوى منك لأمر حدث عنه أو صدر منك فتتعرف في
رسولك إذا قدم عليك إيابا وقد قضى لك في الرسالة مآربا ووفى الغرض في الحاجة التي
أرسلته بسببها وتبينت عليه أحوالها في حين طلبها ثم جاء الرسول شاكرا منه ومثنيا عليه
لما صدر عنه فيشكر له حسن كلامه أقوى منك وقضى حاجتك ووفى لك مطلبك وأرادتك وبعد
ها فلا تخلي رسولك من الاختبار حتى تقف على الصحيح من الأخبار ثم اسأله في خلوتك عن
حال عدوك وما يؤتى من قبله وما ألقى إليه المعروف من المحاولة وما قابله به في تلك المراسلة
فإن أخبرك ببشره ومنافقه ومصالحه ومثالبه وحال انبساطه وانقباضه وانتعاشه وانخفا
ضه وجلوسه وأحوال حيويته وتصرفاته ولم يغب عنك شيء من حركاته وسكناته فذلك

نعم الرسول وجميع من يبلغ به الامال والسؤال وان اقتصر على ذلك ولم يخبر عنه الا بمجرد الثناء
والشكر والاطناب بجميل الذكر فتربص به حتى تختبره في احواله حتى تعرف صدق مقاله فان لم تجد
عنده الا الثناء فانه غير ذاكر لمثالبه فيعلم انه احرص لسانه في العطى فلذلك اطنب عليه بالثناء
فاسئله حينئذ عما اعطاه وما قدر ما حباه فان اخفى عنك بعض العطية فيعلم ان في كسوته
وجهازها بالكلية فان كانت كسوته رفيعة فيعلم ان الاحتفال اكثر مما ذكر لك وانه يخادع فيه
انحى الصنيعة لان الاحتفال في تأييب الظاهر وتلك شيم من ملوك وسائر الملوك اذا افضلت فبي
الكسى فاعلمت التفضيل في الاحتفال فاعلم بجميع ما ناله من الاحتفال وغاب الكسوة على
ما قدرناه الا وانه احتج انه اكرمه غاية الاكرام وافاض عليه سوابغ الانعام ولم يعرفك بشيء
ولا اتاك بشيء من جوائزه فيعلم انه غير عارف بان رسالته في المحاولة سبيل الجهالة ولم يحمله على
الثناء الا قضاء الحاجة والاستبشار بما ناله من جزيل النائل وسابغ الفضائل وعدم ذكره
لاحواله وسيرته انما حمله على ذلك الجهل وعدم المعرفة بمثالبه فلا ترسل مثله ولا تعتمده ولا تثق به
بالرسالة ولا تكتبه فان الاوطار المضمونة فيه قد اختلت وصحته التي حمل عليها قد اعتلت
يا ابني وان ارسلت رسولك لمن انت اقوى منه من الملوك واردت ان تتعرف من رسولك اذا قدم
عليك ووصل بعد اداء الرسالة اليك وتكون ذلك الملك ذا عقل راجح ودهاء واضح وتكون
الحاجة التي عرضت لك عنده متوسطة الحال لا غاية المقدار ولا دون ذلك بحيث يقع بها
الاحتفال في الارسال فان قضى لك تلك الحاجة وبالغ في قضائها وبادر الى انتلافها وامضاها
ثم قدم عليك رسولك غير شاك منه ذاما لما لم يصل به انعاما منه فيعلم انه بحكم ما ظهرت
فيه من عدم الطمع لكون الملك قضى حاجتك وذمه رسولك على ما لا يعطيه فيعلم انه طمع
فيه ولم يوف له طاعته ولا نال منه بغيته ولا ارادته فتسئله حينئذ عن من اعطاه وعن
القدر الذي به حباه فان اعطاه اعطاء امثاله ووصله بما يليق من حاله فيعلم انه اراد اخراعا
وان يدفع بعض الانعام ابتداء فلما انظهر له حال ولا تعتمد في مقال لانه لم يستطع العدو
حتى اخذ معه العمر او امر فيما بينه وبينه العقد على ما يوجد عنده من الانعام او يسمع من الاخبار
فان كان العطاء اقل مما يليق بامثاله فيعلم انه انما ذمه لقلة نواله فاعتبر يا ابني واذا
اردت ان تختبر ما اعطى رسولك في وجهته فانظر الى ما يظهر عليه من كسوته فان كانت
الكسوة رفيعة فالاحتفال بحسب ذلك وقد اجزل صنيعه وان كان العدو لم يقض لك تلك
الحاجة التي ارسلت رسولك في طلبها وشكره رسولك او سكت عن شكره ولم يذمه بسببه
فيعلم انه ما شكره الا لما اعطى او ما سكت عن ذمه الا لما رجاه وان رجا ان يعود
اليه بالرسالة الثانية وينال منه الجائزة الوافرة فان ذلك العدو اذا لم يسع في جانبه
منه الا خير الا ايثارا لعادة الاكرام ومن اقتنع بالنسبي الخيانة في طبع الرسول
وانه ممن لا يبلغ به سول وانه على خلاف ما ظننته به من الاوصاف المذكورة والاحوال

مذمومة مرموزة فتسئله حينئذ عما اعطاه فان اعطاه العطاء الجزيل وارضاه فيعلم انما عرض
لسانه عن ذمه مع عدم قضاء الحاجة التي تعرف من وجهه الا ذلك العطاء والا سكته الى ذلك الجميل
يا ابني وان ارسلت الى صديقك من الملوك رسولا لحاجة عرضت لك وكان الامر جليلا او قليلا ثم
قدم عليك رسولك الذي ارسلته وادى الرسالة على نحو ما اوصيته فان قضى تلك الحاجة فتلك تسبيل
الصداقة المذكورة والموالات المحروزة وان ذمه رسولك فيعلم انه ما ذمه الا للعدم الجائز وان
شكره بحسن الصداقة والعطية التي اعطاه ولم يقض لك ذلك الصديق حاجتك وظهر منه في قضا
بها مجاهدة فتعرف من فيه من كتابه ومن نحو خطابه فان رايت كتابه خارجا عن العتاد وفيه ما لا
يليق من عدم المراد فيعلم ان ذلك من قبل الرسول الذي ارسلته وانه القى اليه ما اغير باطنه فلم
يسعفه طلبته فلذلك اغلظ القول في الكتاب وخرج عن العادة في الجواب فعلى هذا تكون
فراستك في رسائل الملوك الواردة عليك القاصدين من بلادهم اليك اما من قبل الاعداء او من
قبل الاولياء فلا اشكال ان ذلك موالات وافضال وان كان من قبل عدوك فينبغي لك ان تتفرس
فيه نعم من النبلاء الاذكياء النجباء فاذا اقبل رسول عدوك اليك ورايته طلق الوجه اليك وانبسط
في مشيه مظهرا للمسرة فيعلم انه يسر لك من كلامه ما اسره ثم يبقى بحسن سلامه ويظهر الادب
بين يديك في كلامه ويعزمك في الشكر والثناء على سلطانه ويظهر لك البشاشة في تبيانه
فاذا كان على هذا الحال فتفرس فيه باحرى وجهين فان فراستك لا تخطيك من غير مين اما ان
سلطانه ضعيف الملك او ضعيف العقل فان كان ضعيف الملك فتفرس فيه باحرى وجهين اما انه
يطمع فيما ينال له منك وذلك من خذلانه او يطمع فيما يظهر به النصرة عن سلطانه فاذا رايته كذلك
فاذن له بالجلوس في مجلسك فانه يظهر ما في باطنه لنا نسك من يرق اسنك فيه بقينا او نظهر
لك احواله تبيينا ويفهم اهل مجلسك بما عنده من المساوي وتطلع انك على ما امكنه من الاسرار ثم
نلم به بالاذى عند خلاصك لتنتبيذ فيه غاية فراستك ويأتيك بما اظهر من سره وبما جاء به من خير
الامور ثم تعرف بالمطالب الكبار وتنبيه بالعواهر الكتاب فان كتم عن خلاصك امر سلطانه ولم
يطلع على شيء من احواله وشانه فيعلم انه رسول ناصح لمولاه لا يجد له من طمع فيما يسواه ولا
هو غادر لملكه وانما اراد الثناء عليك احضر مجلسك سلكه يا ابني وتعلم ان ثناءه عليك
لضعف سلطانه وقلة ذات يده وامكانه وعلامة ذلك انه لم يستمله طمع ولا في عرضه الامل
به فينبغي لك عذرومك في الثناء على سلطانه لرفع مضرة يتقيها او اظهر لك البشاشة والتودد
دليلا قضا على المحاسنة ويتقيها فاعرض عليه يا ابني حينئذ بعض الاشراط مما ترغبا فيه
وتختال له غاية الاحتيال وخذ معه في الامور التي لا ينبغي عنها ولا تأخذه عن الرغبة عنها ومما
لا يعود عليه بوصم ولا من سلطانه بلوم فان قبلها من اول وهلة فيتحقق ضعف مملكته من
ارساله ولا تتردى فيه في ضنك فانها قد امكنته ومهانتك عند من ارسله فقد تمكنت فان ثبتنا المطل
لحد علو واختيارك وان تثبت العصا اليه مجانبة وانظارك فان عدوك ضعيف وهو منك على

تخويف وأما الرسول فنفع الرسول ولا أحد فيه ما يقول جار كان سلطانه قوي الجيش والمال والحماة
ولا انظار ولا ابطال مع ما صدر من الرسول من البشاشة والثناء والشكر والبشاشة فنفع السلطا
نه ضعيف العقل لا يفرق بين الفرع والأصل وعلامة ذلك ان رسوله لم يوف له حقا ولا احسن اليه
فعلا ولا اجاد نظما بل اسقط حرمته وانما اخرته حيرا في الذكر وقد مدحك عليه في الثناء والشكر
واعلم يا بني ان الرسول الذي يتصف بمادة الصيغة فرح جرح عرض بين المعرفة وانه ما صدر عنه ما صدر
الوهمان تخيفه من المطامع ولا قصد الا نيل المنافع وتلك المنافع عائدة على سلطانه بالمضار
وجالبة عليه مناكر الحيرة والبوار وأيضا انما كانت هشاشته لمكيدة عرضت له في جانبك وكيده
وقد اتفق لنا ذلك مع عمر بن عبد الله وزير ملك المغرب أبي سالم حين ارسله الينا بالجبر العازم والعهد
اللازم ليتحصل بعض الجميل علينا ويخادعنا بين يدينا مع قوة سلطانه ورفيع مكانه ان نخ لله فتفرسنا
فيه المخادعة لما اظهر من التذلل والمصانعة ولما اظهر من البشاشة والثناء علينا والهشاشة
يعلمنا من ثنائه علينا وقد أتانا الينا مع قوة سلطانه ورفيع مكانه ان نزله انما هو لمكيدة او
لطمعة ينال منا بغيته فجاز لنا غدر وزيرنا عبد الله بن مسلم لما بينهما من تاكيد متقدم وكانا
رغبة عمر المذكور في ذلك ليتوصل الغرض من هنالك ثم امرنا وزيرنا باستخباره اذا اطلعه على انه اي
واستخراج ما عنده لنعلم ادله وقصده فوجدناه على ما تفرسنا فيه من المكيدة والطمع والمحاولة
والخروج فلما علمنا منه ذلك حاولناه واوعدناه بما اراده وتمنا ان اعادته مكيدته على سلطانه
وكانت سبب هلاكه وخراب اوطانه اشرا المكيدة التي اتى بها والمخادعة التي تسبب باسبابها
فانه اراد احدهما اتى بها لغرسه اهل وهران وبعثهم على التمادي على الطغيان الثاني انه اتى الى
وزيرنا بالخديعة ويرده الى جانب سلطانه ويقطعه وذلك لما تعرف بينهما من الوداد وصفاء الاعتقاد
وقد تفرسنا يا بني في وزيرنا انه لا يغدر عمر المذكور ولا تغتنمه منه في خوف الغدر من اجل محبته وخلوص
نيته وصفاء طويته وعلمنا من حزم وزيرنا انه يخدعه ويرد مكيدته عليه ويجعل غيلته وعقيدته
ولذلك اذن لنا عنده ورأينا بذلك بغيته وقصده وكنا يا بني خرجنا الى خلوة مجلسنا ونسخ
بجادثنا وتنبيه بمواعدتنا حتى استغنا بكلمته واستخرجنا ما في طويته وكان يتخيل بعقله انه
يستخلص اسرارنا ويطلع على اخبارنا ونحن نكيده بوجه المكابرة ونتبع ما جاء به من المقاصد الى ان بلغ
خبره لسلطانه رأى من ذلك انخفاض مكانه وابطانا به في الوداع ولم نودعه حتى علمنا ان سلطانه
نابه ظنا وانه اذا وصل اليه لا يبلغ منه سلامة ولا امنا وانه فر من عنده الى دار الحضر لسوء ما اتاه
من القصد ولما علم انه جنى كبيرة ولم يحصل في شيء اطلعنا على اسرار مولاه واظهر لنا ما اسره واخفاه
اخذنا معه فيما يخص سلطانه ليتخلص مما جناه من خذلانه فاجاب الى ذلك ووافق عليه وهمت
نفسه ما ترتب ابيه فكان من قيامه على سلطانه ما كان الى ان زال عنه الملك والسلطان وغلق
في وجهه ابواب مدائن الجزيرة ولقي منه البغي التشكير وكيفية ذلك ان عمر المذكور لما انفصل عنا ولم يقض
وطرا انما نفعنا الامر في المال الذي جاء به الى وهران ولم تاتي له دون زلفة شيء مما اراده من الجزائر او ما هو انا

على

على ان يغتر بسلطانه وان يجلس اخاه مكانه وان يطلب في عبد الواد الذي في حيز الثغاف وان يكون
بعد ذلك مصالحة ليجتر فيما قام خلاف وعندما وصل الى سلطانه ابي سالم واذى له رسالته على الوا
جب اللازم واضمر ما عول عليه من غدره واخذ في المحاولة في مكره وكان من قدر الله تعالى ان خرج من فاس
الجديد ليعسكر خارج الغدير لانه في المصيف وخيم فيه ما شاء به ما شاء الله ان يقيم وعندما انقضى زمان
الخريف واراد الرجوع الى فاس الجديد وذلك بان المذكور من قبضتنا غلق عمر المذكور في وجهه الابواب
واوقف اخاه ابا عمر بن ابي الحسن بذلك الباب فخرج ابو سالم مبادرا للتلافيه وقد جيب يوالحبة من فيه
فاخذ في قتاله فلم يقدر على حاله واسلمه قومه وفروا عنه وانكروه حتى انهم لم يكونوا منه ودونه بعده
عند فرار جيشه ولحق من رمسه فقتل منفردا وحيدا ولم ير نصيرا ولا عضدا فينبغي لك يا بني
ان تفتح من رسل عدوك اذا قدموا عليك ووصلوا بالرسالة اليك فتسابقهم احسن مسابقة
وتمارس حالهم اجمل ممارسة وتخادعهم بالطف مخادعة وتصانعهم بوجوه المصانعات حتى يكفهم الجميل
والنصيح والباطل والصحيح فتعامل كلا منهم بما يليق به وتجري معه على ما تقتضي من مذهبه يا بني
فان كان الرسول وزيرا او ما يقاربه منه فتكون وانسك فيه على نحو ما تبين لك مناقبه وان جاز دون
ذلك فتجري على ما تراه من احواله وليكن نزول كل رسول عند امثاله من خدامك ولتكن كل واحد بما يليق به
من اكرامك وذلك سبب استخلاص الاخبار والاختبار بما يكنه من الاسرار يا بني وان قدم عليك
رسول عدوك حين دخوله عليك منقبض الوجه بطيء المشي مظهر الكراهة في الوجه والزي فتتبين فيه
باحرى وجهيه اما ان يكون ذلك من قبل الرسول المذكور يبين بذلك غاية الظهور وذلك من خبث
طباعه وسوء اصطناعه فلتلم بالازال عنه من بحثه حاله ممن يكون في الطبقة مثاله بعد ان تاخذ الكتب
الواصلة صحبته وتتبين فيها من عدوك رغبته ومنها تستنير على حقيقة الحال ولا تخفى عليك الحقيقة
من الحال فان كان ما يليق بك ولا رضيك من خطاب وكان من جواب فتعلم ان الرسول من طبع المرسل والكتاب
فتغض بحضرة الكبير من يديك وتحلى به مجلسك حتى لا يطلع احد عليك ثم تخفي حديثه كما تخفي كتابه
في تعطيه بعد ذلك جوابه وان كان في الكتاب ما يحسن ويرضي وبانواع المسرة يفضي فتعلم ان الخبث
في طبع الرسول اذ لم يكن في الكتاب الا معاني العمل والسول فتنعم عليه بالاحتمال وتستمر فلمه
بالامتنان لان فعله ذلك سبب للانتفاع وخيانته من جهة الاطماع فاذا اخرتك واعطيته واكثر
نشره ومنيته دعته الخيانة الى افشاء اسر سلطانه لان احسانك اليه حمله على اختيانه وهكذا
يا بني كنا نفعل مع رسل عدونا فنجريهم على ما تقتضيه من الصحة والاعتدال وان اتت الكتب الواردة
عليك من قبل عدوك منكرة واشتد فيها على امر وجهه الاول اذا كان عدوك اقوى منك وقدر على
ان تعرض عنك وانت من قبله كنت واردة فلتتكرر واشتد في عداوته واشتد واحتر فاذا وجدتها بما
يرضيك ويهديك وبانواع خضوع لا يرضى فتعرف من جهتها لتعلم من ظواهرها مخافيها واعلم
يا بني انه انما اراد معاتبتك واستعمل الحيلة في محاولتك ونصب لك بكتبه شرك المكيدة ومو الا
تك ليبيت عليه وكيده وعلامة ذلك ان من كان قويا في سلطانه عزيزا في مكانه وامكانه اكثر منك

جيشا وأموالا أو أعظم مكنة وحالا أو إنما بعث لك بالموالات ودعوك إلى أحسن الحالات ليلا تتهم في
منه وتأخذ حذرك بما يظهر عنه فيأتيك على حين غفلة فيختلك على غير أهبة حيلة فتحرز
يا بني من هذه المكيدة فإنها من أخدع الشر بين فتحيل عليه بأدهى من حيلته ولا يغرك بحيلته يا بني
وأوجد في كتبه كلاما يدل على الخير والخير فاحترز إيضاحه وليكن احترازك من ذا والشر لأن هذا كتب
إليك بما يهددك تارة ويهديك أخرى واعلم يا بني أن الأول أدهى من الثاني والثاني في غفلة أنه
عاجز وليس بمتوان وعلامته أن جمع كلامه بين التخويف الخير والخير يا بني وإن كان عدوك
مساويا لك في الجيش والمال والكفاية والدهاء والاحتيال ثم كتابه يشتمل على عقله وما يريد
من فعله فإن كتب لك تارة بما يرضي ويسر وتارة بما يغيظ ويضر فتعلم أنه ناقص العقل لكونه متنا
ولك فيما ذكرناه مع وجه ما قررناه وذلك دليل على أنه عاجز وسوء سير مزاجه لأنه يقبل
حيث لا إقبال ويدبر حيث لا إدبار فإذا رأيته بهذه المثابة فاحتل عليه ببعض المحاولات فإنه لا يعدل
بك في المعادلات فإنك إذا أخذت في أموره وحاولت على مكره فإنك تبلغ في اختيارك وتدرك فيه
ثارك واعلم يا بني أنه إذا كتب لك عدوك المساوي لك كتابا على أسلوب واحد لا ترى فيه
من زائد ولا من ناقص ولا يكتب لك إلا ما لا بد منه فتعلم أنه وافي العقل آخذ بشيم الفضل لا يغضب
إلا لأمر يهمه وحادث يكيد به ويغمه فهذا يا بني يجب عليك أن تحتال عليه بأنواع الحيل لتبلغ
منه غاية الأمل وتخادعه بضروب المخادعات وتصانعه بوجوه المصانعات كما قدمناه لك في باب السياسة
يا بني فإن كان العدو أضعف منك ثم كتابه أيضا يشتمل على عقله وجميل سيره وفضله أو على حمقه
وجهله فإن كتب لك بالجميل المرة بعد المرة وما لا يقتضي إلا بالمرابة والمسرة فتعلم أنه عاقل في
تدبيره فاضل كامل لكونه يواليك ويجانسك ويطاعمك ويقاربك ويتعرف لك بأن تعود عليه ولتكن
حالك معه كما قدمناه في باب السياسة وإن وجدته مع ضعفه يكتب لك بما لا يرضيك وكتبه تقرع سمعك
بعتبه فتستدل من ذلك على أنه عاجز وضعف عقله وسوء مزاجه فاعمل الحيلة في طلبه ولا تهمله
فإنك تستطيع به تكملت الكتاب وقد وضعنا لك هذا الكتاب وحررنا كلامه من لباب الألباب ونثرنا
حنا فيه نقطا بأخروية وسياسات دنيوية وجمعنا لك ما يصلح بين الدنيا والآخرة والسعادة الكاملة
والباطنة فاجعله منهاجك الذي تقتفي بهديه وسراجك الذي تستضيء به وبعد حفظك للكتاب
هذا واتباعك للأمور الشرعية والسياسة الدنيوية فتكون همتك كلها التوكل على الله في جميع
أمورك والتفويض له ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره يا بني أخلص نيتك في
الدعاء ترجو لك الإجابة من رب السماء واعلم أن الملك هبة الله يهبه من يشاء من عباده وهو
يا بني يأمر ومراده قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء يا بني
أخلص سريرتك مع الله واعلم أنه يطلع على سريرتك فحسن معه جميل سيرتك وإذا رجعت في أحوالك
مع ربك بصيرتك فإن الله مطلع على السرائر وعالم بما في الضمائر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أسر سريرة كساه الله رداها يا بني واعلم أنه كما لا اختيار يعصيك خديمك فيما تأمره به

وكذلك

فكذلك لا ينبغي لك أن تعصي ربك فيما يأمرك به يا بني إذا اختلف عليك أمران أمر يصلح بينك
وبين خاصتك وأمر يصلح بينك وبين الله عز وجل فاتبع ما يصلح بينك وبين الله عز وجل واعلم
يا بني أن خير الزاد التقوى وأن الآخرة خير لك من الأولى وبئس معبود عبد في الدنيا الهوى يا بني
أجل عزة تعتزها وزينة تتزين بها اتباع الحق واجتناب الباطل وصلة الأرحام فالخير في التواصل وتجنب
مال الأيتام والتعفف عن الحرام وارغب فيما عند الله وازهد فيما في أيدي الناس فمن اتبع الحق هابه الخلق
ومن اجتنب الباطل أمن من الآفات الغوائل وصلة الأرحام زيادة في الأعمار وأمان من البوار واعلم
يا بني أن من أعظم الكبائر أكل أموال الأيتام واعلم أن الأوزار تكسب تهوين الاحتراز واعلم يا بني أنه
لا ينبغي للانسان إلا اكتساب الحسن والعمل الصالح الذي لا يغيب معه محو وليكن اعتبارك بالأمم الماضية
والقرون الخالية فإنه قد ذهبت أموالهم وبقيت أعمالهم يا بني إياك والغفلة واستعمل الزاد
للنقلة فإن الموت أقرب من نفسك إليك ومن ردائك عليك يا بني واعلم أن الناس يخوضون
ويلعبون حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فمن غرس خيرا اجتنى مسرة وكرامة ومن غرس شرا اجتنى مضرة
وندامة واعلم يا بني أن جوارحك شهود عليك وقرين الأعمال الصالحة بين يديك يا بني
عليك بالصدق فإن الصدق رفعة وديانة والكذب مذلة وخيانة وإهانة يا بني اجعل عقلك
أميرك وحكمتك وزيرك والعدل جليسك والحق أنيسك يا بني عليك بالجود والإيثار وخصوصا
لعباد الله الأخيار وأرباب العلماء والصالحين والتخيرات لهم ابطيبي ونشر معالم العلم وعليك بالتقوى
والحلم واعتبر بقصة نظام الملك وزير ألب أرسلان ذكر الطرطوشي أنه كان بالعراق وحين وزر نظام
الملك لأبي الفتح ملك شاه بن ألب أرسلان وكان قد وزر قبله لأبيه فقام بدولتهما أحسن قيام نشر أركانها
وشيد بنيانها واستعمل الأمراء وكبير الأولياء واستعمل الكفاءات وعم إحسانه العرب والعجم والقريب
والبعيد حتى ألف الملك بنيانه وذلل الخلق لسلطانه فكان مهد له ذلك بإذن الله وتوفيقه
إياه لأنه أقبل بكليته على مراعات حملة الدين وبنى دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأنشأ
الربط للعباد وأهل الصلاح والزهاد والفقراء ثم أجرى لهم الجرايات والكسى والنفقات مشاهرة وأجرى
الخير على من كان من أهل الطلب والعلم مضافا إلى أرزاقهم المرتبة وعم ذلك سائر أقطار مملكته فلم
يكن من أول بلاد الشام وهي بيت المقدس إلى آخر الشام الأعلى وهي ديار بكر والعراق وخراسان وأقطارها
إلى سمرقند من وراء النهر جيحون مسيرة زهاء مائة يوم حامل علم أو طالبه أو متعبد أو زاهد في زاوية
بيته إلا وكرامته شاملة له وسابغة عليه وكان الذي يخرج من بيت أمواله في هذه الأسباب ستمائة
ألف دينار في كل سنة فوشى به الوشاة إلى أبي الفتح الملك وأوغروا صدره عليه وقالوا إن هذا المال
الخارج من بيت الأموال تقيم به جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية فحمل ذلك على أبي الفتح
فلما دخل عليه قال يا أبت بلغني أنك تخرج من بيت أموالنا في كل سنة ستمائة ألف دينار إلى من لا ينفعنا
فبكى نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي علي فيمن يزيد لم أبلغ خمسة دنانير وأنت
غلام تركي لو نودي عليك عساك تبلغ ثلاثين دينارا وأنت مشتغل بلذاتك ومنهمك في شهواتك

واكثر ما تصعد الى الله معاصيك دون طاعتك وجيوشك الذين تعدهم للنوائب اذا احشروا كلا مجوا
عنك بسيوف طولها ذراعان واقواس لا ينتهي مرامي رماتها ثلاثمائة ذراع وهم مع ذلك مشتغلون
في الغناء والخمور والملاهي والمزامير والطنبور وانما اقعدت لك جيشا يسمى جيش الليل اذا نامت
جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على اقدامهم صفوفا بين يدي ربهم فارسلوا دموعهم واطلقوا
بالدعاء السنتهم ومدوا الى الله اكفهم بالدعاء ولجيشك فانت وجيوشك في غفلاتهم تعيشون
وبدعائهم تنتصرون وببركتهم تنظرون وترزقون فرميهم سهامهم الى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكى
ابو الفتح بكاء شديدا ثم قال يا شيخ اكثر لي من هذا الجيش ومن مناقب هذا الرجل وفضله ان رجلا
فصار يقال له ابو سعيد الصوفي فقال له يا خواجا انا ابني لك مدرسة لم يبن مثلها في الاسلام ولا يكون
في معمور الارض مثلها تخلد بها ذكرك الى يوم تقوم الساعة فقال له افعل وكتب الى وكلائه ببغداد
ان يمكنوه من الاموال فاتى بقعة على شاطئ دجلة واختط بها المدرسة النظامية وبناها احسن
بنيان وكتب عليها اسم نظام الدولة وبنى عليها اسواقا تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات
وحمامات واوقف ذلك كله عليها وكملت لنظام الملك بذلك رياسة وسؤدد وذكر جميل طبق الارض
جن وعم المشارق والمغارب ان في عشر الخمسين والاربعمائة للهجرة ثم رفع حساب ذلك الى نظام الدولة
فبلغ ما يقارب ستين الفا فوشي اليه بابي سعيد الصوفي بان قيل له لم تبلغ نفقة المدرسة ذلك القدر
وان ثمانين من الاموال احتجنها ابو سعيد الصوفي لنفسه وخانك فيها فدعاه نظام الملك الى الحساب
الى اصبهان فلما احس ابو سعيد بذلك ارسل الى الخليفة العباسي يقول له هل لك ان تطبق الارض
بذكرك وانشر لك في الآفاق الايام قال نعم امح اسم نظام الملك من هذه المدرسة واكتب عليها اسمك وزن المال
ستين الف دينار فارسل اليه الخليفة وقال له انفذ من يقبض المال فلما استوثق منه مضى الى اصبهان
فقال له نظام الملك اني دفعت لك نحوا من ستين الف دينار نفقة واحب اخراج الحساب فقال له ابو سعيد
لا تطل الكلام ان رضيت والا محوت اسمك المكتوب على المدرسة واكتب عليها اسم من يقبض المال فلما احس
نظام الملك قال له يا شيخ قد سوغت لك جميع ذلك كله ولا تمح اسمي ثم ان ابا سعيد بنى بذلك رباطا
للصوفية واشترى الضياع والخانات والبساتين واوقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى وقتنا
هذا في رباط ابي سعيد الصوفي واوقافه يتقلبون ببغداد واعلم يا بني ان افعال الخير كثيرة واسبابها
لم يتم عليها التوفيق بها وافضلها اتخاذا واحسنها ملاذا وازكاها قربة واسماها عند الله يوم القيامة
رتبة الجهاد الذي هو ركن من اركان الدين وفرض على من ولاه من امراء المسلمين في كل اقليم جهاد ولقد
من خلفهم حماة للدين والبلاد وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من امتي
بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وفي التفسير انهم اخواننا اهل الاندلس الذين هم بين بحر زاخر
وعدو كافر الناس منه على وجل واشد كالمجاهد في سبيل الله فاذا كان اهلها بهذه المزية ولهم عند الله هذه
المرتبة السنية فعليك اهتمامك يا بني باهل الاندلس اكثر الاهتمام واجدك في موالاتهم ومعونتهم
لا اخذ التاج منهم بما تستطيع عليه من الزرع والمال والخيل والحماة والابطال والغزاة ان امر الله

نبيه

نبيه عليه السلام ان يستعدوا بها لعدو ليسكن بها من علوا وهي الى ماور بالخيل نوثرهم بذلك في كل سنة
ولا تغفل عنهم في يقظة ولا سنة ولتحمل اهلها الغافلين الى بلادك على البر والاكرام والعفو والاحترام وتيسر
عليهم اسباب ابتياع الطعام من مشاحتهم لاقامة اخوانهم المجاهدين ومخافة لما بقيتهم باولاد المسلمين الماركين
ولا سيما انتم جيرانهم في البحر وافتخارهم عليها كل مخافة عسيرة يخوضون الى الاتيان بها في بحر زاخر ويقاتلون
عليها كل طاغية كل واد الملة فواهم الاجسام وحياة الانفس وحفظ هذا الاقليم بانها اذا اقبلت آفة
ضعفت الانفس واقلقت الانعام واعلم يا بني ان بلادك بحمد الله اكثر البلاد زرعا واغزرها ضرعا
واخصب الاوطار واحسنها اقليم في هذا الكثار والتنوع الانس مما افاء الله عليك من غنائم النعم وتجعل
نوافلك لهم قبل من تقدم بك من العرب والعجم فانك ان فعلت ذلك كنت مجاهدا ولحزب الله معاضدا
فتكثر البركات في بلادك وفي حماتك واجنادك ويتسع بك منابر الاسلام دعاء ثم تصلح لك به الامور وتكفي
لك من بركاته الثغور ان شاء الله تعالى يا بني عليك باقامة شعائر الشرع وجد واتصل
اليه في مواسم الخير وتوسل واتبع الآثار الى القيام بليلة مولد الرسول عليه السلام واستعد لها بما
تستطيع من الانفاق والطعام واجعله سنة موكدة في كل عام تواسي في تلك الليلة الفقراء وتعطي الشعراء
وان زينت فيك الغريزة الشعرية وتحليت بالحلية الادبية زدت جمالا الى جمالك وكمالا الى كمالك
فانظم المولديات واجمع جملة الشعراء في الادبيات تحوز بذلك افضل المزيات وهذا يا بني
دابنا في كل عام ونستعين على الاستمرار والدوام فمن بعض ما نظمناه في ذلك وسلكنا فيه احسن المسالك قولنا

الفت الضنا والفت النحيبا ... وشب الاسى في فؤادي لهيبا
وحق لنفسي ان اشا ان تذوبا ... وللدمع من مقلتي ان يصوبا
فقد كنت بالوصل منكم قريبا ... فاصبحت بالهجر اخشى الرقيبا
جفاني الحبيب فسر الحسود ... واذنى البعيد واقصى القريبا
فيا ليت شعري هل ساعة ... بوصل وعيشي يكون خصيبا
فمالي على الهجر من قدرة ... بريب المنون ويغشى القلوبا
وقفت رجائي بكم فارحموا ... وقوفي على بابكم مستجيبا
فمن بعد بيت انا ابيتكم ... وما شانكم تبعدون القريبا
ومالي ذنب سوى حبكم ... وتالله في حبكم لن اتوبا
فان تقتلوني حلالا لكم ... انا ان رضي ما يرضى الحبيبا
وان تعبروا على ان نسى ... فشيمتكم تغفرون الذنوبا
وان تمحوا صفحكم ... فظني بكم يغطي العيوبا
اسير هواكم قتيل نواكم ... لعل رضاكم يجود قريبا
فؤادي عليل وجسمي نحيل ... وسقمي طويل فداعي الطبيبا
هجرت الهجوع نثرت الدموع ... فمن ادمع والقلب ولي اديبا

الرسوم

تبكي الرسوم رعيت النجوم اذا ربي الهموم معا والخطوبا
اعاتب نفسي على زلتي فيزداد جسمي ضنا وشحوبا
مضى العمر بين ذنب ادعي واجمع لما اشان ذنوبا
سألتك يا خالقي توبة فما زلت للدعا يلبي مجيبا
وانت رقيبي يوم الحساب كفى بك يوم الحساب رقيبا
خشيت المعاد يوم القضاء اذا ما النواصي تشيب مشيبا
فكم قد لهوت وكم قد سهوت وكم دعوت سميعا مجيبا
عليما بخطبي يفرج كربي فما زال يفرج جل الكروبا
مضى العمر يا حسرتي في الضلال واشتعل الراس مني مشيبا
واضحى من الشوق جسمي عليلا وامسى من البكي قلبي كئيبا
احن الى النجم عند الطلوع وللشمس حين تروم الغروبا
اذا هبت الريح من طيبة تعطرت الارض مسكا وطيبا
فاصبوا الصبا ومن اجلها احب الصبا واحب الجنوبا
تهب النواسيم من ارضها فتزداد نار اشتياقي هبوبا
حنينا وشوقا الى المصطفى اثار الغليل واذكى الوجيبا
الى من هدى الرشاد جميع العباد وجل الخطوبا
اجل شفيع مكين رفيع اتى في ربيع فاحيى القلوبا
فاكرم بشهر حوى كل فخر بمولد بدر بدا لن يغيبا
كريم السجايا عظيم المزايا جميل العطايا جليلا وهوبا
فيا حادي العيس نحو الحمى اذا جئت ذاك الجناب الرحيبا
وزاد الهوى حين زال النوى وجئت اللوى واعمت الكثيبا
لقبر التهامي لبدر التمامي خير الانام شفيعا حبيبا
فبلغ اليه سلامي عليه وقبل لتربه تسعى طبيبا
وان جئت نجدا واعلامها فبشرها بدمع سكيبا
فعند الرسول منائي وسؤلي عسى بالوصول احظى نصيبا
فيا اسعد قوم حجوا كل يوم وعن وضع نوم تجافوا جنوبا
حدوا النياق فزاد اشتياق وسالت سواقي دموعي صبيبا
فنالوا قصدهم عند مكة تسنم كل نجيب نجيبا
وزموا الحمولا وامو الرسولا وجابوا السهولا معا والسهوبا
فساروا وغيبي ففاضت عيني وقد خلفوني مشوقا كئيبا

فقلبي بالشوق في مشرق وجسمي بالمغرب اضحى غريبا
سقوني كلوما تزيد النعوشا ويرجو موسى تزيل الكروبا
نبي منا اخير خير الورى رجائي وظني به لن يخيبا
نبي اتى رحمة للعباد فحمى ومحص عنا الذنوبا
وبين الشريعة للمؤمنين وشوه الكلام بين الحروبا
بمولده اشرق الافق نورا والبست الارض حسنا وطيبا
وكسرى تساقط ايوانه وكاد سرادقه يلقي شعوبا
ونيران فارس قد خمدت واخمادها كان امرا عجيبا
وخفت موارد انهارهم وقد اغلقت بعد ريق نضوبا
وحن له الجذع مستوحشا وابدى البكاء والنحيبا
دعا العباد لسقي البلاد فاخصب ما كان منها جديبا
وشق له البدر عند التمام وكلمه الضب يشكو الخطوبا
وكم معجزات له اعجزت جميع الورى شاعرا وخطيبا
عليه السلام ما تباكى الغمام واضحى للروض ثغر اشنيبا

وقولنا ايضا هذه المخمسة

درجت لتذكار العقيق دموعي وازداد شوقي للحمى وولوعي
والحب شب اوار بضلوع من لي بقلب بالهوى مجموع
وبحر قلبي بالهوى مصروع

هب النسيم من ارض نجد شاقني والحب ارقني سناه وارقني
والذنب عن وصل الاحبة عاقني وجرت دموع كالعقيق وخانني
صبري وكان الشوق باب خضوعي

حب شفيع للحبيب اراعضا والحب باب للشفاعة والرضى
لا خير ضعيف فيما قد مضى زمن المشيب ولم يوافقني القضا
ولكم تشوقت الى الرحيل فلوعي

فقضيت عمري في لعل وفي عسى والعمر غب في الصباح وفي المسا
والقلب منعطف يذوب لهم اسى
والدمع منهمر كما الينبوع

شأن المحب على زيادة حبه عزم المشيب الى زيارة حبه
لو كان ساعدني الزمان بقربه لحططت رحالي معرسا بترابه
وهجرت خلاني له وربوعي

أخطلت من مآى وغيى ما اخطا وانبعث غوى الذنوب وفى الخطا
والشيب وافا والشباب تعرطا يا شعر صاعرنى على زمان سطا
هل الزمان مساعرى جوعى
سعى الثرى من مدمعى لما همى ولقلب هام ونار اشواقى اضرما
شوقا لمحبوب منامى مذرحا ولقد شغفت بحب من سكن الحمى
وحرمت لذاتى معا وهجوعى
فزاد شوقى للعقيق وللصفا ولروضة الهادى الشفيع المصطفى
يا اهل ودى انتم أهل الوفا وانا المحب لكم وقد برح الخفا
واليكم دون الانام رجوعى
صب صبا قلبى ودمعى قد جرى وهجرت سلوانى ولذات الكرى
وبجانبى من شوق نجد ما ترى وحدى لمركب البراق وقد سرى
لمقام علىّ فى السماء رفيع
يا ليلة الاثنين نورك قد سما وانجابت الظلمات عن افق السما
وانهد ايوان كسرى عندما ولد النبى الهاشمى ذا كرما
فى ليلة غرا بشهر ربيع
بشرى رسول الله امته اهتزت بظهوره الاصنام خرت وارتدت
وبنور نيران فارس اخمدت وعجائب بانت وآيات بدت
وبشارة جاءت لكل مطيع
والبدر شق بغير شك بعثة لمحمد المختار من خير الورى
والجذع حن اليه من غير امترا والماء ينفجر من انامله جرى
من غير ممنون ولا ممنوع
سعد الانام بخير من وطئ الثرى فى ليلة الاثنين لاح وأقمرا
يا حادى يا بحبوا اليه بالسرى رفقا على جمال الضيوف فصبرا
عم تحكم حبه فى ضلوعى
يا رب كم بالذنوب انوسنا ولكم اغطيت مع العصاة جلوسنا
وسقيت من فيض الحبيب كئوسنا يا رب يرجوا منك عبدك موسنا
عفوا لمن يوطن منزل التشفيع
ادعوك دعوة مستهام واله اولبتنى منك الاختيار فواله
واسمع لعبدك عن قبيح فعله فوسيلتى حب النبى وآله
خير الانام وهو خير شفيع

وقلت ايضا

وقلت أيضا

فيا اخى ان عن سوم نواهج وعن معلمات طيبات الاراج
وعن ارض نجد والعقيق وبارق ولا تخبرا عن ذوات الدمالج
وشرخما صاكا بجروع حرابرا وجر الصى بالمعلمات الزوالج
وجوبا العيافى والمهامة وانتعر على قطع اسباب النوا بالنواهج
وعوجا بواد الطلح من ارض رامة وزما الهواد عند رملة عالج
وان جئت نجدا فانتشق من ترابها كصوب عبير وكطيب النوافج
وان ابصرت عيناك ارض تهامة فبشراى قد وافيت اسنى المناهج
فاسرع لى موطن مضم وحط حمول البراين العوانسج
وقل لسلمى لست اسلوا محبها وان طريقى لست فيها بناهج
وان جئت من ارض نجد بوارق تذكرنى عمر الهوى والهوادج
فصرح بذكر العقيق وحاجر لانها تشفى غليل اللواعج
وان جئت ارضا بالحجاز عن قبة فبشرى لها بالدموع المواج
افول لاضعاف وقد غالها السرى وانضها الحادى واوحشها الزجر
رويدك بعد العصر بيسر اى ما ابشر بالحجاز وعز الله قد ذهب العسر
ولله فيما سر عن قريب وربما اتى النفع من حال يريد به الضر
وان تغد الايام تغد النهى وان تجد الافواه تجد الضغن
وان حركت منى الخطوب بما بالغا يتساوى عنده الحلو والمر
فقد احسنت عودا طيبا على العوى وعن ما كما تقتضى المهندة البتر
اذا انت بالبيضاء افرزت من ليلى فلا البحر حال ما حييت ولا الظهر
زجرنا باب اهيم برء همومنا فلما رأينا وجهه صدق الزجر
بمنتخب من ال يعقوب كلما دجا الخطب لم يكذب لهم منه فجر
تنافلت الركبان طيب حديثه فلما رأيناه صدق الخبر الخبر
ترى لو عوا البحر لزم فراقه ولم ينتفعا منه ابدا جزر
وباس غدا بر يناح من خوفه الردى وعن ملجا ديانه العبكة النكر
اطاعته حتى العصم فى قنن الربا وهيضت الى تاميله الانجم الزهر
قصرناك يا خير الملوك على النوا لتصغينا مما جنا عبرك الدهر
لقعقعنا بك الايام عن علوائها وقد رابنا منها التعسف والكبر
وعدنا بذاك المجد عن الردى ولذنا بذاك العز فانهزم الدهر
ولما اتينا البحر يرهب موجه ذكرنا نوالك العم فاحتقر البحر

خلافتك العظمى ومن لم يدن بها فإيمانه لغو ومسعاه خسر

ووصفك يهدي المدح قصد صوابه إذا ضل في أوصاف من دونك الشعر

دعتك قلوب المؤمنين وأخلصت وقد طاب منها السر لله والجهر

ومدت إلى الله الأكف ضراعة فقال لها الله قد قضي الأمر

وألبسها النعمى ببيعتك التي لها الطاهر الميمون والمحتد الحر

فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا وقد كان مما ناله ليس يفتر

وأمنت بالسلم البلاد وأهلها فلا فتنة تعرى ولا روعة تعرو

وقد كان مولانا أبوك مصرحا بأنك في أولاده الولد البر

وأوحشت من دار الخلافة هالة رضانا لا يلوح لها البدر

ودعليك لما حفك إذ قصي بان النعمى وينصل الستر

وقاد إليك الملك رفقا لخلقه وقد عز مولاي كرامة واضطر

وزادك بالتمحيص عزا ورفعة وأحرى ولا السبك ماء في النضر

وأنت الذي ترعى إذا دهم الردى وأنت الذي ترجى إذا أخلف القطر

وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه مهيض ومن علياك يلتمس الجبر

غريب يرجي منك ما أنت أهله فإن كنت تبغي الفخر قد جاءك الفخر

ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا فلبّاه منه جاءه العز والنصر

وخذ بأيام الحمى بالحمى ثاره ففي ضمن ما تأتي به العز والأجر

وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم بحق فما زيد بن جبر ولا عمرو

فإن قيل مال فالملك الذي والأمر وإن قيل جيش فعبدك العسكر المجر

يكف بك العادي ويحيى بك الهدى ويبنى بك الإسلام ما هدم الكفر

أعده إلى أوطانه عنك راضيا وطوقه نعماك التي ما لها حصر

وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها فقد صدعت عنه التغلب والقهر

وقد بين فيه الفعل منك وصفقة تفاوتها منك ما بعدها خسر

مرامك سهل لا يؤودك كلفة سوى عرض ما إن له في العلى قدر

وما النعم الا رعية مستعارة ترد ولا كالثناء هو العمر

ومن باع ما يفنى بباق مخلد فقد أنجح المسعى وقد ربح الأجر

ومن دون ما تبغيه يا ملك العلى جياد المذاكي والمحجلة الغر

وراد وشقر واضحات شياتها فأجسامها تبر وأرجلها جمر

وشهب إذا ما صمت يوم غارة مطهمة غارت بها الشهب الزهر

عليها من الأبطال كل معاضد نزاعة في أعطافها النجم الغمر

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا

محمد رسول الله وكان الفراغ منه أوايل شعبان المعظم عام

تسعة وعشرين ومايتين والف